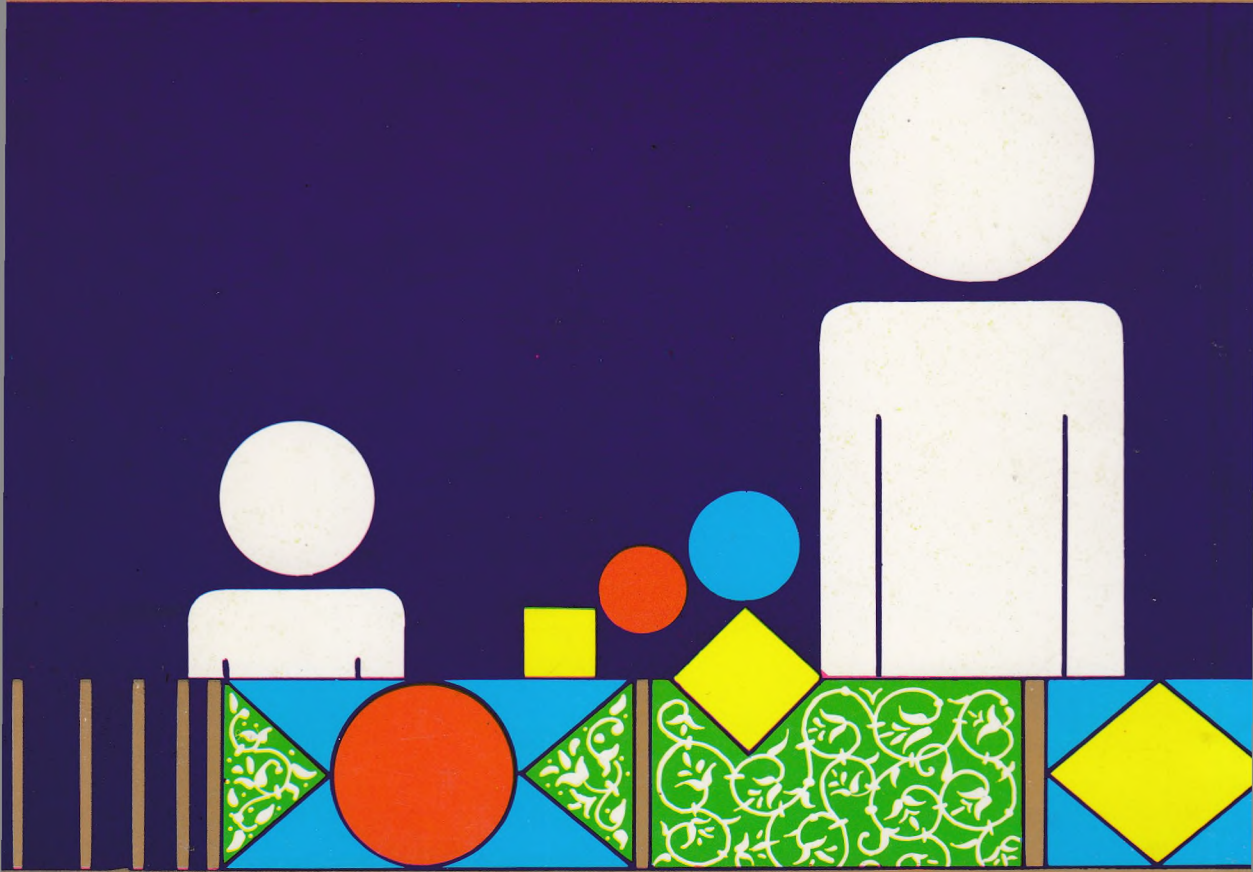


كيف تبنى شخصيتك



خَلِيلُ الْمُؤَسَّسِي



دار الأوقاف
للطباعة والنشر والتوزيع

كيف
تبنى
شخصيتك

فَكُنَّ السُّلُوكَ

①

خَلِيلُ الْمُؤَسَّسِي

كَيْفَ

تَلْفِي

شَخْصِيَّتِكَ

بَنَّا الْأَوْجَادَ

لِلْمُبَاهَاةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ
بِإِيجَادِ - لِبَنَاتِ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤٦٨م - ١٩٩٨م



الرويس - خلف ستر محفوظ وحجازي - نباية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨٢٣٥٢٦/٧/٨ - ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٢٥/٩٧ و ١١٣/٥٧٨٩ بيروت لبنان

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

تقديم

السؤال الذي يحتاج إلى إجابة :

ما هو السلوك ؟

ببساطة : السلوك : من سلك ، أي سار ، فسلك الطريق ، أي سار عليها ، والسلوك هو السيرة . وكأنا — أو أغلبنا — يتذكر أن في شهادتنا الدراسية ، كانت هناك خزانة كتب فيها « السلوك » ، وتعني سيرة الطالب ، وطريقة سلوكه ، وأخلاقياته ، ومجمل تصرفاته في الفصل ، والمدرسة .

وفن السلوك ، هو حسن السيرة ، وزينتها ، وجهالها ، وألوانها ، وأساليبها التي نحتاجها في كل زمان ومكان ، وفي كل ظرف وموقع ، سواء في علاقتنا بالله ، أو بأنفسنا ، أو بالاجتماع . فكلنا يرغب في أن تكون له سيرة حسنة في الحياة ، وعاقبة حسنى في الحياة الآخرة .

أما كيف نحقق هذه السيرة الحسنة ، وهذا السلوك الفسنى في حياتنا ، فأسسنا ووسائلنا لذلك : العقل (الحكمة) باستخدامنا له على الوجه الأصالح ، والدين بالتزامنا مبادئه وحدوده ، والآداب ، والأخلاق باتصافنا وتطبعنا بها .

يقول الإمام علي (ع) :
« العقل أقوى أساس »^(١) .

ويقول (ع) أيضاً :
« العقل صلاح كل أمر »^(٢) .

ويقول (ع) أيضاً :
« الدين والأدب نتيجة العقل »^(٣) .

وهذا الكتاب الذي بين يديك — أخي القارئ! — يتضمن مجموعات من القواعد والوصايا والرؤى السلوكية — وفي أكثر من مجال — مستمدة من القرآن الحكيم، والسنة الشريفة، ومن رؤى العقل، والعلم، والأخلاق، والتجارب الحياتية . أرجو الله — سبحانه وتعالى — أن ينتفع بها كل مُريد، والله الموفق .

خليل الموسوي

الجمعة ٢٦ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ

(١) ميزان الحكمة — ج ٦ — ص ٣٩٦ .

(٢) المصدر السابق — نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق — ص ٤٠٦ .

فري التفكير والتفكير

— تدبر في القرآن الحكيم

القرآن الحكيم هو مصدر الشريعة الإسلامية الأول، وهو كتاب الحياة والحكمة، وصناعة الإنسان والحضارة، وهو ربيع القلوب، وطبها ودواؤها. والتدبر فيه — المقرون بالالتزام العملي به — يفتح القلوب، ويذيب كل ما قد يرين عليها من شوائب ورواسب نفسية وغيرها، ويضع الإنسان في دائرة الحكمة.

فليكن من ضمن برنامجك اليومي أن تقرأ القرآن، وتدبر في مجموعة من آياته لكي تعمل بها. وإذا لم يمكنك التدبر فاقراً ولو صفحة في اليوم من القرآن، وركز على آية وتدبر وتأمل فيها بعمق، والتزم بما تأمرك به.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١).

(١) ٢٤ — محمد.

— تدبر في الحديث الشريف

السنة النبوية، هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وهي تفصيل للمناهج الحياتية التي وردت في القرآن الحكيم.

والتدبر، والتأمل فيها يقود الإنسان للتعرف على تفصيليات تلك المناهج القرآنية، ومن ثم تصنع منه إنساناً حكيماً.

ويمكنك أن تقرأ في كل يوم مجموعة من الأحاديث الشريفة، وتدبر فيها، وتحفظ. ولو حديثاً واحداً في كل يوم.

— تدبر في نهج البلاغة

يقول الإمام علي (ع):

«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».

نهج البلاغة هو نهج الحياة، وهو قاموس إسلامي فذ، صادر من منبع للمعرفة، والحكمة، وهو أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب (ع). وحرى بك أن تقرأ منه بتمعن، وتدبر ولو صفحة واحدة في اليوم، أو حكمة من حكمه.

وما أعظم، وأحكم خطب، ورسائل، ووصايا، ومواعظ، وحكم أمير المؤمنين! إنها مناهج عمل الإنسان في هذه الحياة.

فهلا نتأمل فيها، ونتخذها منهجاً لنا في حياتنا؟

— تدبر في الدعاء

الدعاء مدرسة روحية، والدعاء مدرسة عمل. والدعاء انقلاب على مساوئ الذات، والدعاء رفض للمواقع الظالم الفاسد.

فلنكون روحانياً، وعاملاً في حياتك، منقلباً على أهوائك النفسية، ورافضاً

لواقعك الفاسد، تأمل في الدعاء، واعمل بما فيه، واحفظ ما أمكنك منه، لا الذات الحفظ وإنما للعمل به.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢).

وليكن لك برنامج في التدبر، والتأمل في الدعاء. فإذا ما انتهيت من دعاء فانتقل إلى آخر. وما أكثر الأدعية المنقولة عن رسولنا الأعظم (ص)، وعن أهل بيته عليهم السلام!

— تأمل في ذاتك

حينما تتفكر، وتتأمل في ذاتك، ستكتشف الكثير من الأمور، وستبين لك الكثير من الحكم، ولا تستهن بهذا البنيان الإنساني العظيم الذي أنت عليه، وتأمل مقولة أمير المؤمنين (ع) الشعرية:

وداؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر (٣)

— تأمل في مخلوقات الله

مخلوقات الله ميدان خصب لإثارة عقلك، وتوسيع دائرة معارفك، واكتشاف العبر والحكم.

تأمل في الشمس والقمر، والجمال، والشجر، والسماء، والأرض، والنحل، وفي كل شيء من مخلوقات الله من حولك، وستكتشف الكثير الكثير.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(٢) ١٨٦ — البقرة.

(٣) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) — ص ٥٧.

— استخدم عقلك على الوجه الأصلى

إذا كان من تعاريف الحكمة، العقل، فأعرف كيف تستخدمه، وكيف تنتزع الحكم والعبر من الأحداث والظواهر من حولك. واعلم أن العقل هو أهم مميّز للإنسان عن الحيوان والجماد، وهو ثروة ينبغي لك أن تستفيد منها كل الاستفادة، وفي أي تحرك، صغر أم كبير. وكمثال بسيط على ذلك: باستخدامك لعقلك جيداً يمكنك أن تجمع وتنجز عدة أعمال في تحرك واحد. وبالتفكير في كل عمل بمفرده دون ربطه بعمل آخر، يوافق في إمكانية ووقت التنفيذ، تبذل مجهوداً مضاعفاً، ووقتاً أطول.

— كن عالماً، واعمل بعلمك

يقول الشاعر:

من يلهه المرديان المال والأمل

لم يدر ما المنجيان العلم والعمل

من تعاريف الحكمة، العلم. وهو نبراس يضيء الحياة، ويكشف المجهولات. فتعلم ما استطعت واعمل بعلمك، في مجال الإيمان بالله والمعارف الدينية، وفي كل المجالات، واعلم أن الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واعلم أيضاً أن من يعمل يخطئ، ومن لا يعمل لا يخطئ، والعبرة أن يتعظ الإنسان من أخطائه، والعمل هو ساحة الامتحان للإنسان، وكيف يخطئ في الإجابة من لا يستلم ورقة أسئلة الامتحان لكي يجيب عليها؟!

— فكر قبل أن تعمل

يقول الإمام علي (ع):

«الفكر يفيد الحكمة» (٤).

من سجايا العاقل الحكيم انه لا يشرع في أي عمل إلا ان يعدّ له فكراً، لكي تأتي عواقب عمله مثمرة وبسّاءة. ومن صفات الجاهل أنه يشرع في العمل بلا تفكير وروية، أو

(٤) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٣١٣.

بتفكير سطحي، ولذلك تأتي نتائج أعماله سلبية. إن الفكر مرآة صافية، تكشف لك الأمور بصفاء وجلاء، فاعط كل مسألة أو قضية أو مشروع أو مشكلة القدر اللازم من التفكير، ولا تكثر التفكير في شيء لا يحتاج إلى زيادة في التفكير فيه.

— كن ذا بصيرة نافذة

يقول الإمام الصادق (ع):

«العاقل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق فلا تزيده سرعة السير إلا بعداً»^(٥).

وأن تكون ذا بصيرة نافذة، يعني عدة أمور منها:

- ١ — أن تكون ذكياً، صاحب نظر عميق للأمور والأحداث من حولك.
- ٢ — أن تكون لك رؤية في كل أمر، أو حدث، أو موقف.
- ٣ — أن تكون كاشفاً لما وراء ظاهر الأحداث.
- ٤ — أن تكون مستفيداً ومنيراً بما تصل إليه من كشف.

(٥) تحف العقول — ص ٢٦٩.

في البهيات

— اعبء الله وحده

أن توحء الله يعنى أن تعبءه وحده، لا شريك له، وأن تنبذ وتءارب كل الأصنام وصورها المختلفة المعبوءة من ءونه، ولا تقءس أحءاً من بني البشر، فهم عبء الله. وءينا ءوالي إنساناً صالحاً ليكن ولاؤك للمقيم ءي يؤمن بها ويطبقها، لا الءاء الشءص نفسه، وإنها لكاءرة ءبرى ءينا يقع الإنسان في ءط عباءة الأشءاص!

يقول الإمام علي (ع):

«ولا ءكن عبء غيرك وقد ءعملك الله ءراً»^(١).

— اءق الله

رأس الءكمة ءءافة الله، ومءافءه ءقواه وءشءه. وءينا ءءقيه، وءءشاء ءأء ءصرفاءك

(١) ءءف العقول — ص ٥٢.

سوية . ومن هنا فإن من لا يتق الله ، يعمل ما يشاء وبدون رادع ، من أجل تحقيق مصالحه وأهدافه ، وأنشد تكون نظريته في التعامل في الحياة ، الغاية تبرر الوسيلة ، والإسلام لا يقر هذه النظرية .

— اهتم بصلاتك

صلاتك عمود دينك ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردت رد ما سواها . وإذا شهِبنا الدين بالبنیان ، فإن الصلاة عموده ، فماذا نتصور وضع البنیان فيما لو كان العمود ضعيفاً أو منهياراً؟ لاشك أن المبنى يصبح مهدداً بالتشريح أو السقوط .

والاهتمام بالصلاة ، والتركيز فيها يعطيان الإنسان الحكمة في حياته . فلكي تكون مركزاً في صلاتك :

- ١ — انصرف عن كل شيء قبل الصلاة ولو بدقائق .
- ٢ — وكن في هذه الفترة صامتاً متفكراً ، أو تالياً لآيات القرآن . وفي أثناء الصلاة كن مركزاً فيها ولا تنشغل بأي شيء آخر .

إن الصلاة قدسية عظيمة في الإسلام ، يجب أن يلتزم بها المصلي ، والحاضر معه في مكان واحد . فمن الظواهر السلبية أن ترى فرداً أو جماعة يصلون ، وآخرون مسترسلون في أحاديثهم الصاخبة التي لا تتيح للمصلين التركيز في الصلاة والخشوع فيها . أو أنك تجد بعض الناس يصلون وأجهزة الراديو والتلفاز مرتفعة الصوت ، وينسون أن الصلاة قدسية . وآخرون قد تجدهم يستخدمون هذه الأجهزة وبصوت مرتفع ، في محضر أناس يصلون ، وينسون أن صلاة الآخرين مقدسة ويجب احترامها !

— كن موقفاً

اليقين أعلى درجات العلم والمعرفة ، وهو دعامة رئيسية من دعائم الإيمان ، فالإيمان بلا يقين كالمبنى بلا دعامة . واليقين يخلص النفس الإنسانية من التشكيكات الشيطانية ، ويعطيها حالة من الاستقرار ، والاطمئنان .

وللميقين أربع شعب :

- تبصرة الفطنة (أي البصيرة النافذة) .
- تأول الحكمة (أي تفسيرها وتقديرها وتبيينها) .
- موعظة العبرة (أي الاتعاظ من أحداث الحياة وعبرها) .
- سنة الأولين (أي الاعتبار بالتاريخ) .

يقول الإمام علي (ع) :

« لا تجعلوا علمكم جهلاً ، وبقينكم شكاً . إذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقنتم فاقدموا »^(٢) .

ويقول (ع) أيضاً :

« نوم على يقين خير من صلاة على شك »^(٣) .

— تب إلى ربك

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« أن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »^(٤) .

من فضل الله ورحمته أنه فتح لك — أيها الإنسان! — باباً واسعاً سماه التوبة ، لكي يشملك بواسع فضله ورحمته ، ومن واجبك أن تندم على خطيئاتك ، وذنوبك ، وتتوب إليه توبة نصوحاً ، ولا تتوانى ولا تتأخر في ذلك .

يقول الإمام زين العابدين (ع) :

« إلهي ! إن كان الندم على الذنب توبة فأني وعزتك ! من النادمين . وإن كان الاستغفار من الخطيئة حطة فأني لك من المستغفرين ، لك العتبي حتى ترضى . إلهي ! بقدرتك عليّ ، تب عليّ ، وبحلمك عني اعف عني ، ويعلمك بي ارفق بي . إلهي ! أنت

(٢) نهج البلاغة — ص ٥٢٤ .

(٣) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٤٣٤ .

(٤) ميزان الحكمة — ج ١ — ص ٥٤١ .

الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميت التوبة ، فقلت : توبوا إلى الله توبة نصوحاً ، فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه ؟ ! » (٥) .

— ازهد في دنياك

اعلم أن الحياة في ظل الزهد والبساطة تصبح بسيطة مريحة ، وفي ظل الطمع والحرص والانكباب على الدنيا تصبح معقدة متعبة . إن مثل الدنيا كمثل العروس ينجذب إليها الإنسان ، وحينما يقترب منها تكرر به وترديه . وليس المقصود بالطبع من ذلك أن تضع مالك ، وتحرم الحلال ، بل المقصود أن لا تملك الدنيا ، وأن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل .

يقول الإمام علي (ع) :
« زين الحكمة الزهد في الدنيا » (٦) .

— تأمل في الموت

موتك أيها الإنسان ! ليس أمراً عادياً ، كما أنه ليس نهاية لك .

صحيح أن الموت مغادرة الجسد لدار الدنيا ، ولكنه في الوقت نفسه عامل كبير في التحفيز على العمل والنشاط . فإذا عرفت أنك ستموت بعد مدة معينة ، فهنا يبرز أمامك هذا السؤال وهو : كيف تجعل هذه المدة زاخرة بالعمل في سبيل الله ، لتكوّن رصيداً منججاً لك في الدار الآخرة .

ومن هنا فإن الموت ليس أمراً باعثاً على الكسل ، واليأس ، والقيوط وترك العمل . كما أنه مرحلة انتقال من الدار الدنيا إلى الدار الآخرة . والحكمة في أن الأحاديث والروايات الشريفة تحثنا على الإكثار من الموت ، هي أن نغتني فرصة الحياة في سبيل الله أكبر غنيمة ، فنعمل من أجل الله وبكل جدية ونشاط ، لا أن إيماننا بحدوث الموت يجعلنا نهرس عدم الحاجة إلى العمل طالما أننا سنموت .

(٥) مفتاح الجنان المغرب — ص ١٦٨ (مناجاة التائبين) .

(٦) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ١٥١ .

كما أن الإكثار من ذكر الموت يجعل الإنسان يزهد في دنياه ولا يطمع فيها .

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسين :
« من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير »^(٧) .

— تأمل في المحشر

« يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون »^(٨) .

إذا كان يوم القيامة حشر الناس عراة، وأنت وأنا منهم، وحينها لا والد، ولا أخ، ولا صديق، ولا قريب، ولا جار، بل رصيد أعمالنا هو كل شيء بالنسبة لنا، فأعمالنا في عاجلنا نصب أعيننا في آجلنا . وحينها تذهل حتى المرضعة عما أرضعت، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد .

من هنا ليكن المحشر، وقيام القيامة أمام ناظرنا دائماً، ومحفزاً لنا على الاستقامة، والجد والنشاط في مرضاة الله .

يقول الإمام علي (ع) :

« طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للمحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله »^(٩) .

— تأمل في الجنة وسارع إليها

جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، عرضها كعرض السماوات والأرض، أكلها دائم، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وعسل مصفى، ورحيق مختوم، وسدر مخضود، وطلح منضود، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة، وحور عين مقصورات في الخيام، لم يطمثنهن انس قبلهم ولا جان، قاصرات الطرف، كواعب أتراب، كأنهن اللؤلؤ المكنون . وروح، وريحان، وأساور من ذهب، وسندس، ومرجان، وأباريق وكأس من معين،

(٧) تحف العقول — ص ٥٩ .

(٨) ٤٣ — المعارج .

(٩) نهج البلاغة — ص ٤٤٧ .

ومرافقة الأنبياء والأئمة الشهداء، والصالحين. وما لآعين رأيت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. كل ذلك أعدّه الله لك ولي في الجنة، مكافأة لنا على أعمالنا الصالحة الخيرة.

وإذا كان الأمر كذلك، أليس من واجبي — وواجبك أن تتخذ من الجنة هدفاً نعمل من أجل الوصول إليه مهما كلفنا هذا العمل حتى لو قتلنا أو متنا في سبيل الله؟

يقول الإمام علي (ع):
«الجنة أفضل غاية»^(١٠).

— تأمل في النار واحذر منها !

ظلمات دامسة، ونيران مسجرة، ملتهبة، حامية، وقودها الناس والحجارة، كلما قيل لها: هل امتلأت؟ قالت: هل من مزيد؟ وسلاسل ذرع الواحدة منها سبعون ذراعاً، وأغلال. وطعام من غسيلين، وضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، ومقامع من حديد، وجلود بشرية تحترق، وتستبدل من جديد ثم تحترق وهكذا، وزفير وشهيق، وروائح في منتهى الكراهة، وثياب من نار، وسراويل من قطران، وماء حميم يقطع الأمعاء. كل ذلك بعض ما أعدّه الله للعصاة والكافرين، والمنافقين، والمستكبرين، والطغاة، والمفسدين ومن هم في دائرتهم.

وعليه فإيماننا بوجود النار، وهول العذاب فيها، يجب أن يحفزنا بشدة إلى اتقائها، وذلك بالارتباط بالله أكثر، وتصعيد العمل الصالح، وعلى كافة المستويات. فالنار حقيقة ثابتة، ولا منجى منها إلا العمل الصالح.

يقول الإمام علي (ع):
«احذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة»^(١١).

(١٠) ميزان الحكمة — ج ٢ — ص ٩١.

(١١) ميزان الحكمة — ج ٢ — ص ١٦٢.

— ارض بقضاء الله وقدره ، وقسمته

رضاك بقضاء الله وقدره يوفر مجموعة أمور منها :

- ١ — إيماناً بمبدأ إلهي ، والتزاماً بواجب إيماني ، وهو قضاء الله وقدره .
- ٢ — تذليل وتسهيل الصعوبات ، ومواصلة الانطلاق في الحياة .
- ٣ — راحة وقوة معنويتين ، وتخلصاً من كثير من المشاكل النفسية .
- ٤ — رضا الخالق عنك .

يقول الإمام علي (ع) :

«الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين» (١٢) .

ويقول (ع) أيضاً :

«من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس» (١٣) .

— لا تغفل

دائماً ، وفي كل فرصة مناسبة ، بالنهار أو بالليل ، اسأل نفسك :

أين أنا ؟

وكيف ؟

وماذا عملت ؟ وماذا أعمل ؟

وهل أن أعمالي مرضية لله أم مغضبة له ؟

يقول الإمام علي (ع) :

«من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن خاف أمن ، ومن اعتبر أبصر ،

ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم» (١٤) .

واعلم أنك مهما أوتيت من العلم ، والعمل ، والتقوى فأنت معرض لأن تصاب بالغفلة

(١٢) تحف العقول — ص ٢٠١ .

(١٣) المصدر السابق — ص ٢٠١ .

(١٤) بحار الأنوار — ج ٧٠ — ص ٧٢ .

في كثير من ممارساتك الحياتية، وقد تغفل عن آخرتك. فالإنسان في هذه الحياة قد يمارس الأخطاء وهو غافل عنها، أو أنه يتذكر أموراً فيعمل بها، وتغيب عن ذهنه أمور أخرى بشكل إرادي أو لا إرادي، ومن هنا فهو بحاجة — دائماً — إلى التذكير، والتواصي.

يقول تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾^(١٥).

ويقول أيضاً: ﴿والعصر! إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾^(١٦).

— كن مطيعاً، ولا تطع مخلوقاً في معصية خالقك

الطاعة قيمة حياتية عظيمة. فاولا الطاعة لم يكن الإيمان بالله، ولولاها لتعطلت مسيرة الحياة. إذ إن كل جانب من جوانب الحياة مهما كان نوعه، هو نتيجة إطاعة قوة مدارة لقوة أخرى مديرة. والطاعة لبني البشر — ومنهم القادة — تكون حينما يكون الشيء المأمور به طاعة لله، فإذا كان معصية فلا محل للطاعة آنذا.

— الورع

الورع أعلى درجات التقوى، وهو يعني الوقوف عند الأمور المشتبه فيها، هل إنها من الحلال أم من الحرام (الشبهات)، فضلاً عن عدم ممارسة المحرمات. والشبهة قد تكون في أمر محرم، قد تعتقد أنه جائز. والورع جُنَّتْكَ في هذه الحياة، والجُنَّة هي الدرع والوقاية من تبعات العمل المشتبه به، ومن كل الأعمال غير المرضية للمخالق.

يقول الإمام علي (ع):
«الورع أساس التقوى»^(١٧).

(١٥) ٥٥ — الذاريات.

(١٦) سورة العصر.

(١٧) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٤٠١.

— أملك كيف يجب أن يكون ؟

الأمل نوعان :

١ — إيجابي .

٢ — سلبي .

فالأمل الإيجابي أن تمتلك شحنات من التفاؤل الجدي للوصول إلى أهداف تنشدها . وبدون هذا النوع من الأمل تتعثر مسيرة الحياة ، ويصبح الإنسان متشائماً خائر المعنويات . ومن هنا ففي كل يوم تقوم به ، أنت بحاجة إلى هذا النوع من الأمل ، وبلا إفراط .

أما الأمل السلبي فالمقصود منه : الآمال المفرطة عمومًا ، والأمني ، والآمال التي تحجب الإنسان عن العمل الصالح والازدياد فيه ، وتجعله ينكب على الدنيا وحطامها ، وزخرفها ، ويرجعها ، وينسى الآخرة .

يقول الإمام علي (ع) :

« من أطال الأمل أساء العمل » (١٨) .

ويقول (ع) أيضاً :

« من جرى في عنان أمله عثر بأجله » (١٩) .

ويقول (ع) :

تؤمل في الدنيا طويلاً ولا تدري	إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر ؟
فكم من صحيح مات من غير علة !	وكم من عليل عاش دهرًا إلى دهر !
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً !	وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري (٢٠)

— لا تقنط ولا تقنط

اعمل على أن لا تصاب في حياتك بالتشاؤم واليأس . واعلم أن الحياة سلسلة من

(١٨) نهج البلاغة — ص ٤٧٥ .

(١٩) المصدر السابق — ص ٤٧١ .

(٢٠) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) — ٦٥ .

الانتصارات والهزائم، والتوفيقات والإخفاقات، فإذا انتصرت فلا يصيبك الغرور، وإذا انهزمت فلا تتوقفن عند الهزيمة، بل حولها إلى انتصار ودرس وعبرة. وكلما ألمّ بك عارض أو مشكلة أو مصيبة، استغفر ربك، وتوكل عليه، وامض قدماً في طريق العمل الصالح.

يقول الإمام علي (ع):

«عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار» (٢١).

وبالنسبة للآخرين، مطاوب منك أيضاً أن تجعلهم متفائلين، وأن تملأ قلوبهم إيماناً برحمة الله وروحه، لأن تدخل اليأس والقة: ووط إلى نفوسهم.

يقول الإمام علي (ع):

«الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله» (٢٢).

— لا تكن مسوّفاً

من سنن الحياة أن كل دقيقة تمضي فيها لا تعود ثانية، وكل فرصة فيها تنصرم لا ترجع نفسها مرة أخرى.

والتسويق هو عدم الاعتبار بهذه السنة وهو آت من استخدام كلمة «سوف»، ومثال ذلك: أن يقول قائل: سوف أتوب إلى ربي، وسوف أحسن إلى والديّ، وسوف أقضي الدين الذي عليّ، وسوف أقوم بالعمل الكذائي، و.. ويتبع ذلك توان وتماهل وعدم إنجاز للأعمال والطاعات.

ولكي ندرك خطورة هذه الحالة، ينبغي التنبيه إلى هذه النقطة الهامة:

فأنت وأنا لا ندري كم بقي من عمرنا، ولن يخبرنا الله بموعد موتنا حتى نتعمل بالتسويق، ولربما انقضى عمرنا ولم نوفق لعمل ما كنا نسوّف فيه.

(٢١) المصدر السابق — ص ٤٨٢.

(٢٢) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) — ص ٦٥.

فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، كما تقول الحكمة الشهيرة، واغتنم كل فرصة، وتذكر — دائماً — حكمة أمير المؤمنين (ع) القائلة :
« كل معاجل يسأل الإنظار، وكل مؤجل يتعلل بالتسويف » (٢٣).

— اتق ربك في الخلوات

لكي تقيس مدى خوفك وخشيتك من بارئك، اعلم أن القياس أمام الناس قد لا يكون صحيحاً، وإنما انظر إلى أي حد تخافه — عز وجل — حينما تكون وحيداً بينك وبينه، ولا يوجد أحد من بني البشر معك .

فقد تكون مع فرد من الناس أو جماعة، وتعرض لموقف يمتحن تقواك من الله فيه، فحياؤك من الآخرين، أو ربما رباؤك — لاسمح الله — قد يدعوك إلى أن تتقي، أو تتصنع التقوى .

ولكن حينما تصلي لوحده لا مع جماعة، أو تمارس عملاً بمفردك، أو تكون ماشياً في زقاق لوحده، أو مسافراً إلى بلد بعيداً عن اخوتك المؤمنين، وتتجلى أمام ناظريك مظاهر الإغراء، أو تكون في بيتك ولا من أحد تخشى لومه أو عتابه أو مراقبته، آنئذ يتضح مدى صدقك والتزامك بتقوى الله وخشيته . وهنا يظهر مدى خوفك من الله على حقيقة . وعليه لكي نكون حكماً وذوي سيرة وسلوك حسنين، يلزم أن يكون خوفنا من الله وتقواه، بدرجة واحدة، في السر والعلان، حين الوحدة وأمام المجموع .

يقول الإمام علي (ع) :

« اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم » (٢٤) .

— ادع ربك

يقول تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ (٢٥) .

(٢٣) نهج البلاغة — ص ٥٢٥ .

(٢٤) الدليل على موضوعات نهج البلاغة — ص ٩٣٨ .

(٢٥) غافر — ٦٠ .

ويقول عز وجل : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ ﴾ (٢٦) .

الدعاء معراج المؤمن ، ووسيلة التوفيق ، ودافع للبلاء عن الإنسان . وفي الإسلام هناك ثروة عظيمة من الأدعية المأثورة عن الرسول الأكرم (ص) ، والأئمة (ع) ، لا يوجد مثلها في أي ديانة أخرى ، منها على سبيل المثال لا الحصر : دعاء كميل ، ودعاء الافتتاح ، ودعاء الندبة ، ودعاء التوسل ، ودعاء السمات ، ودعاء الجوشن ، ودعاء أبي حمزة الثمالي الذي كان يقرؤه الإمام علي بن الحسين (ع) في كل ليلة من ليالي شهر رمضان عند السحر ، والمناجاة الخمسة عشر ، له (ع) . وجدير بالإنسان أن يقرأها ويتأملها ، وغيرها من الأدعية ويتعلم على يدها ، فهي مدرسة حياتية أخلاقية روحية .

ومع أن هذه الأدعية مفضلة ، إلا أن الدعاء لا ينحصر فيها ، بل يمكنك أن تدعو ربك لنفسك ، وللآخرين بكل ما يخطر على بالك من دعاء خيّر ، وبأي تعبير لائق تنشئه ، بشرط الإخلاص ، والجد في تهيئة الأسباب لتحقيقه .

فإذا مررت على مريض ، أو معوق ، قل اللهم شافه وعافه ، وإذا مررت على رجل محروم قل : اللهم أعطه وانعم عليه من بركاتك . وإذا سمعت أن أحداً لك ينوي الزواج فادع له بالتوفيق والحياة السعيدة .

وفي الدعاء : أنت وربك ، فادع واطلب منه ما شئت وبإخلاص . واعلم مع أن هنالك أوقات مذكورة يستجاب فيها الدعاء ، إلا أنه يمكنك أن تدعو إلى الله في أي وقت ، وفي أي مكان ، في الرخاء والشدة ، في الليل والنهار ، في السر والعلن .

يقول الإمام علي (ع) :

«سوسوا إيمانك بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء» (٢٧) .

وبكلمة : إن الدعاء خير كثير ، يحقق للإنسان أموراً كثيرة منها :

١ — زيادة الارتباط بينه وبين الله .

(٢٦) الفرقان — ٧٧ .

(٢٧) نهج البلاغة — ص ٤٩٥ .

- ٢ — تربية النفس، وتهذيبها وفق ما أمر الله .
٣ — الخروج برؤى — حكمة — في الحياة، وفي مختلف المجالات .

— شهود التعازي الحسينية

أئمة أهل البيت (ع)، حياتهم نضال وجهاد في سبيل الحق والعدل، وكل القيم الخيرة، وبسبب ذلك ما منهم إلا مقتول أو مسموم . وتعزيتهم وسيلة لتذكّر المبادئ والقيم التي قتلوا من أجلها، وعقد العزم، وتجديد العهد المسير قدماً في طريقهم، وهي كذلك وسيلة لتطهير القلوب، واستلهام القوة المعنوية .

وأبو الأحرار — الإمام الحسين — (ع) هو صاحب أعظم نهضة عرفها التاريخ، فجرها في وقت أصبح الحق مهاناً، والحكم الظالم يزيّف ما بدا له من القيم والمبادئ الإسلامية، فكانت هذه النهضة صرخة مدوية في ضمير الأمة الذي كان نائماً وكان لها من مجموعة أبعاد بعدان متميزان :

١ — بعد رسالي .

٢ — وبعد مأساوي .

فالبعد الرسالي يتلخص في أن الإمام الحسين نهض من أجل الدفاع عن روح الإسلام وجوهره، ورسالته، وتخايصه من الظلم، ورسم خطأ راسخاً في رفض كل أشكال الظلم والطغيان والفساد .

أما البعد المأساوي، فيتلخص في أن كل خطوة من خطوات نهضته تتجلى فيها وحشية الظالمين ولا إنسانيتهم . لقد منعوا عنه الماء وعن أنصاره، وقتلوه، ثم رضضوا أجسادهم بالخيول الأعوجية، وقتلوا حتى الطفل الرضيع ظمآنًا، ثم حرقوا الخيام، وساقوا بنات الرسالة سبايا على ظهور المطايا إلى بن زياد، ويزيد في الكوفة والشام، بلا أدنى رأفة وشفقة، وبدون أي اعتبار لقرينهم من رسول الله (ص) .

نعود فنذكر أن تعزية الإمام حسين تزود الإنسان بمجموعة أمور منها :

١ — تجعل منه إنساناً رسالياً يتطلع إلى تخليص أمته من كافة أشكال الظلم والطغيان والفساد .

٢ — تلهب ضميره ، وعاطفته ، وتصل به إلى حالة مرتفعة جداً من الحماس والمعنوية والغيرة على الدين والرسالة .

٣ — تجعل منه إنساناً مثقفاً بثقافة أهل البيت ، ينهل من أفكارهم ، ويتخلق بأخلاقهم .

— احذر هذه الآفة !

وأنت تصلي قد يتسلل إليك الشيطان ، ويهمس في أذنك قائلاً : أيها المصلي ! نَمَقْ في صلاتك ، وأطل فيها لكي يقول الحاضرون فيك ، إنك لمصلّ عابد خاشع . وأنت تزهد في دنياك قد يأتي إليك ويقول : أرْ زهدك الناس من أجل أن يقولوا عنك أنك زاهد .

وأنت تتخلق بالأخلاق الإسلامية قد يأتي إليك قائلاً : أظهر للآخرين أنك على حق ، لكي يقولوا عنك أنك أخلاقي .

وأنت تنفق في سبيل الله . قد يأتي إليك ويقول : إذا قدمت مالاً في الله ، قدمه أمام الناس — رياءاً — أمام الناس لكي يقولوا عنك أنك منفق .

وأنت تعمل في سبيل الله ، قد يأتي إليك ويقول : قم بأعمالك أمام الآخرين من أجل أن يقول الآخرون عنك أنك عامل نشط .

وهكذا قد يأتي إليك الشيطان في أي عمل تقدم عليه ، وفي أي مجال قد ترجو فيه رضا الله ولكنك تسعى للوجاهة بين الآخرين ، وهنا يكون الأمر أدهى وأمرّ .

نعم .. إنه الرياء . هذا المعول الهدام ، والآفة الفتاكة التي تحول الأعمال إلى رماد . إنه الداء الذي قد يصاب به المؤمن أكثر من غيره .

هل رأيت عصي النخل حين ينخرها السوس ؟

إنك قد تراها في هيئة العصي ، ولكنك ما إن تلمسها تفتت وتحول إلى ما يشبه الرماد . وهل سمعت عن الأشجار حينما يضرب جذعها ، وأغصانها التل الأبيض ؟

إنك قد تراها شجرة، ولكنها جوفاء تالفة .

وهكذا يفعل الرياء بالأعمال، إنه الآفة التي تلتقم كل ماحولها، فاعمل على أن لا تصابن به في أي مجال من مجالات العمل، وفي كل نوع من أنواعه، وكن مخلص النية لله وحده .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَمَرَّكَهُ صَدَأٌ لَا يُقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ۚ كَسِبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨) .

ففي الأخلاق

— كن أخلاقياً

يقول الإمام علي (ع):

« حسن الخلق خير قرين ، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه »^(١) .

ويقول الإمام الصادق (ع):

« من ساء خلقه عذب نفسه »^(٢) .

من العقل والحكمة أن يكون الإنسان أخلاقياً . فالأخلاق هي الحالات الوسطى
للمتصرفات ، فلا إفراط ولا تفريط .

والله — سبحانه وتعالى — جعلها كذلك ، لأنها وسيلة إسماعادنا في الحياة الدنيا ،
والآخرة .

(١) تحف العقول — ص ١٣٧ .

(٢) ميزان الحكمة — ج ٣ — ص ١٥٤ .

فعلى سبيل المثال: جعل لنا الشجاعة خصلة متوسطة بين التهور، والجبن، فلا المطلوب أن يكون الواحد منا مفرطاً في الشجاعة فيصبح متهوراً، ولا المطلوب أن يكون مفرطاً فيها فيكون جبناً. فالتهور إلقاء النفس في المهالك، والجبن عجز ومنقصة، والشجاعة هي الحالة المتوسطة، وهي المطلوبة.

والأخلاق السامية ليست تكتيكات مؤقتة، بل هي استراتيجية دائمة، فليست الشجاعة — مثلاً — في مرحلة ما هي فضيلة، وفي مرحلة أخرى هي رذيلة.

— كن عادلاً

أن تكون عادلاً يعني أن تضع الأمور مواضعها، أو بعبارة أخرى أن تعطي كل ذي حق حقه. فاعمل على تطبيق قيمة العدل في كل مجالات حياتك ما استطعت. وراقب نفسك في تطبيقك لهذه القيمة.

فعلى سبيل المثال — لا الحصر — إذا كنت متزوجاً، وكان لك أبناء، فانظر هل أنت تعدل فيما بينهم؟ وإذا كان لك أكثر من صديق فهل تعدل بينهم؟ أو إذا كان لك أكثر من زوجة فهل تعدل بين زيجاتك؟

وهكذا الحال بالنسبة للجوانب الأخرى التي تتطلب منك التزام العدل، وما أكثرها من جوانب!

ولكي تطّلع على كثير من مجالات العدل، حري بك أن تقرأ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين (ع)، لكي تعرف الحقوق التي عليك وتلك التي لك، فأربك عليك حق، ولنفسك عليك حق، ولأبويك عليك حق، ولجارك عليك حق، ولصديقك عليك حق، ولمعلمك عليك حق، و... فاعط كل ذي حق حقه، تكن عادلاً.

قال الإمام علي (ع):

«جعل الله العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والاثام، وتسنية للإسلام»^(٣).

(٣) المصدر السابق — ج ٦ — ص ٨٧.

ويقول (ع) أيضاً :
« العدل نظام الأمر » (٤).

ويعني ذلك أن لا تجعل الهدف من التزامك بالأخلاق الإسلامية تحقيق المصالح عن طريق الضحك على ذقون الناس بالظاهر الأخلاقي، بل اجعل التزامك بالأخلاق ديدناً لا تحيد عنه، وطريقة حياة تجري في شرايينك، وعادات، وتقاليد، وسجايا، تطبعت نفسك بها، وتحلقت، ابتغاء الإحسان إلى عباد الله، وقبل كل شيء ابتغاء مرضاة الله، واعلم أنه حتى مواجهة الظلم والطغيان، هدفها إحلال الأخلاق محل اللاأخلاق، وصراع المؤمنين مع الظلم والطغيان، جزء كبير منه هو من أجل هذا الهدف نفسه.

وهذا ما أوضحه الإمام الحسين (ع) حينما بين الهدف من نهضته، قائلاً:
« إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر .. ».

وأخلاق الإنسان لا تقاس حينما يكون وحده، ومعزل عن الناس، ولا يوجد تماس واحتكاك بينه وبينهم، وإنما تقاس حينما يدخل ميدان التعامل مع الناس، وتوضع أخلاقه على محك الواقع الخارجي. فكم من أناس هم أخلاقيون حينما يكونون بعيدين عن الناس، لكنهم حينما يتعاملون معهم يظهرون على حقيقةتهم.

— ابدأ بنفسك أولاً —

قبل أن تبدأ بتغيير الآخرين إلى الأفضل، أو تأديبهم، أو تعليمهم، ابدأ من نفسك. لأنه عار على الإنسان أن يؤدب الآخرين أو يعلمهم، وهو بحاجة إلى أن يؤدب نفسه ويعلمها:

يقول الشاعر: (مصدر الشعر)

يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لذي السقام وذو الضنى
هلاً لنفسك كان ذا التعليم!
كيما يصح به وأنت سقيم

(٤) المصدر السابق — ص ٨٠.

وأراك تاقح بالرشاد عقولنا وصفاً وأنت من الرشاد عديم
فأبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك ينفع ما تقول ويتهدى بالقول منك وينفع التعليم
لاته عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ومن الخطأ أن يرى الإنسان، غيره من الناس مطالبين بالتأدب والتعلم، وهو ليس مطالباً بذلك. ومن الغبن والخسران أن يوجه المرء، الآخرين ليتصفوا بصفة معينة، وهو يفتقر إليها.

يقول تعالى: ﴿أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟﴾ (٥).

يقال أن خطيباً رقى المنبر، وتحدث عن الإنفاق في سبيل الله وأهميته، وكان من بين الحاضرين زوجته، فتأثرت بخطبته. وحين عادت إلى البيت تناولت كمية من المال والذهب، وأنفقتها في سبيل الله.

ولما عاد زوجها تحدث معها في موضوع جاء فيه ذكر المال والذهب الذي أنفقته، فسألها: أين المال والذهب؟ فأجابت: أنفقته في سبيل الله. فقال: أيتها المرأة! إن كلامي في الخطبة لم يكن موجهاً لك، بل كان موجهاً للحضور الآخرين!



فاعلم أن معلم نفسه ومؤدبها أحق بالاحترام من معلم الناس ومؤدبهم.

يقول الإمام علي (ع):

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بإسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم» (٦).

(٥) ٤٤ — البقرة.

(٦) نهج البلاغة — ص ٤٨٠.

وليست مسألة البدء بتعليم النفس وتأديبها مقصورة على الإمام أو القائد، بل هي مطلوبة من كل إنسان مهما كان مستواه العلمي والخلقي، وإنما ركز الإمام في كلمته على «الإمام» باعتبار أن القائد قد يصاب بداء الترفع على الآخرين أكثر من غيره، وقد يعطي لنفسه صلاحيات كثيرة، فقد يأمر الآخرين وهو لا يلتزم بما يأمر به.

ويفهم من كلمة الإمام، إن كل من وضع نفسه موجهاً للآخرين، فهو في وضعه هذا كالإمام، ومطلوب منه أن يبدأ بتربية وتأديب وتعليم نفسه قبل غيره.

— اتخذ الرمز

أنت وأنا — باعتبارنا خطائين، ونسعى إلى التكامل في الحياة — لا غنى لنا عن اتخاذ الرموز والقدوات. واتخاذ الرموز لا فرق فيه أن يكون المقتدي إنساناً عادياً أو متضاعفاً في العلم أو العمل، أو الأخلاق، فالكل بحاجة إلى الرمز. كما أن المقتدي قد يكون كل إنسان حامل لصفة خيرة.

ولقد أثبتت مسيرة التاريخ أن لاتخاذ الرموز والقدوات دور كبير لا يستهان به في عملية البناء الإنساني، والتقدم الحضاري.

فلكي نجعل أنفسنا على طريق الحكمة، أمامنا الأنبياء، والأئمة عليهم السلام، والصالحون، والصديقون، والشهداء، وهم أفضل القدوات، وأولاهما.

فهلا نتخذهم رموزاً لنا؟

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٧).

وكقاعدة عامة: كن متواضعاً، وانظر إلى أي شخص من حولك، يتصف بصفة خيرة أنت تحتاجها، فاقتد به فيها، ولن تخسر شيئاً، بل أنت الناجح.

حاول أن تكون قدوة لغيرك.

(٧) الأحزاب — ٢١.

إذا اتخذت رموزاً، وعملت على الاقتباس من شخصياتهم، وعلموهمهم، وأخلاقياتهم،
واتصفت بها. اعمل على أن تكون نبراساً لغيرك.

واعلم دائماً أن الناس لا تقتدي بالذين يضحكون على ذقونهم، عن طريق ظاهرهم
الجيد — فقط — دون الباطن، وعن طريق المظهر دون الجوهر، بل تقتدي بالخاصين، قولاً
وفعللاً، ظاهراً وباطناً، مظهراً وجوهرًا.

وإذا رأيت شخصاً ما يقتدي بك في بعض أخلاقياتك، وسلوكياتك، وممارساتك،
فلا تخبره بذلك لأن العبرة، بأن تكون قدوة لغيرك. وإذا ما أخبرته فإن ذلك قد يجرح
مشاعره، وقد ينكر أنه يقتدي بك، وربما أدى ذلك إلى عدوله عن الاقتداء بك. وكما تقول
الحكمة الشهيرة: « كن حكيماً ما شئت، ولكن لا تخبر الآخرين بأنك كذلك ».

— تحلى بالصبر

« الصبر صبران :

— صبر على ما تكره،

— وصبر عما تحب» (٨).

كل شيء في هذه الحياة يعتمد على الصبر. فالدجاجة لا يفقس بيضها إلا بعد صبرها
ومضى المدة اللازمة.

والطيار لا يصل بطائرته إلى المكان المقصود إلا بعد أن يصبر الزمن اللازم. والتلميذ
لا يصل إلى أعلى الدرجات العلمية إلا بعد أن يصبر سنوات من الزمن، والمؤلف لا ينجز
كتابه إلا بعد الصبر على زمن التأليف ومتعلقاته، والأمور كلها على هذا.

وأن تصبر على ما تحب، مثاله : أنك تحب والدك، ومن واجبك أن تصبر على هذا
الحب وتجعله مستمراً. وأنت تحب أولادك، ويتازم عليك أن تصبر على هذا الحب، وتتحمل
متاعب التربية. وأنت تحب الورد فمن واجبك أن تصبر على النبتة حتى تزهر، وتورد.

(٨) نهج البلاغة — ص ٤٧٨.

وأن تصبر على ما تكره، مثاله: أن تصيبك مصيبة، أو تبتلي بمرض، وأنت تكره المصيبة، والمرض، ولكن من واجبك أن تصبر على ما يحلّ بك مما تكرهه، حتى يفرج الله أمرك.

وكقاعدة في الصبر: ان من لا يصبر يشعر بأن كل دقيقة تمرّ عليه، سنة، وان من يصبر يقاوم السنين وكأنها دقائق.

يقول الرسول الأكرم (ص) في الصبر:

«الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»^(٩).

ويقول الإمام علي (ع):

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور»^(١٠).

ويقول (ع) أيضاً:

«من لم ينجه الصبر، أهلكه الجزع»^(١١).

ويقول (ع) أيضاً:

«إن صبرت صبر الأكارم، وإلا سلوت سلو البهائم»^(١٢).

وفي الدعاء:

«اللهم أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين».

ويقول الإمام الصادق (ع):

«ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحمل الأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة»^(١٣).

(٩) ميزان الحكمة — ج ٥ — ص ٢٦٧.

(١٠) ميزان الحكمة — ج ٥ — ص ٢٦١.

(١١) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ١٩٤.

(١٢) نهج البلاغة — ص ٥٠٢.

(١٣) تحف العقول — ص ٢٦٩.

ويقول الإمام علي (ع):

والبروح على الحاجات والبكر	اصبر من تعب الادلاج والسهل
فالنجاح يتاف بين العجز والضجر	لا تضجرن ولا يجزك مطلبها
المصبر عاقبة محمودة الأثر	انسي وجدت وفي الأيام تجربة
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر ^(١٤)	وقل من جدّ في أمر يطالبه

— كن قنوعاً ، ولا تكن طموحاً

القناعة، هي الخلق المؤدي إلى الرضا بقسمة الله. وعلى ذلك فإن من أسس السعادة، القناعة. فالقانع يشعر بأنه غني دائماً، وبشعوره هذا فهو ناجح، ومبتهج، لا يتسلل الغم إليه، بخلاف الطامعين الذين يعانون من الغم، وعدم استقرار النفس، وبالنتيجة يكون مصيرهم إلى الخسران.

يقول الإمام علي (ع):

«القناعة مال لا ينفد»^(١٥).

ويقول (ع) أيضاً:

«في القناعة الغنى»^(١٦).

ويقول (ع) أيضاً:

«أزرى بنفسه من استشعر الطمع»^(١٧).

ويقول (ع):

وهل عزّ أعزّ من القناعة؟	أفادتني القناعة كل عزّ
وصير بعدها التقوى بضاعة	فصيرها لنفسك رأس مال

(١٤) الديوان المنسوب للإمام علي (ع).

(١٥) نهج البلاغة — ص ٤٧٨.

(١٦) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ٧٢٨.

(١٧) نهج البلاغة — ص ٤٦٩.

تحز ربحاً وتغنى عن بخيل وتنعم في الجنان بصبر ساعة (١٨)



يقال أن كلباً طماعاً تناول قطعة عظم بأسنانه ، وتوجه تلقاء بركة عميقة من الماء ، فوقف محاذياً لحافتها ، وأخذ ينظر إلى صفحة الماء ، فرأى خياله ، فقال : أن قطعة واحدة من العظم لا تكفيني ، ولا يد لي من انتزاع قطعة العظم الأخرى من الكلب الذي في الماء ، فألقى بنفسه في البركة فغرق ، وخسر حياته . وهكذا تكون عاقبة الطمع .



وسئل الإمام علي (ع) عن قوله تعالى : ﴿ فأنصحينه حياة طيبة ﴾ ، فقال : « هي القناعة » (١٩) .

ويقول (ع) أيضاً : (٢٠)

دع الحرص على الدنيا	وفي العيش فلا تطمع
وماتجمع من مال	فلاتدري لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم	وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذي حرص	غني كل من يقنع

فإذا كانت القناعة هي الطريقة الفضلى للرضا في الحياة ، والطمع يجر الإنسان إلى العبن والخسران ، فهل نقنع في حياتنا ؟

(١٨) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) — ص ٧٨ .

(١٩) نهج البلاغة — ص ٥٠٩ .

(٢٠) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) — ص ٨١ .

— الصدق ! الصدق !

الصدق يعني : أن يكون ما تفصح عنه مطابقاً لما في باطنك ، وما تخفيه بين أضلعك ، وأن يكون مطابقاً لما وضعه الله وأمر به .

والصدق أقوى دعائم الإيمان ، وهو كال النبل ، وأخو العدل ، وروح الكلام ، ولسان الحق ، وخير القول ، وزينة الحديث ، وصواب الكلام ، وصلاح كل شيء .

وللصدق حلوة ، ولذة روحية ونفسية ، يفقدها الإنسان الكذاب ، كما أن الكذب — الذي هو ضد الصدق — مذموم صغر أم كبير .

يقول الإمام علي (ع) :

« اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جدّ وهزل ، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجتراً على الكبير » (٢١) .

هذا مع المؤمنين ، والمأمون شرهم من عامة الناس . أما مع الطغاة والمنافقين ، وأعداء الدين والرسالة ، فبعد الصدق في إلقاء الحجة عليهم ، قد يكون الصدق معهم مدعاة لاستغلالهم له ضد المؤمنين .

— مارس المستحبات الإسلامية

من فضل الله ونعمته عليك — أيها الإنسان ! — ان شرع لك أعمالاً مندوبة ، تزيدك ذوقاً وبهاءً وتقرباً إليه . وما أكثر المستحبات الإسلامية ، وفي مختلف المجالات !

ومن سماحة الإسلام ، والروح الحضارية التي فيه أن له آداب في كل شيء ، حتى في دخول الحمام ، والجلوس على المائدة ، والسفر ، والدعاء ، و... والمستحبات بالنسبة للمعتدين تشبه الإطار الجميل المزخرف الذي يزين منظراً من المناظر أو تحفة من التحف .

وما تجدر ملاحظته في كثير من المستحبات الإسلامية ، مسألة الأمر بالتكرار ، فعلى سبيل المثال الاستغفار سبعون مرة بعد ركعتي ليلة القدر ، أو قراءة سورة القدر ألف مرة ، إلى غيرها من التكرارات في المستحبات الأخرى . والراجح أن الهدف من هذه

(٢١) تحف العقول .

التكرارات — بالإضافة إلى ترسيخ مفهوم الطاعة لله والامتثال له في الإنسان — أت تنتقل القيم، والأخلاق، والآداب الإلهية إلى لا شعور الإنسان، وتصبح جزءاً من كيانه وتفكيره، وبالتالي يستقيم عليها.

— السيئة بالحسنة

من أخلاق الإسلام أن إذا أساء أخوك معاملتك، أن ترد إساءته بالإحسان إليه، لأن تسيء إليه.

ولكن — ومع مزيد الأسف — اننا حينما نخطيء علينا الآخرون لانفكر إلا في الانتقام، وربما ردنا الصاع صاعين! فحري بنا أن نعوذ أنفسنا على خلق رد السيئة بالحسنة، ولنقاوم الجموح النفسي لذواتنا، وتتنازل.

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع):
«لا تطالبن مجازاة أخيك ولو حثا التراب بفيك» (٢٢).

— كن شكوراً

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٢٣).

الشكر مفتاح الزيادة والبركة التي ينزلها الله على عباده، والكفران آفة النعم.

فاشكر ربك على كل نعمة، وعلى كل حال، في السراء والضراء، وفي الرخاء والشدة. ولا تكن من الذين يعبدون الله على حرف، فإن أصابهم الخير اطمأنوا به، وإن أصابهم مصيبة انقلبوا على أعقابهم، وخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

واعلم أن شكر الله يولد القناعة، وكفران النعمة يولد الطمع والجشع. والشكر اطمئنان وراحة نفسية، والطمع واللؤم، همّ وغم ومرارة. وإذا رأيت الله — سبحانه وتعالى — يديم عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره، وليكن حذرك منه أن تطيعه، وتشكره.

(٢٢) تحف العقول — ص ٥٥.

(٢٣) إبراهيم — ٧.

يقول الإمام علي (ع) :

«إذا وصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر» (٢٤).

واعلم أيضاً أن شكر المخلوقين من شكر الخالق ف « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق » .

— كن كريماً

الكرم حالة متوسطة بين البخل (الشح)، وبين التبذير (الإسراف).

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٢٥).

وأن تكون كريماً يعني :

١ — أن تكون معطاءً في الحياة، فيما يرضي الله عز وجل.

٢ — أن لا يسيطر عليك حب المال، والمادة، وأن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل.

٣ — أن لا تعطي للبخل — وهو صفة مذمومة — فرصة للتسلل إلى نفسك.

٤ — أن تكون كريماً في العطاء لدينك ورسالتك، حريصاً عليهما.

يقول الإمام علي (ع) :

« كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً » (٢٦).

والكرم صفة تؤدي إلى مثيلاتها من الخلال الحسنة، كما أن البخل صفة جامعة لمساوئ العيوب، وهو رذيلة تقود الإنسان إلى كثير من المساوئ. والكرم يعطي ويعيش سعيداً، مرفهاً، والبخيل يجمع ويعيش تعباً متحسراً، ومن سوء حظّه أنه لا يجمع لنفسه، بل يجمع لغيره بعد مماته. والكرم مبادرة وابتداء فإذا كان عن سؤال فحياء وتذم.

(٢٤) نهج البلاغة — ص ٤٧٠.

(٢٥) الإسراء — ٢٩.

(٢٦) نهج البلاغة — ص ٤٧٤.

يقول الإمام علي (ع):
«السخاء ما كان ابتداءً، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذم» (٢٧).

— لا تكن خجولاً

يقول الإمام علي (ع):
«الحياء مفتاح كل خير» (٢٨).

الحياء الإيماني، هو تلك النسبة من الحياء التي تفرضه طبيعة الإيمان، وتجعل الإنسان يلتزم تقوى الله، إذ إن من لا يستحي يفعل ما يشاء. أما الخجل الزائد فهو حالة مرضية لا بد من علاجها، وهو يؤدي إلى الحرمان، فكم من إنسان انفتحت له الأبواب في مجالات متعددة، وافته الفرص من كل مكان، فمنعه حيائه الزائد من انتهازها!

يقول الإمام علي (ع):
«قرنت الهيبة بالحيية، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السحاب» (٢٩).

— كن محسناً

«إن الله يأمر بالعدل والإحسان».

مجال الإحسان مفتوح، وسعته سعة هذه الدنيا. فكل خطوة تخطوها في الله، وكل عمل تقوم به لمرضاته هو حسنة تذاب عليها.

أرأيت الحجر، تزيحه من الطريق، لكي لا يتعثر الناس به؟ هذه حسنة تؤجر عليها. فأحسن كما أحسن الله إليك، وكما تحب أن يحسن إليك، ولا تحقر عمل الخير مهما كان صغيراً، واسع لأن تجعل من نفسك إنساناً الخدمة العامة للآخرين. أرأيت أولئك المتميزين بالحركة والنشاط، وتقديم الخدمات للآخرين؟ اعمل على أن تكون منهم.

(٢٧) نهج البلاغة — ص ٤٧٨.

(٢٨) شرح الفرر والدرر — ج ٧ — ص ٨٦.

(٢٩) المصدر السابق — ص ٤٧١.

— سارع في الخيرات

من آلاء الله على الإنسان أن فتح له باب المسارعة، والتنافس الشريف، والتسابق النبيل — مع غيره — في الأعمال الخيرة، إذ إن حالة التنافس تساهم بدرجة كبيرة في تحقيق مجموعة أمور منها:

- ١ — بناء النفس والوصول بها إلى درجة عالية من التكامل الإيماني، والخالقي.
- ٢ — رفع مستوى الإنتاج في جميع مجالات الحياة، المادية منها والمعنوية.
- ٣ — السعادة والنجاح في دار الدنيا.
- ٤ — عمارة الأرض، وإقامة الحضارة الإيمانية فيها.
- ٥ — الفوز في الدار الآخرة.

والعجلة — ذاتها — باعتبارها أحد العوامل المؤدية إلى الخطأ في الفكر، والعمل، غير مطلوبة، ولكنها بمعنى المبادرة، والمسارة في المعروف، والخير، مطلوبة ويحث عليها الإسلام.

يقول الإمام علي (ع):

«تعجيل البر زيادة في البر» (٣١).

ولقد أعطى القرآن الحكيم والسنة النبوية، أهمية بارزة لظاهرة التنافس والمسابقة والمسارة في الخيرات، وقد وردت آيات تشجع وتحفز عليها، منها:

قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ (٣٢).

وقوله عز وجل: ﴿ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (٣٣).

وقوله جل وعلا: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (٣٤).

(٣١) شرح الفر والدرر — ج ٧ — ص ٢٣٤.

(٣٢) آل عمران — ١٣٣.

(٣٣) المطففين — ٣٦.

(٣٤) الحديد — ٢١.

وقوله سبحانه: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ (٣٥).

والتنافس — في جميع ميادين الحياة — يجب أن لا يتحول إلى صراع مصالح، أو عدا، ويجب أن يكون شريفاً، وهو لن يكون كذلك إلا إذا كان:

- ١ — يهدف مرضاة الله.
- ٢ — وليس من أجل حب الذات، والسلطة، والمصالح الشخصية.
- ٣ — وبعيداً عن دائرة الانكباب على الدنيا ومتاعها القليل.

— لا تسيء الظن بالآخرين

يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ (٣٦).

ليس من المطلوب منك أن تكون حسن الظن بالناس بشكل مطلق، لأن الناس في هذه الحياة على نوعين:

- ١ — أصدقاء.
- ٢ — وأعداء.

فالأصدقاء، كما يذكرهم الإمام علي (ع) هم:

- ١ — أصدقاؤك.
- ٢ — وأصدقاء أصدقاؤك.
- ٣ — وأعداء أعدائك.

وأعداؤك هم:

- ١ — أعداؤك.
- ٢ — وأعداء أصدقاؤك.

(٣٥) البقرة — ١٤٨.

(٣٦) الحجرات — ١٢.

٣ - وأصدقاء أعدائك .

وبين الأصدقاء، وخاصة أصدقاء الدين والرسالة، والمنطلقات والأهداف الواحدة، يكون حسن الظن هو الحاكم بصورة عامة، ولا يعني أيضاً أن يكون مطلقاً .

وحسن الظن بالآخرين، أرضية جيدة لإقامة العلاقات الإنسانية الخيرة، بينما سوء الظن بهم مدعاة إلى خاقل التوترات، والاستقرار في العلاقات الاجتماعية، وربما أدى إلى الحقد والقطيعة والعداوة .

فقد تسمع كلمة من أخيك، فلا تجعل منظارك موجهاً لسوء الظن به، فربما كانت هذه الكلمة في غير المعنى الذي تتصوره، واحمله على محمل الخير، وكثيراً ما نسمع الكلام من الآخرين فنسيء الظن بهم، ثم يتبين لنا أن ما كانوا يعنونه من كلامهم ليس إلا الخير .

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابته الحسن (ع) :
« ... ولا يغلبن عليك سوء الظن فإنه لا يدع بينك وبين خايل صلحا، وقد يقال : من الحزم سوء الظن » (٣٧) .

ويقول (ع) أيضاً :
« لاتظن كلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً » (٣٨) .

وجاء في الحديث الشريف بما مضمونه :
« احمل أخاك المؤمن على سبعين محملاً » .

وثمة نقطة هامة، انه في بعض الحالات الخاصة، يستدعي أن يترث الإنسان، وأن لا يحسن الظن بشكل عفوي . فربما أحسن الظن في شخص هو في الظاهر صديق، ولكنه في الواقع عين لحكومة ظالمة، أو شخص طالح .

أما بالنسبة للتعامل مع الأعداء (أعداء الدين والرسالة) فلا مجال لحسن الظن، وحسن الظن بهم يعني الانخداع، والوقوع في شراكهم، وربما أدى الأمر إلى الهزيمة .

(٣٧) تحف العقول - ص ٥٣ .

(٣٨) نهج البلاغة - ص ٥٣٨ .

وفي الوقت الذي ليس مطلوباً من الإنسان أن يسيء الظن بالآخرين، فإنه من المطلوب منهم أن لا يضعون أنفسهم مواضع التهمة لكي لا يساء الظن بهم.

يقول الإمام علي (ع):

«من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن» (٣٩).

— أوف بوعودك ، وعهودك

يقول الإمام علي (ع):

«إذا وعدت فأأنجز» (٤٠).

ويقول (ع) أيضاً:

«إن العهود قلائد في الأعناق إلى يوم القيامة فمن وصلها وصله الله» (٤١).

من صفات المؤمن الحكيم أنه وفّي بوعده، وعهده، ومن صفات المنافق أنه يخلف لهما. إن البعض قد يستهين بالوعد، ولا يعطيها أهميتها، وقد يتذرع بالشرع في خلفه لها، ولكنه بذلك يرتكب الأمور التالية:

١ — العمل خلاف ما أمر الله به من الالتزام بالأخلاق ومنها احترام المواعيد والوفاء بها.

٢ — تضييع الفرصة، والوقت على الطرف الآخر.

٣ — التقصير في تقدير الطرف الآخر، لأن الوفاء بالوعد تقدير له.

ومن الظواهر السلبية، أن قسماً من الناس يتعامل مع الوعد وكأنه كلمات تنطق في حينها، سرعان ما تتبخّر. والأنكى من ذلك أن قسماً آخر يمدح الإنجليز لاحترامهم المواعيد! وينسى أن الإسلام هو دين احترام الوعد والعهود والمواثيق.

وهكذا الحال بالنسبة للمعهد، فإذا تعاهدت مع الله، أو مع نفسك، أو مع أي إنسان آخر، فيأزم أن تكون وفياً بعهدك طالما أن عهدك لم يحلّ حراماً، ولم يحرم حلالاً. وإيكن

(٣٩) نهج البلاغة — ص ٥٠٠.

(٤٠) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٤٠٧.

(٤١) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٤٠٧.

الوفاء بالوعد، والعهد عادة وتقليداً فيك، لكي لا تكون من «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل» (٤٢).

يقول الإمام علي (ع):
«اعتصموا بالذم في أوتادها» (٤٣).

— لا تغتب

بلا تردد أنك لا تستيغ أن يقدم لك جسد أخيك وهو ميت لكي تأكل منه، وتنفر من ذلك أيما نفور، لأنه أخوك وحرام وميتة.

فهل تتصور أنك إذا اغتبت أخاك، فكأنما أكلت من جسمه وهو ميت؟

إن «الغيبة ادام كلاب أهل النار» (٤٤)، وهي من الكبائر، فلا تغتب، وكن حذراً في هذا المجال. فمثلاً: إذا كنت في مجلس يشجعك على الكلام এমন هو غائب، فليكن لك موقف من هذا المجلس، ولا تتخرج من أن تقول للمغتائبين — وبأسلوب مناسب —: هذه غيبة، وغيبة المؤمن حرام.

وما يحدث في الواقع، أن قسماً من الناس حين يرون من يجالسهم يتكلم عن أناس غياب، تراهم يتشجعون للمشاركة في الغيبة، بدلاً من اتخاذ الموقف منها، وخاصة إذا كان بين المشاركين والغائبين سوء تفاهم، فيكون الوقت عندهم قد حان للانتقام الكلامي من الغائبين!



ومن القصص التي تذكر في باب الغيبة، واتخاذ الموقف منها، أن أحد علماء الإسلام

(٤٢) سورة البقرة — ٢٧.

(٤٣) شرح الفرر والدرر — ج ٧ — ص ٢٨٥.

(٤٤) تحف العقول.

المتقدمين كان حاضراً في مجلس، وكان بالمجلس حضور، يتداولون الأحاديث، الممزوجة بالغيبة.

فما كان من العالم إلا أن تناول عباءته، وفرّ من مكانه فجأة، وخرج من المجلس مهرولاً، ودموعه تتقاطر على صفحات خدوده. فاستغرب من كان حاضراً ولحقه أحد الحاضرين، وحينما وصل إليه سأله:

شيخنا العزيز! ما الذي دعا بك إلى ترك المجلس وأنت تبكي؟! وهل ضايقتك أحد، أو أساء معاملةك؟!

فقال العالم: إنني لست مستعداً للجلوس في مجلس تؤكل فيه لحوم البشر! وهكذا عبّر هذا العالم الصالح عن رفضه القلبي، والعملي لهذا الخلق السيء، وهو الغيبة، بمغادرة المجلس، والبكاء الراض لغيبة المؤمن.



يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٤٥).

ويقول الإمام علي (ع):
«الغيبة جهد العاجز» (٤٦).

ويقول الإمام الباقر (ع):
«من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، فأما الأمر الظاهر منه مثل الحدة والعجلة فلا بأس أن تقوله، وإن البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه» (٤٧).

(٤٥) سورة الحجرات — ١٢.

(٤٦) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٣٩٧.

(٤٧) تحف العقول — ص ٢١٨.

— لا تميم —

يقول تعالى : ﴿ هَازِمْهُمْ وَبِغِزٍّ مُبِينٍ ﴾ (٤٨) .

التميمة هي الوشاية، وإذاعة ما يكره الطرف الآخر إذاعته، ومثال ذلك أن يلتقي شخص بشان فيتحدث له . ثم يقوم الثاني بنقل ما قاله الأول ، من الأمور التي يكره أن تنشر . والتميمة تؤدي إلى نشوء الأحقاد، وتصدع العلاقات بين الأصدقاء، وهي أسوأ الصدق .

يقول الإمام علي (ع) :

«إياك والتميمة فأنت تزرع الضغينة، وتبعد عن الله والناس» (٤٩) .

ويقول (ع) أيضاً :

«من نقل إليك نقل عنك» (٥٠) .

— لا تظلم أحداً —

يقول الإمام علي (ع) :

«العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة» (٥١) .

ويقول (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) :

«ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم» (٥٢) .

من صفات المؤمن أنه لا يعتدي على أحد، ولا يظلم . وقد يتصور أحدنا أن الظلم محصور — فقط — في ظلم الحاكمين لبني البشر .

(٤٨) سورة القلم — ١١ .

(٤٩) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٣٩٧ .

(٥٠) المصدر السابق — ص ٣٩٧ .

(٥١) تحف العقول — ص ١٥١ .

(٥٢) تحف العقول — ص ٥٠ .

وفي الحقيقة أن ظلم الحاكمين لبني الإنسان ليس بالأمر العادي، بل هو قضية تستدعي الرفض، والتغيير.

وأغلب الصراعات التي نشبت وتنشب في عالمنا، بين الحكام والمحكومين، من أسبابها الرئيسية ظلم الحكام، للمحكومين، بالإضافة إلى عوامل أخرى، كـمخالفة الدين والتستر وراءه، وسوء توزيع الثروات، وظهور الفساد.

ولا ننسى أن المبادئ والمعتقدات دوراً أساسياً في الصراع، فالمسلم يؤمن بأن الإسلام هو خاتمة الأديان، وهو رسالة الحياة. فإذا ما رأى أن جهة ما تنتهك هذا الدين، وتزيفه، وتشيع الفساد، والانحراف الأخلاقي فإنه يعلن رفضه لها من أجل صنع واقعي إسلامي سوي عادل.

والمسلم في مواجهته المظلم والطغيان لا ينطلق من نظرة أحادية الاتجاه كتغيير الواقع الاقتصادي — مثلاً — كما في الماركسية، حيث تعتقد أن الاقتصاد مسير التاريخ. صحيح أن الاقتصاد القوي، وتوزيع الثروة العادل، من الأهداف الرئيسية للإسلام، إلا أن نظريته للحياة نظرة شاملة، فهو لا يرى من المجدي أن يكون الاقتصاد متقدماً بينما لا يزال الناس على انحرافهم واعتناقهم للقيم الزائفة. وإنما يرى أن الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والتربية، والاجتماع، و... كلها يجب أن تكون إسلامية، وهي بمثابة الفروع لنهر واحد.

نعود إلى قضية الظلم، فنذكر:

ان هناك نوعاً آخر من الظلم، قد يغفل عنه الإنسان، أو قد يستهين به، وهو عند الله من الموبقات الكبيرة، وهو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان بصرف النظر عن قضية الحاكم والمحكوم.

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسين:
«يا بني! بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

فأنت وأنا في علاقاتنا مع الناس قد يحدث أن نظلم أحدهم، فلا نظن أن ذلك أمراً عادياً فلربما كان أخطر من ظلم المستكبرين والظالمين للشعوب. لأنهم إن ظلموا فعنوانهم أنهم

ظلمة، ولكن بالنسبة للمؤمن من أوليات التزاماته أن لا يظلم الناس، ولا ينال من حقوقهم شيئاً.

ولا نتصور أن ظلم الآخرين ينحصر — فقط — في القضايا الكبيرة كالاعتداء على أعراضهم، وغصبهم أموالهم، فرب موقف مستعجل غير مدروس نتخذه من إنسان، فنحمله بعض التبعات، هو عند الله ظلم كبير نستحق عليه العقاب في يوم الجزاء الأكبر. ويعتبر المسان — إذا أسيء استخدامه — وسيلة خطيرة لظلم الناس، والجور عليهم. وأفحش الظلم، ظلم الضعيف. فظلمك لزوجتك، هذا الإنسان الشريك لك في الحياة، والذي ربط مصيره بمصيرك، لا تحسبن أنه أمر عادي.

ومن موارد الظلم ومسبباته، التعجل، فلا تتعجل في إطلاق الأحكام في الأحداث التي تواجهك في الحياة، وخاصة تلك التي يترتب عليها ظلم الأشخاص، فمن شأن هذه العجلة أن تسبب لك ندامة وحسرة، يتألم لها قلبك وشعورك، وعليك بالتروي، فما وراء العجلة إلا الأسف والحسرة والندم!

— اعمل المعروف وإن لم تشكر —

الناس من جهة أداء الأعمال في مقابل الشكر على نوعين:

- ١ — نوع يعمل المعروف وينتظر الشكر.
 - ٢ — وآخر يعمل المعروف، ولا يدقق في تقديم الناس، الشكر له.
- والناس من زاوية تقديم الشكر على نوعين أيضاً:

- ١ — نوع يقدم الشكر للآخرين على أعمالهم.
- ٢ — وآخر لا يقدمه لهم.

فأنت حينما تقوم بالأعمال الحيرة، ضع في قرارة نفسك أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. فإذا عملت عملاً ولم تُشكر عليه، فلا تتعقد، ولا تنذر، بل اخلق في نفسك روح التفاعل في إنجاز الأعمال حتى مع عدم تقديم الشكر لك.

والتاريخ يروي أن السيد المسيح (ع) داوى عشرة من المرضى في وقت واحد، ولم يتلق

كلمة شكر واحدة من أحدهم، لكن ذلك لم يكن مانعاً له من الاستمرارية والتفاعل في عمل المعروف.

بل لا يستبعد — في بعض الأحيان — أن تقوم بعمل خيّر للآخرين، وبدل أن يقدموا لك الشكر، قد لا يحسنوا إليك، وقد يتهموك، فوطن نفسك على الاحتمال.

من ناحية أخرى، من غير الجيد لنا أن نجحد ما ينجزه الآخرون لنا من أعمال ولا نشكرهم عليها، سواء تلك التي ترتبط بنا بشكل مباشر أو غير مباشر.

فكأمة الشكر التي نقدمها للآخرين لا تكلفنا شيئاً، بل وتعمل على أن يصعد الآخرون من أعمالهم، وتجعلهم يندفعون، ويثقون بأنفسهم أكثر، خاصة إذا كان الشكر في محله.

يقول الإمام الصادق (ع):

« اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا إزالة للنعم إذا شكرت، ولا إقامة لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الفقر » (٥٣).

ويقول الإمام علي (ع):

« لا يزهديك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكره عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، والله يحب المحسنين » (٥٤).

— لا تتواضع لغني لغناه

مهما ازداد الإنسان غنى في الماديات كالأموال والممتلكات، فإنه يبقى إنساناً، عليه من الحقوق كما له. وأمواله وممتلكاته ليست مبررات لأفضليته على الآخرين، فلا أفضالية له عليهم إلا ببقواه.

يقول تعالى: ﴿ إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾ (٥٥).

(٥٣) تحف العقول — ص ٢٦٧.

(٥٤) نهج البلاغة — ص ٥٠٥.

(٥٥) الحجرات — ١٣.

ومن هنا لا يجوز لإنسان أن يتواضع لغني لذات حالة الغنى التي هو عليها ، فالإسلام لا يميز تقدير الأموال والممتلكات على حساب المبادئ والقيم ، والعلاقات ، والتعامل فيما بين الناس .

يقول الإمام علي (ع) :
« ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه ، ذهب ثلثا دينه » (٥٦) .

ويقول (ع) أيضاً :
« ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ! وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله » (٥٧) .

— إذا ظن الناس بك خيراً

فيما يرتبط بظنون الناس بك ، لا تكن سلبياً فتعتبر أن كل ما يظنه الناس بك ، سوءاً ، ولا تجعل على عينيك زجاجة سوداء فتري كل ما يحسبه الناس فيك معتماً .

فمثلاً إذا ظن بك الآخرون أنك خلوق أو أنك ذو كفاءة إدارية ، فصدق هذا الظن فيهم ، وحتى لو لم تكن كذلك ، فاجعل ظنهم بك وسيلة لتغيير نفسك إلى الأفضل .

يقول الإمام علي (ع) :
« من ظن بك خيراً فصدق ظنه » (٥٨) .

— كن صادق النية مخلصها

كثيراً ما ركز القرآن الحكيم على إخلاص النية ، لأنها شرط رئيسي لقبول الأعمال .
فالله سبحانه وتعالى — قبل أن ينظر إلى أعمالنا ، ينظر في نياتنا ، لأن النيات هي القصد ، والدوافع للأعمال ، فقد يندفع الإنسان لأداء عمل معين ابتغاء وجه الله ، وهذا وفق

(٥٦) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة — ص ١٣٣٢ .

(٥٧) نهج البلاغة — ص ٥٤٧ .

(٥٨) نهج البلاغة — ص ٥١١ .

ما أمرنا الله به، وقد يندفع لأداء عمل خيّر، ولكن نيته غير صالحة، أو مشوبة بمقاصد أخرى، وهنا تكمن المشكلة.

إن الله — عز وجل — لا ينظر إلى صورنا وأجسادنا، وإنما ينظر بالدرجة الأولى إلى قلوبنا (مركز انبعاث النوايا)، ومن ثم إلى أعمالنا. وعليه فكل عمل نقوم به، يجب أن نبتغي به وجه الله وحده.

فما فائدة الصور الجميلة، والمظهر المهندم بدون النية الصادقة؟

وما فائدة الأعمال — وإن كثرت — بدون الإخلاص؟

يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (٥٩).

فهلاً نخالص في أعمالنا؟

— اصلح سريرتك —

لا تكن في ظاهرك مع الناس ذلك الإنسان البار الصالح، وفي داخلك ذلك الوحش الضاري، واعلم أن الله — سبحانه وتعالى — يدخل الناس الجنة على صدق النية، وحسن السريرة.

يقول الإمام علي (ع):

«من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته» (٦٠).

ويقول الإمام الباقر (ع):

«من كان ظاهره أرجح من باطنه، خف ميزانه» (٦١).

— لا تعجب بنفسك —

ماذا يحدث للأسنان حي تدهمها آفة التسوس؟

(٥٩) البينة — ٥.

(٦٠) نهج البلاغة — ص ٥٥١.

(٦١) تحف العقول — ص ٢١٤.

وماذا يحدث الأشجار حينما تصاب بآفة الزرع؟

الأسنان تنخر، والأشجار تتلف.

وهكذا يفعل العجب بالإنسان، فهو آفة قاتلة لكثير من الأمور فيه، فهو آفة العقل، والعلم، والإخلاص، والازدياد، والتقدم. فكم من عالم وصل إلى درجة متقدمة من العلم فأعجب بعلمه، فتوقف عن الازدياد في العلم، وسبقه آخرون، إن لم يكن قد سقط إلى أسفل سافلين! وكمن إنسان تخلق بالأخلاق المحمودة فأعجب بنفسه فأصبح من المنحرفين أخلاقياً!

فإذا كان الأمر كذلك، فلا تعجب بنفسك مهما أوتيت من العلم والجسم والأخلاق، والمال، و... فإن من شأن العجب أن يحدث عدداً تنازلياً في رُسمك البياني.

يقول الإمام علي (ع):

«الإعجاب يمنع الازدياد» (٦٢).

ويقول أيضاً:

«الإعجاب ضد الصواب، وآفة الأبواب» (٦٣).

ويقول (ع) أيضاً:

«سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك» (٦٤).

«من أعجب برأيه ضل» (٦٥).

— لا تتكبر، ولا تفخر —

لكي تكون تصرفاتك حكيمة يلزمك — مهما كان نصيبك من المال، والعلم، والأخلاق، ووسائل الرفاه — أن تكون متواضعاً، لا متكبراً كالطاووس، ولا مفاخرراً كالديك،

(٦٢) نهج البلاغة — ص ٥٠٠.

(٦٣) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٢٣٢.

(٦٤) نهج البلاغة — ص ٤٧٧.

(٦٥) شرح الغرر والدرر — ج ٧.

ولا ذا زهو وخيلاء، واعلم أن الناس تمقت من يتكبر ويتفاخر عليها، وتحب من يتواضع إليها، كما صفحة الماء تحب من ينحني إليها متواضعاً، وكما سنبلة القمح المثقلة بالحبّ، تنحني ولكنها ذات ثمرة كبيرة.

يقول الإمام علي (ع):
«ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك» (٦٦).

ويقول أيضاً:
«ما لابن آدم والفخر: أوله نطفة وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه» (٦٧).

— طر بهمتك

في حياتك، وفي تعاملك مع الأعمال الخيرة التي تقوم بها، كن ذا همة، ونشاط، ومبادرة، ولا تكسل، ولا تتواني، ولا تخمل، فالدنيا لمن يتصفون بعلمو الهمة.

واعلم أن كونك مؤمناً لا يعني أن إيمانك بديل عن همتك، بل ليكن إيمانك المحرك لك، والمحرض الذي يصعد من نشاطاتك.

يقول الحديث الشريف:
«يطير المرء بهمته كما يطير الطير بجناحيه» (٦٨).

ويقول الإمام علي (ع):
«قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيخته» (٦٩).

ويقول أيضاً:
«من أطاع التواني، ضيع الحقوق» (٧٠).

(٦٦) نهج البلاغة — ص ٥٤٦.

(٦٧) نهج البلاغة — ص ٥٥٥.

(٦٨) وسائل الشيعة.

(٦٩) نهج البلاغة — ص ٤٧٧.

(٧٠) المصدر السابق — ص ٥١٠.

ويقول أيضاً :

« من قصّر في العمل ابتلي بالهم »^(٧١) .

ومن هنا فإن الهمة في إنجاز الأعمال — وبحكمة — أفضل طريقة لإنجازها ، والتخلص من المتاعب النفسية التي تنجم عن التقصير فيها .

ويقول الشاعر :

ما عذر من بلغ العشرين إن هجمت
عيناه عن طاعة أو عاقه كسل .

— كن ذا مروءة

المروءة هي النخوة ، والحماسة ، وكال الرجولية . والإنسان المريء (ذو المروءة) بطبيعته إنسان مبادر ، لا يقبل الضيم والظلم . وحينما ينحى لعمل خير ، يتقدم بكل رجولة وحماس .

سئل الإمام الحسن (ع) عن المروءة فقال :
« شحّ الرجل على دينه ، وإصلاحه ماله ، وقيامه بالحقوق »^(٧٢) .

وقيل للإمام الصادق (ع) : ما المروءة ؟ فقال :
« لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك »^(٧٣) .

— كن شجاعاً

الشجاعة ضد الجبن ، وهي الجرأة ، والإقدام ، وشدة القلب عند البأس . وهي ليست محصورة في ميادين الحرب ، بل كثير من ميادين الحياة — إن لم يكن كلها — بحاجة إلى الشجاعة .

فالتاجر لا يكون تاجراً إلا بخوض غمار التجارة والاستعداد لاحتتمالات الربح والخسارة .

(٧١) المصدر السابق — ص ٤٩١ .

(٧٢) تحف العقول — ص ١٦٦ .

(٧٣) المصدر السابق — ص ٢٦٧ .

والجندي لا يكون شجاعاً إلى إذا خاض المعركة ، ووطن نفسه على تلقي إحدى النتيجةين :
النصر ، أو الهزيمة ، والمتعلم لا يتقدم إلا إذا كان شجاعاً في المسألة والمباحثة .

يقول الإمام علي (ع) في الشعر المنسوب إليه :

يا طالب الصفو في الدنيا بلا كدر	طابت معدومة فأيأس من الظفر
واعلم بأنك ماعمرت ممتحن	بالخير والشر والميسور والعسر
أنى تنال بها نفعاً بلا ضرر	وأنها خلقت للنفع والضرر
في العجب عار وفي الإقدام مكرمة	ومن يفرّ فلن ينجو من القدر ^(٧٤)

— كن عفيفاً —

أن تكون عفيفاً يعني : أن تكف عما لا يحلّ أو لا يجمل .

يقول الإمام علي (ع) :

« العفاف زينة الفقر »^(٧٥) .

ويقول الإمام علي بن الحسين (ع) :

« ما من شيء أحب إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج ، وما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل »^(٧٦) .

— كن غيوراً —

الغيرة أن تكون ذا نخوة ، وحرص على عرضك ، ودينك ، ورسالتك .

إن غيرة الإمام الحسين (ع) على دينه ورسالته هي التي جعلته يسترخص نفسه ، ويقدمها قرباناً على مذهب الغيرة والمروءة .

(٧٤) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) .

(٧٥) نهج البلاغة — ص ٤٧٩ .

(٧٦) تحف العقول — ص ٢٠٤ .

— افش السلام ، ورد التحية

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَامِ كَافَّةً ﴾ (٧٧) .

وقال رجل للإمام الحسين (ع) ابتداءً : كيف أنت عافاك الله ؟

فقال (ع) له : « السلام قبل الكلام عافاك الله » . ثم قال (ع) : « لا تأذنوا لأحد حتى يسلم » (٧٨) .

الإسلام هو دين السلام ، والصلح ، وليس دين الحرب . ومن هنا فإن الحرب في الإسلام لا لذاتها فهي ليست هدفاً ، وإنما هي من أجل الدفاع عن الإسلام وعمّن يعتنقه .

إن شعار الإسلام هو كلمة « السلام » ، وما أسهلها ، وما أجملها من كلمة ! إنها تعني إعلان حالة الصلح والسلم والوئام مع من تلقاه وتجتمع إليه . ومع سهولتها فأنك تجد من الناس من يتناقل في التفوه بها ، أو يستصعب الرد عليها ، وربما لا يعطيها أدنى اهتمام . ومن تعظيم الإسلام للمسلم أن جعل رده واجباً ولو في أثناء الصلاة .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِمَ بِتَحِيَةٍ فَمُحِوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا ﴾ (٧٩) .

ويقول الإمام الحسين (ع) :

« والبخيل من بخل بالسلام » (٨٠) .

ومن الأمور المرافقة للمسلم ، المصافحة ، وهي تجاو عن القلب ترسبات الحقد والضغينة والكراهية .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة (الحقد) » (٨١) .

(٧٧) سورة البقرة — ٢٠٨ .

(٧٨) تحف العقول — ص ١٧٥ .

(٧٩) سورة النساء — ٨٦ .

(٨٠) تحف العقول — ص ١٧٧ .

(٨١) المصدر السابق — ص ٢٦٨ .

— كن حازماً —

الحزم هو التخطيط والإعداد باعتبار النتائج والعواقب والأهداف . ففي كل عمل ، أو مشروع لك — مهما كان نوعه — اعمل على أن تكون حازماً فيه ، أي مخططاً ومعداً — لكي تأتي عواقب التنفيذ إيجابية ومثمرة ، من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة .

فمثلاً : إذا أردت أن تنشئ مبنى ، فالمطلوب منك أن تخطط له من جميع النواحي التي تخصه ، ومنها :

- أن تختار الموقع المناسب الذي يتلاءم والهدف من إنشائه .
- تقدير تكاليف المبنى الكلية والجزئية لكي تكون على هدى من أمرك في الجانب المالي .
- اختيار أفضل التصميمات المعمارية المقترحة للمشروع .
- اختيار المنفذ الجيد له .
- تحقيق المراقبة الجيدة .

مثال آخر :

وإذا شئت الظروف لك أن تكون مبلغاً إسلامياً في بلد معين ، فيلزمك آنذ أن تكون حازماً في مهمتك لكي تكمل بالنجاح ، ومما هو مطلوب منك ، أن تقوم بالآتي :

- القيام بعملية استكشاف عامة للبلد .
- انتخاب أفضل منطقة تناسب المهمة ومن عدة نواحي .
- تأسيس علاقات تساعد أو تسهم في هذه المهمة .
- اختيار أنسب الأفراد (الأفراد الذين يبدون تفاعلاً مع المهمة) .

مثال ثالث :

والجماعات الإسلامية المنظمة العاملة ، إذا أرادت الانتصار على أعدائها فإنه يلزم لها أن تكون حازمة ، وتعمل بما يسمّى في الاصطلاح الحديث : التخطيط الاستراتيجي .

يقول الإمام علي (ع):

«الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتمحصين الأسرار»^(٨٢).

(٨٢) نهج البلاغة — ص ٤٧٧.

في الثقافة

— تتقف بالإسلام أولاً

من أساسيات تكوين المسلم لشخصيته أن يتتقف بالثقافة الإسلامية أولاً، لأنها ثقافة دينه، الأصيلة وهي التي تؤسس كيانه الإسلامي.

ومن الخطأ الفادح أن يبدأ المسلم بمطالعة الثقافات الأخرى من شرقية وغربية، وغيرها، وينسى ثقافته الإسلامية، لأن هذه الثقافات ثانوية بالنسبة له من جهة، ومن جهة أخرى قد تشكل خطراً عليه خاصة في المجال العقيدي الإيديولوجي فيما إذا لم يتأسس بالثقافة الإسلامية.

وبناءً على ذلك يمكن القول: ان من أسباب انحراف كثير من شباب المسلمين إلى الشيوعية، والثقافة الغربية، اطلاعهم على هذه الثقافات واتخاذهم أو انتهازم بها، قبل الاطلاع على ثقافة الإسلام. بالإضافة إلى أن أسلوب عرض الثقافة الإسلامية لم يكن بالصورة

التي ترغب الشباب المسلم وتحتويه، الأمر الذي جعل قسماً منه ينحرف مع تيارات ثقافية وسياسية تملأ حالة الفراغ الذي كان يعيشها.

ومن أخطر المشاكل الثقافية والعقائدية التي قد يصاب بها المسلمون، قراءتهم ثقافات وعقائد غيرهم أولاً، فيتأثرون ببعض أفكارها، وينسبونه إلى الإسلام، فيصبح ما يعتقدون به خليطاً من الإسلام، والثقافات الأخرى. أو قد يكونوا قد قرأوا الإسلام، وأرادوا الاطلاع على الثقافات الأخرى، فأخذوا منها ما يتنافى وثقافة الإسلام وعقائده ظناً منهم بأن ما أخذوه لا يتناقض معها. ويعتبر (المسلمون الليبراليون) — إن صح التعبير — ضحية هذا النوع من التثقف. فهم مسلمون ولكنهم يؤمنون بأن قسماً من أطروحات الإسلام ليست صالحة للتطبيق في هذا الزمن، فيأخذون عوضاً عنها من الشرق أو الغرب.

ومن هنا يلزم للإنسان المسلم إذا أراد القراءة في الثقافات الأخرى، أن يقرأها بوعي، وحذر، وبقطة، وعقلانية لا بعاطفة. وإن لا يسلم — شعورياً أو لاشعورياً — بما تطرحه من أفكار وآراء، في جميع المجالات، خاصة تلك الأفكار التي تخالف جوهر الدين وأصوله، وأطره. ولتكن قراءته لها قراءة نقد، ومقارنة، وإطلاع، وتفتيش عما لا يخالف الإسلام للاستفادة منه.

ومن فوائد القراءة في الثقافات الأخرى بعد قراءة ثقافة الإسلام:

١ — القيام بعملية المقارنة بينها وبين الإسلام، للاستفادة منها، ولتلافي عملية الالتقاط والخلط.

٢ — معرفة القواسم المشتركة بين ثقافة الإسلام والثقافات الأخرى.

٣ — امتلاك القدرة على مناقشة معتنقي تلك الثقافات، والعقائد، وتوضيح ثقافة الإسلام ومعتقداته لهم، لأنه لا يمكن دحض الإيديولوجيات والثقافات الخاطئة إلا عن طريق قراءتها ودراستها واستيعابها.

أما في مجال العلوم والقضايا العقلية التي لا تناقض الثقافة الإسلامية فإن الإسلام لا يختلف مع غيره فيها. فهو يؤمن بالتقدم العلمي، والتكنولوجيا، والاكتشافات، والاختراعات، ويضع كل ذلك في إطاره الشرعي.

وبكلمة : إن الإسلام عقيدة ، وثقافة مستقلتين ، وإذا رأينا الآخرين يقومون بأمر جيد لا تتنافى وديننا ، فلا يعني أنهم أوجدوها ، ووضعوها بأنفسهم ، بل يعني أنهم أخذوها من الإسلام نفسه أو من الكتب السماوية الأخرى قبل تحريفها . بالإضافة إلى عملية التجديد ، والتحديث ، والكشف تأتي بأمور كثيرة ، قسم منها لا يتناقض والدين .

ولنضرب على ذلك مثالين بسيطين جداً :

إن كلمة « رفيق » يستخدمها الماركسيون الشيوعيون الناطقون بالعربية بكثرة ، وربما يتصور بعض المسلمين أن هذا المصطلح ملك الماركسيين ، وحكر عليهم فلا يتجرأ بأن ينادي أخاه بالرفيق !

ولو تأملنا لوجدنا أن هذا المصطلح مصطلح إسلامي ، إذ إن الإسلام دين الرفق ، والرفقة ، وهو مرسل من الرفيق الأعلى . ويقول القرآن في إحدى آياته : ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾^(١) .

وكلمة « نضال » قد يظن البعض أن هذه الكلمة — هي الأخرى — خاصة باليساريين والشيوعيين ، ولكنها ليست كذلك . فالنضال من أجل الدين يعني : الدفاع عنه ، ونصرته ، وحمايته ، ومغالبة أعدائه .

صحيح أن هناك مصطلحات إسلامية أشمل من النضال ، كـ « الجهاد » ، ولكن لا يعني — بأي شكل من الأشكال — أن « النضال » ليس مصطلحاً إسلامياً ، وإن لم يرد لفظه في القرآن صراحة .

وقس على هذا كثير من الأمور الأخرى ، وفي أكثر من مجال .

يقول الإمام علي (ع) إلى معاوية :

« ... فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر ، أو داعي مسدّده إلى النضال ... »^(٢) .

ويقول (ع) أيضاً :

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة — ص ١٢٣٤ .

(٢) نواب الدهر ، والصبر يناضلها أي يدافعها .

«... والصبر يناضل الجِدْثان، والجزع من أعوان الزمان...» (٣).

— تفقه في دينك

يقول الإمام الصادق (ع):

«تفقهوا في الدين فإنه من لم يتفقه منك فهو اعرابي. إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾» (٤).

ويقول الإمام الباقر (ع):

«الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائية، وتقدير المعيشة» (٥).

ويقول الإمام الكاظم (ع):

«تفقهوا في دين الله فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدين والدنيا. ففضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً» (٦).

ليس من المطلوب من كل إنسان مسلم أن يتفقه إلى درجة الاجتهاد، والقدرة على استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية. إذ من غير المعقول أن يفرغ الناس كلهم للاجتهاد، ولو تفرغوا لتعطلت مسيرة الحياة، فهي كل متكامل، والاجتهاد جزء منها. وبناءً على ذلك جعله الإسلام واجباً كفائياً، أي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

وفي الوقت الذي جعل الإسلام، الاجتهاد واجباً كفائياً، فإنه أوجب على كل مسلم أن يتعلم المسائل الشرعية التي يتبلى بها في حياته، وأن يقلد فقيهاً مرجعاً جامعاً للشرائط.

فتفهم كل المسائل الفقهية التي تواجهك في الواقع، وحاول أن تحفظ، أو تدون كل مسألة شرعية تبتي بها، لكي تسأل عنها، وتلقى الإجابة عليها.

(٣) المصدر السابق— ص ١٢٣٤.

(٤) بحار الأنوار— ج ١— ص ٢١٥.

(٥) تحف العقول— ص ٢١٣.

(٦) المصدر السابق— ص ٣٠٧.

واعلم أن التفقه في الدين — دراسة — يوسع من فكرك، ومستوى طرحك الفكري، ويفتح لك آفاقاً جديدة. فاقراً في الفقه، وإذا استطعت فاقراً في العلوم المرتبطة به كالمناطق والأصول والنحو.

ومن الأمور الجديرة بالذكر هنا، أن كثيراً من المسلمين في صدر الإسلام إن لم يكن معظمهم كانوا يعملون، ويخوضون غمار الغزوات مع الرسول (ص)، والحروب مع الإمام علي (ع) وهم فقهاء عارفون بدينهم. وهذا درس، خليق بالجماعات الإسلامية العاملة أن تأخذ به على صعيد المراتب التي تلي القيادات الدينية لهذه الجماعات، لكي تكون هذه الأخيرة دينية شاملة.

— تتقف عموماً

بعد أن تتقف بثقافة الإسلام، من الحكمة أن تطلع على الثقافات الأخرى، لأن الاطلاع عليها يحقق لك مايلي:

- ١ — زيادة وعيك ومعرفتك بهذا العالم.
 - ٢ — التعرف على منجزات الثقافات الأخرى للاستفادة من الخير منها.
 - ٣ — تسهيل التعامل مع أصحاب تلك الثقافات.
- ومن الجيد للإنسان أن يقرأ الكتب والمجلات والصحف النافعة، وأن يستفيد من وسائل الإعلام الأخرى بأن يغربلها وينخلها، فيأخذ الطيب منها، ويسخره لخدمة حياته، ودينه ورسالته، ويترك الخبيث، والرديء.

— تعرف على أفكار الآخرين

الانفتاح على أفكار الآخرين وسيلة جيدة لأن يوسع الإنسان أفق ثقافته، ولكي يناقش الآخرين في أفكارهم إذا دعت الحاجة، والجهل بأفكارهم طريقة خاطئة لمناقشتهم في ما يعتقدون به من أفكار ونظريات.

— كن مبدئياً قيمياً —

كل شيء مادي في هذه الحياة يصبح عادياً، سواء كان زهيداً أو ثميناً، كبيراً أو صغيراً، نفيساً أو غير ذلك، إلا المبادئ والقيم الإلهية فأنها لا تصبح عادية، وهي دائماً متجددة .

— اصنع مكتبة —

يخطئ خطأ فادحاً من يرضّ الكتب، ويصفها من أجل الزينة . إن الكتاب وسيلة الفكر والثقافة والإفادة، عن طريقها تتوسع دائرة وعي الإنسان، والآخرين .

— استكشف المكتبات —

حينما تمرّ بمكتبة لا بأس أن تقف عندها وتستكشفها، فاستكشف المكتبات، والاطلاع على عناوين وفهارس كتبها من الممارسات الحضارية للإنسان .

— اسأل —

حاول أن تسأل عن كل شيء تجهله في الحياة، ماعدا تلك الأمور التي إن سألت عنها أسألتك، فالسؤال يحقق لك مجموعة أمور منها :

— الشجاعة، وكسر الحواجز النفسية التي تمنعك من السؤال .

— التعرف على معرفة كنت تجهلها .

— التخلص من معاناة الجهل بهذه المعرفة .

— توسع دائرة وعيك ومعرفتك بما يدور حولك .

وإذا كنت في جلسة، أو اجتماع، أو ندوة، أو مؤتمر، وكانت فرصة السؤال متاحة لك، فلا تخرج من طرح أسئلتك، فالسائل أشجع من الذي لا يسأل، وأكثر استفادة منه، وبشكل دائم اجعل أسئلتك أسئلة تفقه لا تعنت .

يقول الإمام علي (ع) :

« سل تفقهاً ، ولا تسأل تعنتاً ، فإن الجاهل المتعلم شبيهه بالعالم ، وإن العالم المتسلف شبيهه بالجاهل »^(٧) .

— اقرأ في المجلات الثقافية الجيدة

العالم يغص بالمجلات والصحف ، وقدرة الإنسان على الاستفادة منها لا تقاس بالكم فقط ، وإنما بالكم والكيف . فانظر أي المجلات تفيدك كيفياً فأقرأها ، وهذه هي الجديرة بزيادة الكم فيها .

— تجنب الخلاف والاختلاف

يقول تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾^(٨) .

ويقول الإمام علي (ع) :
« ليس مع الاختلاف ائتلاف »^(٩) .

الأصل ان الله — سبحانه وتعالى — يدعو بني الإنسان إلى وحدة الكلمة ، ولكن الاختلاف قضية حياتية موجودة في كل عصر وزمن ، وهي وسيلة افتتاح الناس بعضهم ببعض ، وما وجد اثنان إلا وكان بين آرائهما اختلاف . والاختلاف ناشئ من التفاوت في الفهم البشري ، وللهواء النفسية دور في الاختلافات والصراعات . وقد يتحول الاختلاف إلى صراع . وقد جاء عن الرسول الأعظم (ص) قوله : « اختلاف أمتي رحمة » ، إلا أن مقصود الرسول الأعظم بالاختلاف هنا هو ذلك الذي يؤدي إلى تقدم الفرد والأمة عن طريق التوصل إلى آراء صائبة ، فهذا رحمة ، لا ذلك الاختلاف الذي يمزق الأمة ووحدةها ، ويؤدي إلى نشوء الفتن فيها .

ومن الأنواع الخطرة للاختلاف أن يختلف فردان مؤمنان ، أو جماعتان مؤمنتان فتقوم

(٧) نهج البلاغة — ص ٥٣١ .

(٨) سورة هود — ١١٨ .

(٩) شرح الفرر والدرر — ج ٧ — ص ٩٤ .

إحداهما بحمل الحقد والاغلال النفسية على الجماعة الأخرى لأنها تختلف معها فكراً في بعض التفاصيل أو في استراتيجية العمل . فالاختلاف هنا اختلاف مركب لأنه :

- ١ — اختلاف — في حد ذاته — وهو ضد الاتفاق والوحدة والاتحاد .
 - ٢ — يتضمن حقداً داخلياً من جماعة مؤمنة على أخرى ، ولا مجال للحقد بين المؤمنين .
- فلتمكن إيجابياً متجاوزاً للاختلافات العادية ، وحذراً ومتوقفاً من الخلافات التي تتحول إلى صراعات وفتن .

يقول الإمام علي (ع) :
« الخلاف يهدم الرأي » (١٠) .

— قل : لا أعلم حينما تسأل عما لا تعلم

مهما أوتي الإنسان من العلم والثقافة فإن كثيراً من المجهولات تبقى مجهولة أمامه . فأنت مهما أوتيت من العلم والتحصيل ، فإنه لا شك يفوتك كثير من الأمر ، فحينما يدرك أحد بالسؤال في أمر لا تعلمه ، فلا تتحرج من أن تقول : عذراً .. لا أعلم وبذلك ترجح نفسك من تبعات الولوج في أمر لا تعلمه ، وترجح الطرف الآخر ، فيتجه إلى من يجيبه على سؤاله .

وعليه فمن يترك الإفصاح بعدم العلم في الأمور التي لا يعلمها ، يورد نفسه في الفتن والمشاكل والمهالك ، وحينها لا يلومن إلا نفسه .

يقول الإمام علي (ع) :
« من ترك قول لا أدري ، أصيب مقاتله » (١١) .

(١٠) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع) .
(١١) المصدر السابق — ص ٤٨٢ .

في التربية الذاتية

— اهتم بتربية ... ذاتك روحياً ، ونفسياً

جعل الله — جلت قدرته — الملائكة مخلوقات روحية خالصة ، والحيوانات (البهائم) مخلوقات مادية بحتة ، بينما خلق الإنسان روحياً مادياً . فالملائكة مخلوقات لا تعصي الله ، وتفعل ما يأمرها به ، والحيوانات مخلوقات طبعت على المادة وإن كانت تمتلك الروح التي هي الحياة ، ودرجة من الشعور والإحساس .

أما الإنسان فقد صوره الله بالتركيبية التي تؤهله للابتلاء والامتحان في دار الدنيا ، فجعله مركباً من المادة والروح .

وكما أنه مطاوب من الإنسان أن يهتم بجانبه المادي لكي يؤمن بقاءه واستمراره في الحياة حتى نهاية عمره ، كذلك مطاوب منه أيضاً أن يهتم بجانبه الروحي لكي يكون موازناً ، غير

مفترط في الماديات من جهة، ولكي يكون قريباً من الله مرتبطاً به، ملتزماً بتعاليمه من جهة أخرى.

والمجانب الروحي ارتباط وثيق جداً بالجانب النفسي، لاسيما إذا علمنا أن من تعاريف النفس، الروح. والروح هي مصدر الجانب المعنوي في الإنسان. ومن هنا نجد أن الارتباط الروحي بالله دور أساسي في شحن الإنسان بالقوة المعنوية التي تضاف إلى القوة المادية له. ومن الدلائل على أهمية الجانب الروحي وافتقار الإنسان له، ضعف الإنسان نفسه «وخاق الإنسان ضعيفاً»، فهو لا غنى له من الارتباط ببارئه، واستمداد القوة المعنوية، والمادية منه، للمحافظة على استقراره النفسي، وبسطته الجسمية.

وفي المجتمعات الغربية حيث تزداد فيها حوادث الانتحار، يشعر الإنسان هناك بفراغ روحي قاتل قد يؤدي به إلى ذلك المصير الأسود، الأمر الذي يؤكد أهمية الجانب الروحي للإنسان.

فالتربية النفسية السليمة تعتبر نتيجة طبيعية للارتباط الروحي بالله. إلا أن سؤالين يبرزان هنا:

لماذا نجد قسماً من الذين يمارسون الارتباط الروحي بالله ليسوا في حالة نفسية جيدة؟ ولماذا نجد قسماً آخر من الناس لا يمارسون الارتباط الروحي ولكنهم في حالة نفسية معقولة، ويتصفون بقدر من الأخلاق، وبقدر من القدرة على التعامل مع الآخرين؟ أما بالنسبة للسؤال الأول، فقد يكون أولئك لم يفهموا معنى الارتباط الروحي بالله، على حقيقته أو فهموه بشكل خاطئ، أو هناك عوامل أخرى تؤثر فيهم.

وأما بالنسبة للسؤال الثاني، فقد يكون هؤلاء لا يزالون يستفيدون من الجذور الروحية في أنفسهم، ومن إرشادات العقل وتوجيهاته، فتراهم في حالة نفسية جيدة.

والتربية النفسية يقصد بها تهذيب النفس، وتنمية الصفات النفسية الجيدة فيها، ووقايتها، أو تخليصها، أو علاجها من الأمراض النفسية التي قد تصيبها.

والتربية الروحية هي تربية النفس على الارتباط بالله وفي كافة الظروف ، وعكس هذا الارتباط على النفس وجعلها تتصف بالفضائل والمناقب .

وللجانِبِ الروحي دور ضروري في التربية النفسية ، ولذلك تجد أن من لهم ارتباط روحي كبير بالله تعالى قلما يعانون من مشاكل نفسية ، فيما تجد ضعيفي الارتباط به ، وعديميه كالمُلهدين ، واللا دينيين يعانون بشكل مذهل من المشاكل النفسية وما يترتب عليها من نتائج وآثار . بل إن الجانب الروحي ، يعكس آثاره على نفس الإنسان ، وجسده ويجعله سليماً ، نشيطاً ، فعالاً .

ومن حسن حظنا كمسلمين أننا نمتلك ثروة روحية لا يمتلكها الآخرون ، فلدينا القرآن الحكيم الذي هو ربيع القلوب والنفوس وطبها ودواؤها ، وأحاديث الرسول الأعظم (ص) ، وروايات أئمة أهل البيت ، وكم هائل من الأدعية ، والمناجيات الروحية ، المروية عنهم .
فهلا نستثمر هذه الثروة الروحية ، لكي نكون على طريق الحكمة ، ولكي تكون سيرتنا حسنة ؟

— حاسب نفسك ، وراقب تصرفاتك

يقول الرسول الأعظم (ص) :
« ليس منا لم يحاسب نفسه كل يوم ولياة »^(١) .

أنت وأنا — باعتبارنا بشر — معرضون في هذه الحياة لارتكاب الأخطاء ، والخطيئات ، والإصابة بالغفلة والذهول ، ومراقبتنا ، تصرفاتنا ، ومحاسبتنا أنفسنا نستطيع أن نهذب أنفسنا ، ونتقدم ، ونتجنب كل ما لا يليق ولا يجمل ، ونصبح أصفياء النفوس ، أتقياء مرضيين عند الله — عز وجل .

ومحاسبة النفس ليست بالأمر الصعب ، بل هي ممكنة ، وبوسعك أن تحاسب نفسك في أي لحظة ، وبعد كل عمل . ويمكنك أن تسترجع شريط أحداث يومك قبل أن تنام

(١) ميزان الحكمة .

ليملك، لتحاسب نفسك على ما قصّرت فيه تجاه الله، وتجاه عباده، وتتوب إلى ربك، وتشكره على ما قامت به من أعمال صالحة، وتطلب منه التوفيق للمزيد.

يقول الإمام (ع):
«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»^(٢).

— استخدم النقد الذاتي

يعتبر النقد الذاتي وجهاً لحاسبة النفس، ووسيلة هامة في تصحيح الإنسان لأخطائه. فمن لا يملك واعظاً له من نفسه، لا تنفعه أي موعظة في الحياة، ومن لا يتقبل النقد من ذاته لا يستطيع أن يتقبله من الآخرين. والإنسان هو أفضل شخص يعرف عن نفسه، أكثر من أي إنسان آخر.

فلتكن بصيرتك بنفسك وسيلة لنقدها، وتصحيح ممارساتها الخاطئة، ومهما تعذرت عن تهذيبها فأنت بصير بها، ولن تعذر في ذلك.

يقول تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره﴾^(٣).

وجاء في الأحاديث الشريفة بما مضمونه:

من لم يكن له واعظ من نفسه لا تنفعه المواعظ.

— تقبل النقد من الآخرين

بالإضافة إلى استخدام النقد الذاتي، هناك حاجة إلى تقبل النقد من الآخرين، ومن يتقبله منهم، لا شك أنه يتمتع بروح رياضية جيدة. وتقبل النقد دليل رحابة الصدر، والحلم، وضبط النفس، والعقل، والحكمة.

والناس من جهة النقد على نوعين:

(٢) شرح الغرر والدرر — ج ٧.

(٣) ١٤ — ١٥ القيامة.

— نوع يتقبل النقد .

— وآخر ينفّر منه ويصاب بردة فعل .

والأصلح والأفضل للإنسان أن يدرب نفسه على تقبل النقد الموضوعي الخالي من التجريح لأن في تقبّله سموً للنفس ، وراحة لها ، وتصحيح الأعمال والممارسات ، وتقديم في مجال العمل .

وإذا أردت أن تنتقد فانتقد نقداً بناءً ، لا تجريحاً ، ولا ترفاً ، ولا أهواء نفسية .
واعمل على أن لا تجعل نقدك قولياً بعيداً عن الجهة التي تنتقدها ، فيضيع أدراج الرياح ، بل دوّنه وابعثه إلى الجهة المختصة ، أو انقله شفويّاً إليها .

— لاترض عن نفسك

ليس المقصود من عدم الرضا أن يعيش الإنسان قلقاً مضطرباً في حياته ، بل المقصود أن لا يجعل حالة الرضا عن نفسه طريقاً لها نحو الغفلة ، والانحراف ، والزيوغ عن الحق ، والعمل الصالح . وإلا فإن النفس المطمئنة هي المطاوعة ، وعامل الاطمئنان النفسي هو الإيمان ، والعمل الصالح الخاص ، لا الاطمئنان الخيالي الزائف البعيد عنهما .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾^(٤) .

والرضا عن النفس قد يجرّ إلى نشوء حالة متطورة من الأنانية وحب الذات ، مما يؤدي إلى عدم رضا الناس فضلاً عن عدم رضا الله — سبحانه وتعالى — .

يقول الإمام علي (ع) :

« من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه »^(٥) .

(٤) ٢٧ — ٣٠ الفجر .

(٥) نهج البلاغة — حكّم الإمام عليّ (ع) .

— تفاءل —

الناس من حيث التفاؤل والتشاؤم على ثلاث درجات :

١ — مفرطون في التفاؤل .

٢ — مفرطون في التشاؤم .

٣ — متفائلون بدرجة متوسطة .

ويعتبر التفاؤل من الصفات النفسية الحسنة الهامة في الحياة ، فهو يعطي الإنسان روحاً معنوية ، وثقة وأملاً في تحقيق الأهداف المنشودة ، وذلك إذا كان تفاؤلاً حقيقياً مقروناً بشروطه . فالجندي لا ينتصر في ساحة المعركة إلا إذا أضاف إلى قوته المادية والعقلية روح التفاؤل والأمل بالنصر . ومن هنا ليس من المبالغة في شيء إذا قلنا أن الجيوش المهزومة معنوياً (غير المتفائلة بالنصر) ، هي جيوش مهزومة عسكرياً . ومن هنا فإن قسم التعبئة المعنوية يعتبر من أهم الأقسام في الجيوش القديمة والحديثة على السواء .

وهناك قسم من الناس يفرط في التفاؤل ويعمل بجهد من أجل الوصول إلى الأهداف المرسومة ، وهناك قسم آخر يفرط في التفاؤل دون تهيئة شروط وسائل العمل ، وكلا القسمين على خطأ ، وربما ينتكسان ، ويصابان بالفشل في ما يقومان به من مشاريع وأعمال ، لأنهما لم يحسبا حساب الريح والخسارة ، والنجاح والفشل .

وهناك قسم ثالث من الناس ينظرون بشكل دائم إلى الأمور بتشاؤم ، وكأن على أيونهم نظارات سوداء ، فهم لا يرون غير السواد والقمامة حتى لو هيأوا متطلبات النجاح في أعمالهم . والنظرة السوداء إلى الأمور صفة غير محمودة ، وهي تصعب الأمور على الإنسان ، وتبعده عن أهدافه ، وتدخله في مآهات نفسية متعبة . والمطلوب أن يكون الإنسان متفائلاً ومجداً في أعماله .

— ثق بنفسك —

الثقة بالنفس من الصفات النفسية الهامة ، وهي تساعد الإنسان على اقتحام مجالات الحياة المختلفة . والمطلوب أن تكون الثقة واقعية لا خيالية ، وأن تكون موجهة في طريق الحق ،

والخير ، فليس جائزاً للإنسان أن يثق بنفسه ، وهو يعمل المحرمات ، والرذائل ، والذنوب ، بل المطلوب منه في هذه الحالة أن يستثمر ثقته بنفسه في نهجها عن غيرها .

ولنضرب مثلاً واقعياً بسيطاً على أهمية الثقة بالنفس :

إذا كنت تتعامل مع حسابات رياضية ، وكنت أهلاً لهذه الحسابات ، فاعط لنفسك ثقة واقعية في أنك قادر على ضبط هذه الحسابات ، وأن ما تقوم به صحيح وسليم ، لأن مجرد الثقة بالنفس تساعدك على إبقاء ذهنك مركزاً في الحساب ، وتعطيك نتائج سليمة مفرحة مزيدة لثقتك بنفسك .

والثقة بالنفس صفة ذات مجال واسع ، والمطلوب من الإنسان أن يثق بنفسه في كل تلك المجالات .

— كن حاسماً

الحسم هو القطع والبت ، وهو اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب والمكان المناسب ، وهو يعني اتخاذ القرارات بشكل مدروس ، وهو ضد التردد الذي يضعف الشخصية ، ويسبب تذبذباً وارتباكاً معنوياً ، ومتاعب معنوية للإنسان .

يقول الإمام علي (ع) :

« من تردد في الريب وطأته سنايك الشياطين »^(٦) .

— احتمل عيوبك

كل إنسان لا يخلو من العيوب ، فقد تكون له عيوب ظاهرة ، وقد تكون له عيوب مخفية ، وقد تكون له عيوب ظاهرة ومخفية ، والعيوب إما أن تكون جسمانية (مادية) وإما أن تكون نفسية (معنوية) . ووسيلة التغلب على العيوب ، تحملها واعتبارها أمراً طبيعياً عادياً . وكما أنه مطلوب منك أن تحتمل عيوبك ، كذلك تحتمل مطلوب منك أن تحتمل عيوب الآخرين أيضاً .

(٦) نهج البلاغة — حكم الإمام علي (ع) .

يقول الإمام علي (ع):
«الاحتمال قبر العيوب»^(٧).

— احذر هذا النفاق!

من الأمراض النفسية والاجتماعية الخطيرة التي تلعب دوراً كبيراً في شق وحسنة المجتمعات، وتخريب الفرد من الداخل، النفاق. وهو على أنواع ودرجات، أخطرها أن يصبح الإنسان ظاهره مؤمن وهو في داخله ألدّ الخصام للمدين الحنيف، أو يعلن الحرب عليه. ولقد تناول القرآن الحكيم، النفاق والمنافقين في مجموعة من آياته، وبَيَّن صفات المنافقين، وآثارهم التخريبية في المجتمع، والعواقب الوخيمة التي سيتعرضون لها في الدار الآخرة، وكل ذلك من أجل أن لا يقع الإنسان في دائرة النفاق.

يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعَجَّبْتَ أَجْسَامَهُمْ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدْعٍ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يُؤْفِكُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. يَقُولُونَ لَنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨).

ويقول تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٩).

وجاء في الدعاء المأثور:

(٧) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع).

(٨) ١ — المنافقون.

(٩) ١٤٥ — النساء.

« اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعينا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور »^(١٠).

— اعرف قدرك

أنت أيها الإنسان ! لك قدرات عظيمة ، فلا تستهن بنفسك ، ولك نواقص فلا تستهن بها أيضاً ، فاعط نفسك حجمها الطبيعي دون تحقير لها ، ودون تنزيه لها أيضاً .

إن هناك قسماً من الناس يمتلكون قدرات وكفاءات ، وفي أكثر من مجال ، ولكنهم لا يستفيدون منها ، أو انهم يشعرون بالدناءة ، والحقارة فلا يستفيدون ولا يفيدون من قدراتهم ، فتضيع عليهم فرص ثمينة .

ولقد أثبتت الإحصائيات العلمية أن الإنسان لا يستخدم قدراته العلمية والعملية ، إلا بنسبة تتراوح بين ٤٠ — ٦٠ بالمائة ، والمجتمعات متفاوتة في هذه النسبة ، حسب مستوى الثقافة والرقى ، والتقدم العلمي والتقني فيها .

جاء في الحديث الشريف بما معناه :

« رحم الله امرأً عرف قدر نفسه » .

فهل نعرف قدر أنفسنا ؟

— تحكم في أعصابك ، واضبط انفعالاتك

يقول الإمام الحسن (ع) :

« ليس الشديد بالصرعة ، إن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(١١) .

يقصد بالتحكم بالأعصاب ، السيطرة على الجهاز العصبي ، والقوة الغضبية التي تمثل قوة كبرى في هذا الجهاز ، بحيث تكون تصرفات الإنسان متوازنة ، وطبيعية .

كما يقصد بالانفعال المطاوعة في القيام بالفعل ، كأن تقول : انسكب الماء ، أي طاوع

(١٠) مفاتيح الجنان .

(١١) تحف العقول .

فعل السكب . ويمكن أن يطلق على الانفعال ، رد الفعل ، أو التأثير . فالانفعال في الطول في قضيب حديدي حينما يعرض لقوة شد — مثلاً — هو ذلك التغير ، أو الزيادة التي تحصل في طول القضيب نتيجة مطاوعته لقوة الشد . والانفعال النفسي هو مطاوعة النفس والجهاز العصبي للمؤثرات العصبية ، والنفسية ، والانفعال غير الطبيعي ، هو الانفعال الخارج عن الحد الطبيعي .

والقدرة على التحكم في الأعصاب ، وضبط الانفعالات ، تعتبر من أهم الصفات في الإنسان الحكيم ، لأنه من الحكمة أن لا تكون الأعصاب والانفعالات مطلقة العنان . والتحكم في الأعصاب ، وضبط الانفعالات يتطلب من الإنسان أن يكون ذا جهاز عصبي سليم ، ونفس مستقرة ، واعتدال في التأثير . ومن هنا فإن الذين يعانون من اختلالات في الجهاز العصبي ، أو من مشاكل نفسية ، لا يتمكنون من التحكم في أعصابهم وضبط انفعالاتهم .

والقدرة على التحكم في الأعصاب ، وضبط الانفعالات ، تؤثر فيها مجموعة عوامل منها : الوراثة ، والبيئة بما فيها من مؤثرات على الأعصاب والنفس ، كالمشاكل النفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، و ... والتربية ، إذ إن الفرد الذي يتربى في جو مشحون بالتوتر العصبي والانفعالي ، يمكن أن ينشأ عصبياً . إلا أن القدرة على التحكم في الأعصاب ، وضبط الانفعالات هي من الصفات المكتسبة أيضاً .

والتحكم في الأعصاب ، وضبط الانفعال ، لا يقتصر على زمان ، ومكان دون آخرين ، بل المطاوب من الإنسان أن يسيطر على أعصابه وانفعالاته في كل الظروف .

وقدرة الإنسان على التحكم في أعصابه ، وضبطه لانفعالاته لا تقاس في الظروف العادية — حيث خفة المؤثرات أو انعدامها إن صح التعبير — بل تقاس في الظروف اللاطبيعية ، أو ظروف الإثارة بتعبير آخر . فانظر هل أنت قادر على التحكم في أعصابك في مثل الحالات الآتية :

- حينما تكون عاملاً في سبيل الله ، ويأتي فرد أو جماعة فتتهمك بالفسق ، أو النفاق .
- حينما ينتقدك شخص انتقاداً لاذعاً .
- حينما تتعرض للمسخرية من قبل فرد ، أو جهة .
- حينما تتعرض للإهانة .

- حينما يغضبك شخص .
- حينما تخسر في معاملة تجارية .
- حينما يعاملك الآخرون على عكس ما كنت تتوقع منهم .
- حينما تخسر صديقاً ملتزماً .
- حينما تفقد حبيباً .
- حينما تنزل بك مصيبة ، أو نائبة .
- حينما تصاب بمشكلة .
- حينما لا يقوم الآخرون بأعمالهم المرتبطة بك على النحو المطلوب ، أو حينما لا يقومون بها .
- حينما لا يحالفك التوفيق في عمل ما .
- حينما تخسر شيئاً بشكل مفاجيء .
- حينما تختلف فكراً مع آخرين .
- حينما تقوم بالإحسان لآخرين ، فيقابلونه بالإساءة إليك .
- حينما تعمل المعروف ولا تُشكر عليه .
- حينما تتلقى قراراً خطيراً .
- حينما تكلف بمهمة ، أو مسؤولية .
- حينما تجري ، أو تنتظر مكالمات هاتفية هامة .
- حينما تخرج في الظلام .
- حينما تكون مسافراً .

وإذا ما استطعت أن تتحكم في أعصابك ، وتضبط انفعالاتك في مثل هذه الحالات أو ما شاكلها ، أصبحت من الحكماء الحكماء الذين يمتلكون القدرة على التحكم في أعصابهم ، وضبط انفعالاتهم .

— لا تقلق !

يعتبر القلق من أكثر الأمراض الذهنية النفسية العصبية المنتشرة في العصر الحديث ، ويرجع ذلك إلى مجموعة عوامل منها : الابتعاد عن الدين ، وحالة التعقد في الحياة ، وبروز كثير من المشكلات المقلقة للإنسان والتي لم يكن بعضها موجوداً . ومن تلك المشكلات : الإلحاد

واللادينية، والحروب، والمجاعات، والحالة الاقتصادية، وآثار التطور التكنولوجي المسببة للقلق، والمشكلات الاجتماعية الأخرى.

ومنشأ القلق له أسباب متعددة، فقد يكون:

- ١ — نتيجة لسوء الارتباط بالله (الفراغ الديني والروحي).
- ٢ — أو وراثياً.
- ٣ — أو غير وراثي، بسبب سوء تصرف في أداء الأعمال وبرمجتها.
- ٤ — أو نتيجة اضطراب في الجهاز العصبي للإنسان، وهو ما يمكن تسميته بالقلق العصبي أو عصاب القلق. أو نتيجة أسباب أخرى.

إن من أهم عوامل الاستقرار النفسي: التدين، والإيمان بالله والعمل بطاعاته، والانتهاز عن نواهيه، كما أن من أهم عوامل القلق والاضطراب النفسي التحرر من الدين وحدوده، وممارسة الخطيئات والذنوب.

ويبرز القلق كحالة شديدة، في الإنسان الذي يمارس الخطيئات ويفكر في أمره ويراجع نفسه، لكنه في الوقت نفسه يستمر في ممارسة الموبقات. وتعتبر المجتمعات الغربية وغير الإيمانية — عموماً — هي الأكثر إصابة بالقلق لابتعادها عن الدين، ولوجود الفراغ الروحي الكبير، وانتشار المفاسد فيها بشكل مذهل.

يقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١٢).

وللقلق آثار خطيرة على جسم الإنسان، ومن جملة تلك الآثار أنه يسبب:

- ١ — قرحة المعدة.
- ٢ — تسوس الأسنان.
- ٣ — الشيخوخة المبكرة.
- ٤ — التهاب المفاصل.
- ٥ — ضغط الدم.
- ٦ — اضطرابات القلب.

(١٢) — ٢٨ — الرعد.

وهناك نوع من القلق يمكن أن يدعى بقلق الإنجاز ، وهو تلك النسبة من القلق التي تجعل الإنسان حريصاً على أداء أعماله ومتابعها حتى تنجز ، وهو حالة إيجابية بشرط عدم الإفراط فيها إلى درجة التوتر والاضطراب .

وعموماً ، كل إنسان في الحياة ، يقلق ، وهو معرض للقلق ، إلا أن المهم في الأمر أن لا يتدخل القلق إلى حالة نفسية دائمة في الإنسان ، ومن أجل ثقافة نفسية في هذا المجال لا بأس بقراءة كتاب في مكافحة القلق إذا دعت الحاجة لذلك .

— لا تعجل !

يعرف علماء الميكانيكا العجلة بأنها معدل تغير السرعة بالنسبة للزمن ، هذا بالنسبة لحركة الأجسام . والعجلة كصفة في الإنسان ، تشبه العجلة كظاهرة ميكانيكية ، إذ الإنسان بها يختصر زمن الوصول إلى الأهداف ، ولكن عادة ما تكون النتيجة على حساب الأهداف .

وقد يقول القائل : المطلوب من الإنسان ، أن يكون سريعاً لافتراً بطيئاً في أداء أعماله في الحياة . وهذا صحيح إلا أن المطلوب في السرعة في أداء العمل ، الإتقان أيضاً ، وهذا ما يفرق السرعة عن العجلة . ولذلك قيل : العجلة من الشيطان ، والسرعة من الرحمن . وتعتبر العجلة أو السرعة البعيدة عن التركيز ، والتأني والدقة ، والإتقان عاملاً من عوامل الوقوع في الأخطاء ، سواء على صعيد الفكر ، أو على صعيد العمل .

والعجلة قد تؤدي إلى القلق ، كما أن القلق بدوره قد يؤدي إلى العجلة . والإنسان بطبعه عجول ﴿ خالق الإنسان من عجل ﴾^(١٣) ، فهو يريد أن يكون كل شيء وبسرعة ، فمثلاً يريد أن يصبح متضللاً في مجالات متعددة وبسرعة ، ولكن ليعلم أن الحياة قوانين وسنن لا يمكنه الشذوذ عنها فيما إذا أراد الارتفاع والتقدم ، وأن التدرج هو الوسيلة إلى ذلك ، ولا مجال للطرفة في الحياة . وكمثال بسيط من الواقع على ذلك أن الإنسان لا يصل إلى مرحلة جيدة من التخصص العلمي إلا إذا تدرج في مراحل متصاعدة ، فالطبيب لا يصل إلى مرحلة

(١٣) — ٣٧ — الأنبياء .

التخصص في الطب إلا بعد أن يجتاز مجموعة مراحل، والفقير لا يصل إلى درجة الاجتهاد إلا بعد أن يجتاز مجموعة مراحل أيضاً، وهكذا.

ومن عجلة الإنسان أنه قد يريد القيام بالأعمال قبل أوانها، وهنا فهو بحاجة إلى التأخر بالصبر لكي يحين موعد القيام بالأعمال. أما العجلة في أمور الخير بمعنى المبادرة إليها، فهي حالة مطلوبة.

يقول الإمام علي (ع):
«العجل يوجب العثار» (١٤).

ويقول (ع) أيضاً:
«التؤدة ممدوحة في كل شيء إلا في فرص الخير» (١٥).

إذن، لاتنس هذه القاعدة الذهبية: لا تكن عجولاً، واحرص على أن تكون سريعاً متقناً، ومبادراً في أمور الخير.

— تحاشى الازدحام الذهني

قد يحدث لك أن تفكر في موضوع ما، فتد على ذهنك وتفكيرك مجموعة مواضيع أخرى، فيصبح ذهنك مزدحماً مشوشاً.

وقد تقوم بعمل ما فتد على بالك — وأنت تؤدي هذا العمل — مجموعة أعمال أخرى، فتصبح مشغول البال، وهذا ما يسمى بالازدحام الذهني، وهو قد يكون نتيجة للعجلة.

وكمثال من الواقع: وأنت في حال الصلاة قد تجد نفسك وقد ورد على بالك كثير من الموضوعات، والأعمال الأخرى، كتحضير الطعام، أو قراءة كتاب، أو إصلاح آلة، أو الخروج إلى السوق، أو زيارة صديق، وما شاكل ذلك.

(١٤) ميزان الحكمة — ج ٦ — ص ٧٢.

(١٥) المصدر السابق — ص ٧٣.

والازدحام الذهني قد يكون نتيجة التقصير في برمجة الأعمال ، وتنظيم الأوقات ، فيصبح بالإنسان هدفاً لخطوط متشابكة من الأفكار والأعمال في آن واحد . وقد يقصر الإنسان في أداء الأعمال بسبب ازدحام ذهنه بحيث لا يدري ما يعمل أو قد يتركها مطلقاً من أجل إراحة ذهنه .

فالكمي تتحاشى الازدحام الذهني ، احصر وركز فكرك في الموضوع أو العمل الذي أنت فيه ، واترك الموضوعات والأعمال الأخرى لحينها .

— لا داعي للهم —

حياة الإنسان — أي إنسان — ليست مفروشة بالورود والرياحين دائماً ، وبالتالي فهي ليست خالية من الهموم والغموم . بل حتى أولئك الذين يعيشون أرقى حالات المتعة والترف ، أو أسمى درجات السعادة والنجاح ليسوا خارجين عن حدود دائرة الهموم والغموم .

والإنسان المؤمن باعتباره متديناً ، ومتحملاً لمسؤولية دينه وأمته هو معرض للهموم والغموم بفعل حمل المسؤولية وتحمل العقبات الناتجة عن ذلك . ولكنه بإيمانه وحالة الطمأنينة التي هو عليها يستطيع أن يقلل الهموم إلى أبعد الحدود ، بل إن عمله في سبيل دينه ورسالته يكسبه طمأنينة ، ومتعة ، وراحة معنوية تؤدي إلى إبعاده عن الهموم والغموم ، أو تفرجها عنه .

فلا تكن مهموماً ، وكن مستبشراً ما استطعت ، واعلم أن المطامع الدنيوية ، والتقصير في الأعمال ، هي أعظم مسببات الهموم والغموم ، وإن الهم آفة من آفات النفس والبدن . فكم من نفوس مستبشرة مضيئة أظلمت بفعل الغموم ! وكم من أجسام شابة موردة داهمتها الهموم فأمست في حالة شيخوخة وهم !

يقول الإمام علي (ع) :

« الهم نصف الهرم »^(١٦) .

(١٦) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع) .

— اختبر نفسك حين تقلب الأحوال —

كما أن درجة حلم الإنسان لا تقاس في الحالة الطبيعية له، بل في حالة إغضابه، كذلك فإن الأوضاع الطبيعية قد لا تكون مقياساً صادقاً لثبات الإنسان.

فعلى سبيل المثال:

إذا كنت شاكرًا لله في زمن الرخاء، وأصبحت بعد ذلك في شدة، فانظر هل لازلت شاكرًا له؟ وإذا كنت غنيًا وتشكر الخالق، ثم أصابك الفقر فانظر هل تشكره وأنت فقير؟ وإذا كنت معافي ثم ألم بك مرض، فانظر هل تصبر عليه؟، وإذا كنت في حالة السلام شجاعاً، ثم حانت بعد ذلك حالة الحرب والمواجهة فهل تكون شجاعاً أيضاً؟ وإذا كنت مؤمناً وجاء الظرف الذي تتمحن فيه بإيمانك، هل تبقى صامداً مستقيماً؟

وهكذا في المجالات الأخرى، اختبر نفسك في المراحل الانتقالية، وليكن الهدف من هذا الاختبار أن تكون معدناً واحداً في الظرف الطبيعي، والظرف الاستثنائي الجديد ولا يعني ذلك أن تنسى مراقبة ذاتك واختبارها في الظروف الطبيعية.

يقول الإمام علي (ع):

« في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال »^(١٧).

— اجث عن هؤلاء —

عادة ما يتخذ الإنسان أصدقاء حميمين له، وعادة ما يكون هؤلاء من المتقاربين معه في الصفات الخلقية والنفسية، كذلك فإن وحدة العمل، والتوجه العملي تساعد على تكوين صداقة بين الأفراد.

والمتقاربون معك في الصفات النفسية هم أفضل الأفراد المرشحين للنجاح في علاقتك بهم، ولا يعني البحث عن هؤلاء أن تبتعد عن الناس بشكل عام ولا تصادقهم، ولا تتقرب إليهم، بل المطلوب أن تكون علاقتك جيدة مع عموم الناس، وصديقاً لهم.

(١٧) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع).

- يقول الإمام علي (ع) :
- « كل امرء يميل إلى مثله » (١٨) .
- « كل طير يأوي إلى شكاه » (١٩) .
- « لا يصحب الأبرار إلا نظراًؤهم » (٢٠) .
- « لا يصطنع اللئام إلا أمثالهم » (٢١) .

— استخدام الإيحاء الذاتي الإيجابي

أوح لنفسك — دائماً — بالثقة، والقوة، والقدرة، والإرادة الصلبة، فالإيحاء له دوره الكبير في إعطاء النفس زخماً من الإرادة القوية والتحرك نحو الأعمال الخيرة، وليكن الإيحاء مقدمة للمقيام بالعمل، وليس بديلاً عنه، فالإيحاء لا يؤتي أكله إلا إذا لحقه التطبيق والعمل، وخلاف ذلك هو خيال، وأحلام يقظة، ليس إلا .

فإذا أوحيت لنفسك بالقوة والقدرة والإرادة فإنك تكون قوياً، قادراً، وإذا إرادة قوية وإذا أوحيت لها بالضعف، وعدم القدرة، وخور المعنويات فإنها تصبح كذلك .

والإيحاء سلاح معنوي يمكن أن يقود الإنسان إلى الانتصار النفسي إذا كان إيجابياً، أو الهزيمة المعنوية إذا كان غير إيجابي . فالإيحاء للنفس بالقوة والعافية تساعد الإنسان في رفع التعب والمرض، والإيحاء لها بالضعف، والمرض يجعل الإنسان متعباً ويمكّن المرض منه . وكما أن الإيحاء الإيجابي مفيد للنفس، فإنه مفيد للآخرين أيضاً، فإيحاك لشخص ضعيف الثقة بنفسه، بأنه يثق بها، قد يحدث تحولاً إيجابياً فيه .

— كيف تتعامل مع المشكلات النفسية والاجتماعية إن وجدت ؟

كما أن علاج المشاكل الحياتية الأخرى يتم عن طريق تشخيص ومعالجة أسبابها —

(١٨) شرح الغرر والدرر — ج ٧ .

(١٩) المصدر السابق .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) المصدر السابق .

أساساً — لانتائجها وأعراضها، فإن المشكلات النفسية والاجتماعية يتم علاجها بالطريقة نفسها.

والمشكلات النفسية والاجتماعية — صغرت أم كبرت — واردة الحدوث لأي إنسان في هذه الحياة، واللازم إذا ألمّت بالإنسان مشكلة من هذا النوع أن يهتم بعلاجها جيداً كما يهتم بعلاج جسمه، وأن يعطيها حجمها وحدودها الواقعية، ثم يقوم بمعالجة أسبابها — أساساً — ولا بأس بمعالجة أعراضها كما يعالج الطبيب الحمى كعرض لمرض من الأمراض، وذلك لأن الأعراض قد تشكل خطراً على الإنسان إذا أهمل علاجها.

وبعض المشكلات النفسية والاجتماعية قد تكون بسيطة، ولضعف سيطرة صاحبها عليه، فقد تسري لتطال أموراً قد لا تكون ذات علاقة بالمشكلة النفسية ذاتها، ومن هنا تزداد أهمية علاج المشاكل النفسية، والاجتماعية.

— خير الأعمال أصعبها

الإنسان بطبيعته ميال إلى الراحة وممارسة الأعمال السهلة غير المتعبة. غير أنه إذا سلك هذا الطريق فإنه قد يتعثر في الحياة ويصبح عاجزاً عن تحمل صعوباتها وشدائدها. ومن هنا فاختيار النفس للأعمال الصالحة التي تكرهها، وتستصعبها، أسلوب تربوي حسن، ينبغي للإنسان أن يربي نفسه عليه لكي يكون صلباً في مواجهة عقبات، وصعوبات الحياة.

وبدیهة أن من يربي نفسه على تحمل الصعاب، وعلى ما تكرهه نفسه، يسهل أمامه كل شيء، ومن يربيها على اللين، وعلى ما تحبه، يصعب عليه كل شيء.

يقول الإمام علي (ع) :

« خير الأعمال ما أكرهت نفسك عليه » (٢٢).

(٢٢) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع).

— كُن مستقلاً

الاستقلالية تعني التفرد بالأمر، والمستقل هو ضابط نفسه بنفسه . والاستقلالية من الصفات النفسية الحسنة .

وهنا سؤال :

إذا كانت الاستقلالية بهذا المعنى فكيف يمكن الإنسان أن يحافظ على وجوده ضمن مؤسسة ذات وحدة فكرية واحدة ؟

وللإجابة :

لا تعني الاستقلالية معارضة الحق، والجماعة الحقة، وفرض الرأي عليها، أو الانفصال عنها، وإنما تعني أن يكون الإنسان رأييه المستقل الحق فيها، فإذا لم يكن رأياً حقاً فلا تسمى هذه استقلالية، وإنما هي تعصب أعمى للرأي واستبداد وتعنت يجب الإقلاع عنه . وبعبارة أخرى : لكي تكون مستقلاً لا تكونن — في حياتك — أمعة، بل ليكن لك رأياً حقاً .

وهنا نقطة هامة ترتبط بالاستقلالية وهي : أن لا تتكيف مع الأجواء كيفما كانت، بل لتكن رزيناً في تفكيرك وتصرفك، وليكن الحق هو البوصلة التي توجهك، وتهديك إلى سواء الطريق .

وكمثال من الواقع على هذه النقطة :

إذا عاينت جواً إيجابياً، أو سلبياً حول قضية ما، فلا تنخرط مع هذا الجو كيفما كان، وليكن لك رأيك وحكمك المستقلين، وانظر إلى إيجابيات القضية وسلباتها فمجد الإيجابيات، وامدحها، وانشرها، واطمح إلى تغيير السلبيات إذا كان بوسعك، ولا تجعل السلبيات — فقط — هي محط أنظارك، وتحاول أن تجر الآخرين وتؤلبهم على هذه القضية، لسلباتها . وتزداد هذه المسألة خطورة إذا كانت هذه القضية هي قضية الأمة جمعياً، فالتأليب هنا يكون ضد الأمة نفسها !

وبكلمة : كن ذا شخصية استقلالية، في كل حال أنت بحاجة فيه إلى الاستقلالية، وإبداء الرأي .

— حينما توجه

محقة هي تلك الحكمة التي تقول : « ما يخرج من القلب يدخل إلى القلب ، وما يخرج من اللسان لا يتعدى الآذان » .

فالكلمات التي تخرج من قلب الإنسان ، وضميره — بإخلاص — لتوجه أناساً آخرين ، تترك آثاراً معنوية إيجابية فيهم ، باعثة على الحماس ، والجد في العمل فيهم ، وتكون تلك التأثيرات محسوسة في تصرفاتهم بعد عملية التوجيه ، والاستماع إلى كلماته النابعة من القلب . أما التوجيه اللساني غير النابع من القلب فإنه قد يذهب أدراج الرياح ، لأن المستمع يشعر أن الجهة الموجهة له تتكلم بلسانها فقط دون قلبها . ومن هنا فإن الذين يقولون ما لا يفعلون هم أقل الناس تأثيراً فيهم ، لأنهم إما يتكلمون بلهجة بعيدة عن روح الممارسة والتطبيق ، وإما لأنهم لا يتكلمون من داخلهم .

ومثال ذلك أن المعلم ، أو المربي الذي يوجه طلابه من قلبه ، وبعمله ، وهو في نفس الوقت قد جعل نفسه — عملياً — قدوة لهم ، يكون تأثيره ملموساً على طلابه . وعكس ذلك صحيح تماماً .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢٣) .

فلكي تكون حكيماً ، مؤثراً في الآخرين ، وجه من داخلك ، وبإخلاص .

— كن مثالياً ، ولا تكن خيالياً

هناك من يخلط بين المثالية والخيالية في الفكر والعمل ، إلا أن المثالية شيء والخيالية شيء آخر . فالمثالية آتية من المثال أي الشبه ، والنظير ، فالمثالي هو الذي يتخذ له مثلاً أعلى يستهديه ، أو هو الذي تخير مثلاً يتمثل به . وهناك تعريف للمثالية — لا يرتبط بما نحن بصددده — وهو أنها مذهب فلسفي ينكر حقيقة ذاتية الأشياء المتميزة من « أنا » ولا يقبل منها إلا الفكر . وتسمى العنادية .

فأن تكون مثالياً ، يعني أن تجعل أعمالك ، وتصرفاتك أفضل ما يمكن ، بحيث تكون مثالاً للآخرين يحتذى ، ويقتدى به ، وهذا الأمر ليس مستحيلاً . وأن تكون مثالياً يعني أن تكون واقعياً في الوقت نفسه أيضاً ، لا خيالياً خرافياً .

وأن لا تكون خيالياً يعني أن لا تتصور كل الأوضاع التي تعيشها كاملة مائة بالمائة ، وبعيدة عن الأخطاء والتقصيرات والسلبيات .

وهناك من يفهم المثالية ، خيالية وخرافية فيبرر أخطاءه وتقصيراته في المجالات المتعددة بأنه ليس مثالياً ، وأنه واقعي .

وكمثال من الواقع على المثالية والخيالية :

لنفترض أنك قررت تأليف كتاب . فالمثالية تتطلب منك أن تخرج الكتاب في أفضل صورة ممكنة بالنسبة لك ، بحيث تجعل الأخطاء فيه أقل ما يمكن . أما الخيالية فتفترض الكتاب خالياً من الأخطاء تماماً ، حتى ولو كان هذا الخطأ صغيراً ، كخطأ مطبعي في كلمة ، أو غلط في استخدام علامة ترقيم ، أو ما شابه ذلك .

ففي تعاملك مع الحياة ، وفي كل مجال : كن مثالياً إذا استطعت ، ولا تكن خيالياً .

— اكبح جهاح نفسك

يقول الإمام علي بن الحسين (ع) :

« الخير كله صيانة الإنسان نفسه » (٢٤) .

مثل نفس الإنسان كمثل الدابة الجامحة التي تريد التغلب على راکبها ، وتستعصي ، وتذهب به سريعاً لكي لا يمكنه ردها . والمطلوب من الإنسان أن يكبحها بلجام التقوى ، والتزكية ، والحكمة ، ويجذبها لكي تقف ولا تسقط في المزالق .

يقول تعالى : ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها .

وقد خاب من دساها ﴾ (٢٥) .

(٢٤) تحف العقول — ص ٢٠١ .

(٢٥) ٧ — ١٠ الشمس .

وكبح جماح النفس يقودنا إلى استعراض مسألة الصراع مع النفس ، أو بتعبير آخر ، لومها ، من أجل حملها على ما يأمرها به العقل والشرع . فالبشر متفاوتون في هذا الجانب حسب مستوى إيمانهم ، أو التزامهم بالأخلاق الحسنة ، وتمتعهم بالضمير الحي .

فهناك قسم من الناس لا يوجد فيهم صراع مع أنفسهم ، ولا يجشمون أنفسهم ذلك ويعتبرون تصرفاتهم وسلوكياتهم طبيعية وصحيحة ، وآخرون يدركون أن تصرفاتهم غير صحيحة ولكنهم لا يعطون لمواجهة النفس ، ومحاسبتها أي اهتمام . وهؤلاء — في الحقيقة — يعيشون حالة من الغفلة الشديدة التي ستقلب عليهم إلى ندم وحسرة في الدنيا والآخرة .

وهناك قسم ثالث من الناس يعيشون حالة من الصراع مع أنفسهم ، هدفها تقويم النفس ، وإبعادها عن التصرفات الخاطئة ، والسيئة ، بما للكلمة التصرفات من معنى ، وهم قد يفلحون تارة في التغلب على أنفسهم ، والعمل وفق ما يأمر به الشرع والعقل ، وتارة أخرى لا يفلحون في ذلك ، وبين القسم الأول ، والقسم الثاني ، والقسم الثالث درجات ، ومراتب .

وهناك قسم رابع من البشر لا يعيشون حالة صراع مع أنفسهم ، فأنفسهم مطمئنة ، ويفعلون ، ويتصرفون وفق الشرع والعقل ، وهؤلاء هم المعصومون ، كالأنبياء ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام . وبين القسم الثالث والرابع مراتب ودرجات . وكلما اجتهد الإنسان في مراقبة ذاته ، وتركيتها ، ومحاسبتها ، وحسم الصراع مع نفسه إلى جانب ما يأمر به الشرع والعقل ، كلما سما الإنسان ، وازداد حكمة ، ووصل إلى درجة الاطمئنان .

— استفد من إنجازات علم النفس الحديث

قد يقال أن علم النفس من العلوم الحديثة ، ولكن الأصح أن علم النفس قديم قدم النفس الإنسانية ، إلا أنه — وبلا شك — تقدم ، وتطور في العصر الحديث بفعل التجربة والتكنيك والبحث .

والحق أن الإسلام أبو علم النفس ، على عكس ما يتصور البعض أن علم النفس من مكتشفات العلم الحديث .

إذ إن الإسلام يعطي للنفس الإنسانية أهمية بالغة ، ويقدم لها المناهج الوقائية من

الانحراف والتعقد، كما يقدم لها العلاجات الناجعة فيما إذا أصيبت بالأمراض، أو المشكلات النفسية. ويُعتبر القرآن الحكيم، طب القلوب (النفوس)، ودواؤها، وهو أكبر طبيب نفسي على وجه الأرض.

ويمكن للإنسان أن يتدبر آيات القرآن ليخرج بمجموعة كبيرة من القواعد النفسية التي تقيه شر الإصابة بأمراض النفس ومعالجتها بها فيما إذا كانت مصابة. وإضافة إلى القرآن هناك السنة النبوية، ولو تأمل الإنسان جيداً في الأحاديث الشريفة لخرج بمجموعة كبيرة جداً من القواعد والعلاجات النفسية التي تنفعه في هذه الحياة.

وفيما يرتبط بالعصر الحديث هناك الكثير من الكتب النافعة في علم النفس، يمكن الاستفادة منها في مجال التعرف على النفس، وفي مجال التحليل النفسي. وهناك من الاختبارات النفسية ما ينفع الإنسان في الجانب النفسي، وفي تشخيص الصفات والحالات النفسية، إلا أن هذه الاختبارات ليست كل شيء، وهي بمثابة طرق مساعدة على التشخيص، والعلاج ليس إلا.

ولأهمية علم النفس، فهو يدخل في مجالات عديدة، في صالح الإنسان: في التربية، والإدارة والتنظيم، والسياسة، والاجتماع، و... ومن المؤلم حقاً أن علم النفس استعمل ولا يزال يستعمل لأغراض لا إنسانية!

في الاجتماع

— كن اجتماعياً علاقاتياً

للاجتماع دور رئيسي في الحياة، وتكاملية جوانب الحياة المختلفة تعتمد عليه وعلى التماس والاتصال بين البشر. إذ لا اجتماع بدون اتصال، مع الأخذ بعين الاعتبار صور الاتصال المختلفة. ومن أجل ذلك جعل الله الإنسان اجتماعياً بالفطرة، وليس من صعوبة يجدها لأن يكون كذلك. بل حتى الطفل الرضيع جعله الله اجتماعياً، فهو يستوحش ويكي حينما يجد نفسه وحيداً فريداً، ويخرج إلى عامل الحياة الذي يُعتبر الاجتماع شرطاً لتحقيقه.

فلتستغل هذه الفطرة الموجودة فيك، وتجمع، وتوسع من دائرة علاقاتك. ولتكن علاقاتك صادقة مخلصه دائماً.

والحياة قائمة على العلاقات الاجتماعية، بجميع صورها وأشكالها، وذات دور هام في كل مجالات الحياة. وتتجلى أهمية العلاقات الاجتماعية في أنك تجد كل شخص، يمتلك قسماً

للعلاقات العامة، كما أنك تجد للموزارات والإدارات والمؤسسات والشركات، و... فرعاً خاصاً يدعى بـ «قسم العلاقات العامة».

ولكني تعيش علاقات اجتماعية ناجحة وسعيدة مع الناس، ابتعد دائماً عن الزوايا الحادة، وكن إيجابياً، ولا يعني أن ترضى بكل سلب يصدر من الآخرين، بل المقصود أن تستخدم أسلوباً فنياً لمعالجة ذلك السلب. ومن أجل ثقافة اجتماعية سليمة، وواقع اجتماعي ناجح، اقرأ في الاجتماع الإسلامي، وإن استطعت، اقرأ في علم الاجتماع، والعلاقات العامة — عموماً.

— لا تتكلف

في علاقاتك الاجتماعية الإنسانية ابتعد عن التكلف. والتكلف هو التصنع، واللاطبيعية في التعامل مع الناس.

وما أجمل الإنسان حينما يتعامل بشكل فطري وطبيعي مع الناس فيحبونه! وكما هو ممول منه ذلك المتكاف في التعامل معهم!

فإذا تكلمت مع الناس تكلم بشكل فطري، وإذا خطبت، فاخطب بطريقة فطرية، وإذا ابتسمت فلتكن ابتسامتك كذلك، وهكذا في المجالات الأخرى.

واعلم أن الابتعاد عن التكلف يساعد الإنسان على صنع علاقات اجتماعية ناجحة بسهولة، ويجعله يحافظ على هذه العلاقات. واعلم أيضاً أن الناس ترغب دائماً في الإنسان الفطري لا في المتكلف.

وإذا كان من غير الحسن أن يتكلف المرء في علاقاته بالناس، فإنه من غير الجيد له — أيضاً — أن يجعلهم يتكلفون له.

يقول الإمام علي (ع):
«شر الإخوان من تُكَلَّف له»^(١).

(١) نهج البلاغة — ص ٥٥٩.

استثمر علاقاتك ، واغتنم أي فرصة اجتماعية .

الأهم في العلاقات الاجتماعية ليس افتتاحها وابتدائها ، وإنما إدامتها واستثمارها بخير .
فما أكثر العلاقات التي تُبتدأ ! وما أقلها التي تستثمر !

قد تسأل : ماذا يعني استثمار العلاقات ؟

إنه يعني : المضي قدماً فيها ، وتطويرها ، وعدم التوقف عند الخطوات الأولية منها .

فعلى سبيل المثال : إذا تعرفت على شخص ، وكان أهلاً للمصادقة ، فلا تتوقف معه عند التعرف الأولي ، ومن ثم يصبح عندك شخصاً عادياً ، أو تتركه ، بل استثمر الصداقة معه . فبإمكانك أن تنظم له زيارات مخلصمة تظهر اهتمامك به ، وتدعوه على وجبة طعام ، وتقدم له هدية يذكرك دائماً بها ، وتراسله إذا كان في السفر ، و .. وتستفيد من الطاقات والكفاءات التي يمتلكها ، وبالتالي يصبح صديقاً حميماً لك ، وتستفيد من طاقاته وكفاءاته .

وفي الحياة كثير من الفرص الاجتماعية ، إن اغتنمها الإنسان حقق نجاحاً باهراً .

فمثلاً : قد يجمعك المقام مع شخصية مرموقة فاضلة ، فأنت بين خيارين : إما أن تغتنم الفرصة ، وتتعرف عليها ، وتقيم علاقة معها ، وبالتالي تفتح لك آفاق جديدة ، وإما أن تضيع الفرصة ، فلا تتعرف عليها ، فتخسر .

وثمة نقطة هامة ترتبط باستثمار العلاقات وهي :

في أي تجمع كلما ازداد حضور الإنسان الاجتماعي في التجمع ، كلما اكتسب شعبية أكثر بين أفراد التجمع ، وكلما كانت فرص استثمار العلاقات مع أفراد التجمع ، — بالنسبة له — أكثر أيضاً .

والتواضع له دور كبير في العلاقات ، فهو يتيح للإنسان صنع علاقات موسعة مع الناس ، واستثمارها أيضاً ، مع أي إنسان مهما كان مستواه ، ومهما كان خطه واتجاهه .

والعلاقات والصداقات قد تتعرض في بعض الأحيان إلى التوتر ، والانتكاس وفي بعض الأحيان الأخرى إلى القطيعة ، إلا أن أفضل طريقة لإصلاح العلاقات ، وإدامتها : نسيان الماضي ، وعدم اجتراره في القلب ، وفتح صفحات جديدة .

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) :
 «احمل نفسك من أخيك عند صومه على الصلاة، وعند صدوده، على اللطف
 والمسالمة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند
 جرمه على الاعتذار، كأنك له عبد، وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير
 موضعه، وأن تفعله بغير أهله» (٢) .

ويقول (ع) أيضاً:
 «لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلاته» (٣) .

— خالط ، وعاشر بالإحسان

حينما تخلص في مخالطتك للناس، وتعاشرهم معاشرة حسنة، فتحسن إليهم، وتقدرهم
 وتقضي حوائجهم، وتوفهم حقوقهم تتحول إلى إنسان محفود محشود، إذا عشت حنا إليك
 الناس، وإذا متّ بكوا عليك .

يقول الإمام علي (ع) :
 «خالطوا الناس مخالطة إن عشت معهم حنوا إليكم، وإن متّ معهم بكوا
 عليكم» (٤) .

— البشر معادن

جاء في الحديث الشريف بما مضمونه :
 «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» .

يخطيء من يتعامل مع الناس على أنهم نوعية واحدة في المشاعر، والأحاسيس
 والسلوك . ويخطيء — أيضاً — من يفرض معدنه، وطبيعته على الناس .

(٢) تحف العقول — ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق — ص ٥٥ .

(٤) نهج البلاغة — ص ٤٧٠ .

إن الحكمة الشهيرة تقول: «إن أصابع يدك ليست متساوية». ومن هنا فإن الناس من جهة المشاعر، والعواطف، والأخلاق — بل وحتى العقول — نوعيات متعددة، فمنهم الحليم، ومنهم الغضب، ومنهم قوي القلب، ومنهم رقيق العاطفة سريع التأثر، ومنهم من يعود إلى التصافي بسرعة، ومنهم من لا ينسى ما تأثرت به مشاعره النفسية، ومنهم الصبور، ومنهم العجول، ومنهم رحيب الصدر، ومنهم ضيقه، ومنهم من يتقبل النقد برحابة الصدر، ومنهم من لا يتقبله.

ومن هنا في تعاملك مع الناس يجدر بك أن تتعرف على طبيعتهم البشرية، وأن لاتهمل معدن كل واحد منهم، وإذا أهملته فلا غرابة أن تذ من حدوث توتر في علاقتك معهم، ولا تلومن إلا نفسك.

يقول الإمام علي (ع):
«مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم»^(٥).

ولا تعني المقاربة — بأي شكل من الأشكال — التخلي عن الخلق الصحيح الحق، والذوبان في الخلق السيء. بل ربما كانت المقاربة وسيلة للمحافظة على العلاقات مع الناس، وتصحيح أخلاقهم وسلوكياتهم.

— كن بشوشاً

كما أن الطيور لاتصطاد إلا بالمصائد والحبائل، كذلك قلوب الناس فهي لاتصطاد إلا بالبشاشة، وحسن البشر، وطلاقة الوجه.

يقول الإمام علي (ع):
«البشاشة حباله المودة»^(٦).

فإذا أردت أن تكون صياداً ماهراً لقلوب الناس، لاتنسى هذا السلاح الرفيق، ألا وهو البشاشة.

(٥) نهج البلاغة — ص ٥٤٦.

(٦) المصدر السابق — ص ٤٦٩.

— تألف قلوب الناس

قلوب الناس حالتها تشبه حالة الوحوش الضارية، إن استأنستها أقبلت عليك، وانسجمت معك، وإن لم تألفها، نفرت منك أيما نفور.

يقول الإمام علي (ع):
«قاوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه»^(٧).

— تودد إلى الناس

التودد: التعجب وإظهار الحب المخلص للناس وهو من صفات العاقل الحكيم.

يقول الإمام علي (ع):
«التودد نصف العقل»^(٨).

وإن تتودد إلى الناس يعني: أن تمارس الحب معهم، وهل الدين إلا الحب؟

— اعرف الأجدر بالتقرب إليه

الناس من ناحية التقارب في الصداقة على نوعين:

١ — نوع تباعد عنه، ويتقرب إليك.

٢ — وآخر تتقرب له، ويباعد عنك.

ومن يتقرب إليك فلا تباعد عنه — بل هو الخالق بالتقرب إليه — فإذا ابتعدت عنه أصبحت ناقص الحظ في الصداقات والعلاقات. ومن تتقرب إليه ويباعد عنك قد تصبح ذليلاً له.

يقول الإمام علي (ع):

«زهديك في راغب فيك نقصان حظ، ورغبتيك في زاهد فيك ذل نفس»^(٩).

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

فلا تضع وقتك مع من لا يميل إليك ، بل ابحث عمن يرغب فيك ، واصنع ، واستثمر علاقاتك معه . ولا يعني ذلك أن لا تكون لك علاقات طيبة مع عموم الناس ، بل إن الإسلام يأمرنا حتى بصلة من قطعنا ، وعدم الإساءة لمن أساء إلينا .

— كن رحيماً عطوفاً

« ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

في عالمنا اليوم ما أكثر مستحقي الرحمة والعطف !

معكسر ، مستكبر ، مستأثر ، مصاب بالتخمة ، ومئات الملايين — من البشر — تكابد الجوع ، والمرض ، والفقر ، والحرمان ، والإرهاب !

فارحم الناس ، واعطف عليهم ، وخاصة على الضعفاء ، والفقراء ، والمستضعفين ، ولتكن حاملاً لقضيتهم ، ومدافعاً عنهم . وكقاعدة عامة : في علاقاتك مع الناس تجنب العنف ، وكن رحيماً بإخوانك ، شديداً على الكفار ، والمنافقين ، والطغاة والمستكبرين .

واعلم أن المشكلات الاجتماعية — إن حدثت — يمكن تسويتها بالطرق السلمية ، وهي الطرق الطبيعية في التعامل مع الاخوان .

— اغث هؤلاء ، ونفس عن أولئك

الملهوفون هم هؤلاء الحزنون الذين ذهب لهم مال أو فجعوا بأحماء . والمكروبون هم أولئك المهمومون والمغمومون .

فإذا رأيت أخاك وقد افتقر ، أو فقد حبيباً له ، فمن واجبك أن تغيثه . وفي الحالة الأولى أن تواسيه بمالك ، وفي الحالة الثانية أن تعزيه ، وتسليه .

وإذا رأيت أخاك وقد اهتم أو اغتم ، فادن منه ، وادخل السرور والحبور على قلبه .

يقول الإمام علي (ع) :

« من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب »^(١٠) .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« إن أفضل الأعمال بعد العبادة إدخال السرور على قلب المؤمن »^(١١) .

— احسن إلى جيرانك

من مظاهر الاجتماع الصالح الإحسان إلى الجار . ولقد أعطى الإسلام اهتماماً كبيراً بالجار ، والإحسان إليه مهما كان ، مسلماً كان أو كافراً . فالمجتمع في ظل حسن الجوار يشبه السلسلة المتصلة الحلقات ، كل واحدة تشد أزر الأخرى .

ومن مظاهر فساد الغرب والمجتمعات المقلدة له ، التمحور على الذات ، دون التعاون مع الجيران . ففي ظل هذه المجتمعات تعيش كل أسرة بمعزل عن الأخرى ، فلا تكافل ولا زيارات ، ولا تحسس للآمال والآلام .

يقول الإمام علي (ع) :

والعار في رجل يبيت وجاره طاوي الحشى متمزق الأظمار^(١٢)

— لكي يصلح الله ما بينك وبين الناس

علاقة الإنسان مع الله ليست منفصلة عن علاقته بالناس ، لأن الناس عباد الله وعياله . ومن هنا فإن هذه العلاقة علاقة طردية . فكأما توثقت علاقة الإنسان بربه ، توثقت علاقته بالناس ، وعكس ذلك صحيح .

فإذا رأيت أن علاقتك بالناس ليست بالصورة المطلوبة ، ولست موفقاً فيها ، فاعلم أن هناك خللاً في ارتباطك بالله ، وبإزالة هذا الخلل تعود علاقتك بالناس طبيعية ، وناجحة .

يقول الإمام علي (ع) :

(١٠) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع) .

(١١) ميزان الحكمة .

(١٢) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) .

« من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس » (١٣) .

— كن متصافياً

يقول الإمام علي (ع) :

« احصد الشر من غيرك بقلعه من صدرك » (١٤) .

الحقد والشحناء، والعداء والكراهية من الشرور والأمراض النفسية . فهلا نقلعها من صدورنا لكي نحصد ما من صدور غيرنا ؟

وما أجمل الإنسان وهو متصاف مع كل إخوانه المؤمنين ، ومع عموم الناس ، لا وجود للكبت والشحناء، وسوء الظن ، والعداوة بينه وبينهم . إنها السعادة الحقيقية !

ومن الأمور التي تساعد الإنسان على التصافي : أن لا يجعل حدثاً سلبياً حدث بينه وبين إنسان آخر ، إطاراً لشخصية ذلك الإنسان ، وأن لا ينظر إليه من خلال هذا الحديث ، بل ينظر إليه من خلال شخصيته الإيجابية ، ومعاملته الحسنة له .

ولنعلم دائماً أن بني البشر ليسوا معصومين عن الخطأ ، ولو كانوا كذلك لما حدث بيننا وبينهم أي خطأ أو سوء تفاهم . إلا أن السعادة الحقيقية لنا هي أن نتجنب العداءات الداخلية والخارجية مع الآخرين ونكون متصافين معهم دائماً .

يقول الله تعالى : ﴿ يضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (١٥) .

— لا للإصرار ، والأغلال النفسية

في علاقاتك الاجتماعية بالآخرين لا تعطي للإصرار والأغلال النفسية (الجبت) فرصة التسلل إلى قلبك ، وإذا ما تسللت فاعمل على طردها بسرعة . وإذا ما حمل عليك الآخرون في نفوسهم ، أو تعدوا عليك ، فلا تحمل ، ولا تحقد عليهم ، ولن تخسر شيئاً ، بل أنت الرابح .

(١٣) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع) .

(١٤) المصدر السابق — حكيم الإمام علي (ع) .

(١٥) ١٥٧ — الأعراف .

يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦) .

— لا تحقد —

بينك وبين إخوانك المؤمنين لا مجال للكراهية، والبغض، والحقد، وكيف تحقد عليهم وأنت وهم أعضاء من جسم واحد؟! وليكن حقدك منصّباً على الظالمين، والمستكبرين، وأعداء الدين والرسالة — عموماً —، وحقدك على هؤلاء الظالمهم، واستكبارهم، وعدائهم للمدين، وأعمالهم الزكراء التي تغضب الله ورسوله.

— لا تحسد —

الحسد من الأخلاق السيئة، والأمراض النفسية الخطيرة على صحة الإنسان، حتى إن صحة الإنسان تتناسب عكسياً مع الحسد. وهو منشأ لكثير من الأمراض النفسية والجلدية، والحسد يعيش حالة معاناة داخلية مع نفسه، وعلاج الحسد، تجنبه. فتجنب حسد الآخرين على النعم التي يرزقهم الله، وادع دائماً للمؤمنين والمؤمنات بالخير، والبركة، والرزق، والتوفيق.

يقول الله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (١٧) .

ويقول الإمام علي (ع) :

« صحة الجسد من قلة الحسد » (١٨) .

ويقول أيضاً :

« كاد الحسد أن يغلب القدر » (١٩) .

(١٦) ١٠ — الحشر .

(١٧) سورة الفلق .

(١٨) نهج البلاغة — ص

(١٩) شرح الفرر والدرر — ج ٧ .

— كن محباً ، وداعية للوحدة والسلام —

يقول الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (٢٠) .

ويقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ (٢١) .

أمران من صميم أهداف الإسلام :

— الوحدة .

— والسلام .

والإسلام دين الوحدة والسلام ، ولا يوجد دين على وجه الأرض يحترمهما ، ويسعى لإيجادهما كما الإسلام .

والمؤمن كما دينه ، يحب الوحدة ويعشقها فإذا ما رأى حركة تفريق سعى إلى ردعها ، والقضاء عليها ، وهو يحب السلام ويعشقه ، وإذا ما تعرضت قيمه وأرضه للانتهاك والخرق ، والتزيف ، والاستهتار فإنه يحب الحرب ويعشقها ، لالذاتها ، وإنما لكونها دفاعاً عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها .

— أحب أهل الخير ، وأعمالهم —

من صفات الإنسان أنه شديد الحب للخير . ومن واجبه أن يستثمر هذه الغريزة التي فطره الله عليها ، فيحب كل خير ، وكل أهل خير .

يقول تعالى : ﴿ وانه لحب الخير لشديد ﴾ (٢٢) .

ينقل التاريخ أنه عندما كان يوم العشرين من صفر من عام ٦١ هـ ، قام الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري لزيارة أبي الأحرار الإمام الحسين (ع) في كربلاء ،

(٢٠) ١٠٣ — آل عمران .

(٢١) ٢٠٨ — البقرة .

(٢٢) ٨ — العاديات .

فاغتسل ، ونثر على بدنه عطراً يقال له السَّعد ، وكان بصحبته خادمه ابن عطية أو عطية العوفي ، مع جماعة آخرين . وكان جابر مكفوف البصر .

وبينا هما في الطريق إلى كربلاء قام بن عطية يسرع في المسير ، فقال له جابر : يا ابن عطية ! اقصر خطاك فإن لنا في كل خطوة عشر حسنات !

فاما وصلاوا إلى قبر الحسين (ع) ، اغرورقت عيننا جابر بالدموع ، فطلب من ابن عطية أن يضع يده على القبر . وبمجرد أن وضع جابر يده عليه ، صرخ يا حسين ! ثلاثاً ، ثم أغمى عليه . فقال بن عطية : مات والله ! سيدي جابر .

ولما أفاق جابر قال : حبيب لا يجيب حبيبه ، وأنتى لك الجواب وقد شخبت أوداجك على أنباجك ، وفرق بين بدنك ورأسك . أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخمة ، والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها . أشهد أنك مضيت على ماضى عليه أخوك يحيى بن زكريا ، فطبت حياً ، وطبت ميتاً .

سيدي ! «أشهد أنا قد شاركنكم في مصيبتكم» .

فقال بن عطية : سيدي جابر ! كيف تقول ذلك ، ونحن لم نصعد جبلاً ، ولم نهبط وادياً ، ولم نضرب بسيف ، ولم نطعن برمح ، والقوم قد فرق بين أبدانهم ورؤوسهم ، وأيتمت أطفالهم ، وأرملت نساؤهم .

فقال له جابر : (والشاهد هنا) مه يا ابن عطية ! لا تذهبن بك المذاهب ، فالحق سمعت حبيبي رسول الله يقول : من أحب عمل قوم أشرك معهم في عملهم ، ووالله ! إن نيتي ونية أصحابي على ما هم عليه .

فالتكن محباً للشهداء ، والصدّيقين ، والصالحين ، والثوار ، وأهل الخير — عموماً — وما قاموا ويقومون به من أعمال ، إن لم تكن مشاركاً لهم بالفعل فيها .

— عندما تقدر اعف —

خلقية الإنسان ، وعظمته ، وقدرته على التحكم في قوته الغضبية لا تتجلى في عفوه عن

الآخرين في الظروف العادية وحينما لا يكون قادراً، وإنما في الظروف التي يكون قادراً فيها، ويعفو .



إن العفو عند المقدرة من صفات رمزنا الأكبر، رسولنا الأعظم (ص)، ومن صفات أئمتنا العظام (ع)، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين .



ومن القصص التي ينقلها التاريخ أن الرسول الأعظم (ص) كان — بعد إحدى المعارك جالساً على سفح جبل، فجاء إليه أحد المشركين، وأخذ سيفه، وشهره عليه، وقال: من يخلصك مني — الآن — يا محمد؟!

وفي الأثناء تحرك حجر كان المشرك واقفاً عليه، فسقط على الأرض، ووقع السيف من يده، فانتهر الرسول الفرصة، وأخذ السيف منه، وقال له: من يخلصك مني الآن؟ فقال: عفوك يا رسول الله! فما كان من الرسول إلا أن عفا عنه، وهو قادر على قتله، وإرساله إلى الجحيم .



يقول الإمام علي (ع):
«ألأم اللؤم البغي عند القدرة» (٢٣) .

— استفد من الوساطات المشروعة

الوساطة، أو الشفاعة حاجة حياتية، بل هي حاجة أخروية أيضاً . فالرسول الأعظم

(٢٣) شرح الغرر والدرر — ج ٧ .

(ص)، والأئمة، يشفعون لحبيبتهم، ومريديهم، ومن هم في طريقهم الذين ارتكبوا ذنباً في الحياة الدنيا.

وأنت، وأنا في هذه الحياة لا غنى لنا عن الوساطات من أجل إنجاز بعض الأعمال، أو الدخول في أخرى، بشرط ألا تكون هذه الوساطات مؤدية إلى ظلم الناس، والجور عليهم.

ومن هنا فإن في الوساطة جانباً تربوياً — يجب أن يدركه الإنسان — يرتبط بكل من الوسيط، والمتوسط له. فلا المطلوب من الأول أن يتعدى على الآخرين من أجل التوسط لشخص، ولا المطلوب من الثاني أن يسيء استخدام الوساطة كأن يرشي الوسيط مثلاً.

ولأهمية الوساطة في الحياة فإن الإمام علي (ع) شبه الوسيط بالجنح للمتوسط له، يطير به، فيقول:

«الشفيع جناح الطالب»^(٢٤).

— انظر عند من تقطر ماء وجهك

ليس الناس على درجة واحدة في الكرم وعدم المسّ، وعليه فليسوا كلهم مؤهلين لأن تطلب الحاجات منهم، فمنهم من إذا طالبت منه الحاجة، منّ عليك، وأراق ماء وجهك، وأخجلك بين الناس.

يقول الإمام علي (ع):

«ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطر ماء وجهك»^(٢٥).

ويقول (ع) أيضاً:

«فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها»^(٢٦).

ويقول الحديث الشريف:

(٢٤) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

(٢٥) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

(٢٦) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

«احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره».

— إذا ضيعك الأقرب

الناس بالنسبة إليك إما أقرباء، وإما أبعاد. ولكي تعيش سعيداً ناجحاً في الحياة، أنت بحاجة إلى معاونين من أقرباء، وأصدقاء، وإخوان. وما قد يحدث لك أن ترى الأقرباء — بما فيهم أصدقاؤك — قد ابتعدوا عنك، وضيعوك، ولم يعطوك اعتباراً. فلا تبتئس، واذهب إلى الأبعدين فقد يتحول هؤلاء الأخيرون إلى أكثر من أقربين بالنسبة إليك.

وما أكثر العظماء، والناجحين الذين ضيّعهم أقربوهم فبحثوا عن الأبعدين — سواء في الحل أو السفر — فأصبحت شخصياتهم عظيمة واسعة سعة هذا الكون!

يقول الإمام علي (ع):
«من ضيّع الأقرب أتبع له الأبعد» (٢٧).

ويقول (ع) أيضاً:
«رب بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد، والغريب من لم يكن له حبيب» (٢٨).

— ابدأ بالسلام

ما أسهل، وأروع أن يقول المرء لمن يلقاه: السلام عليكم! إنها كلمة تدخل إلى قلب الطرف الآخر معانة حالة السلم والالفة معه.

فابدأ بالسلام، وإذا ما قابلت شخصاً غريباً، وحدثك فيك، وحدثت فيه، وشعر

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) المصدر السابق.

فيك بنوع من الغرابة والمجهولية، فابدره بهدوء بهذه الكلمة: «السلام عليكم». وسرعان ما سيتبين له أنك لا تكن له إلا الحب، والاخوة، والسلام، وربما أصبح صديقاً لك.

ولا تبخل بالسلام، لأن البخيل من بخل به.

يقول الإمام الصادق (ع):

«السلام تطوع، والردّ فريضة» (٢٩).

— في المديح كن موازناً —

الناس من جهة تقديم المدح للآخرين على أقسام:

١ — قسم يسرف في المديح.

٢ — وآخر يقصر فيه.

٣ — وثالث لا يمدح مطاقاً.

٤ — ورابع يوازن فيه.

وليس المطاوب أن تسرف في المديح، لأن إسرافك فيه قد يتحول إلى ماق، والملقى مرفوض في الإسلام، وقد يعمل الإسراف في المديح على تخريب، وتبييع شخصية الطرف الممدوح، وربما منعه من التقدم.

وليس المطاوب أيضاً أن تقصر في المديح، لأن تقصيرك فيه إجحاف بحق الطرف الآخر، وتقصير في الشكر له والثناء عليه، وإضعاف — وربما إيقاف — لروح حب العمل وزيادة الإنتاج فيه.

وليس المطاوب أيضاً أن لا تمدح مطلقاً، لأنه حسد وجفاف في التعامل، ونكران وكفران وتجاهل لما يقدمه الطرف الآخر من إنجازات، وعامل تثبيط له.

أما المطاوب، فهو أن تكون متوسطاً في المديح، فخير الأمور أوسطها، وبإمكانك أن تمدح أقل عمل وإجادة، ولكن بنية مخلصة، وبعيداً عن الإسراف والملاق.

(٢٩) تحف العقول.

يقول الإمام علي (ع):
«الثناء (المدح) بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي وحسد» (٣٠).

والناس من جهة استقبال المديح على قسمين:

- ١ — قسم يعمل ولا ينتظر المديح، ولا يهجمه امتدح أم لم يُمتدح.
 - ٢ — وآخر ينتظره ويعتبره محرماً له، فهو لا يعمل إلا تحت تحريك المديح.
- وبلا ترديد ان من طبيعة الإنسان حب تلقي الثناء والمدح، وأغلبية الناس على هذه الشاكلة، ولكن بتفاوت، والمطابوب من الإنسان أن يربي نفسه على إنجاز الأعمال، وإتقانها، والتفاعل في ذلك حتى لو لم يمتدح، وإن امتدح فذلك خير وبركة، ونور على نور، وعامل تحفيز.

— لا تدقق على الجزئيات

التدقيق على الجزئيات الصغيرة في العلاقات بالناس قد يسبب توتراً معهم، وربما قد يؤدي إلى فقدان الأصدقاء. ومن هنا فإن من أخلاقيات الاخوة والمصادقة تحمل بعض أخطائهم، وصفاتهم غير المحمودة، خاصة تلك الصفات التي أصبحت عادة فيهم، ولا يمكنهم تركها، أو تلك التي انتقلت إليهم بعامل الوراثة، وليس بإمكانهم الإقلاع عنها.

يقول الإمام علي (ع):
«احتمل أخاك على ما فيه، ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة، ويجرّ إلى البغضة، واستعتب من رجوت عتابه» (٣١).

— لا تبالغ في الخصومة

في الوقت الذي أمرنا الإسلام بممارسة الحب مع الناس، بحيث لا يكون هذا الحب

(٣٠) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

(٣١) ميزان الحكمة — ج ١ — ص ٥٦.

مطلقاً، فإنه أمرنا حين حدوث الخصام أن نستبقي نسبة من الحب للطرف الآخر، بأمل تصالحنا معه في المستقبل.

فإذا حدث أن تخاصمت مع إنسان، فلا تكن متعصباً لذاتك، بل اجنح دائماً نحو المصالحة، لانحو اللجاجة، والتعنّت في الخصومة، والمبالغة فيها. ولا تحسبن أن في جنوحك المصلح، والتصافي هزيمة لك، بل هو انتصار، وراحة معنوية، لأن الخصومة تولد الحقد، والحسد، وهما يأكلان في القلب كما تأكل النار الحطب، فضلاً عن أنها تولد متاعب نفسية ومعنوية.

يقول الإمام علي (ع):

«من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصّر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم» (٣٢).

ويقول (ع) أيضاً:

«أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضبك يوماً ما، وابغض بغضبك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» (٣٣).

— لا تكن مزوحاً —

المزاح: هو المضاحكة بقول أو فعل، وأغلبه لا يخلو من سخرية، وهو على نوعين:

١ — مزاح ينال من شخصية الطرف الآخر، ويهينها ويؤذيها، سواء كان باللسان، أو باليد، وهو رمي للعقل في مطارح الضياع، وهذا مرفوض.

يقول الإمام علي (ع):

«المزاح يورث الضغائن» (٣٤).

ويقول (ع) أيضاً:

(٣٢) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع).

(٣٣) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع).

« مامزح امرؤ مزحة إلا مسّج من عقله مسّجة » (٣٥) .

٢ — وآخر يقصد منه التسليّة دون الإساءة إلى الطرف الآخر ، والنيل منه ، وهذا لا بأس به في الحدود المعقولة . وجاء في سيرة الرسول الأعظم (ص) أنه جمّع نوى التمر الذي أكله أمام الإمام عليّ (ع) ، وقال له بما معناه : أكلت التمر كله ؟ فقال الإمام بما معناه : إن الذي أكل التمر ، هو الذي أكله مع النوى .

— تعلم فن اكتساب الأطفال ، وتربيتهم

الأطفال هم شباب الأمة ورجالها في الغد ، وهم صنّاع المستقبل ، إن صلحوا صلح مستقبل الأمة ، وإن طامحوا فمستقبلها لا يبشر بخير .
من هنا يلزمك أن تعطي للأطفال اعتباراً هاماً ، وتركز في الجانب الاجتماعي ، والتربوي معهم .

والأطفال حسب قابليتهم الاجتماعية على أنواع منها :

- ١ — نوع يتكيف مع أي غريب وبسرعة .
- ٢ — وآخر يأخذ وقتاً وجيزاً لكي يتكيف .
- ٣ — وثالث يستغرق وقتاً طويلاً — نسبياً — لكي يتكيف .

وحسب نوعية الطفل وصفاته النفسية يمكنك أن تتعامل معه ، وتربيته . ومن أجل ثقافة حسنة في هذا المجال ، اقرأ كتاباً^(٣٦) جيداً في تربية الطفل إن استطعت ، ومكتبة الطفل تزخر بالمؤلفات حول الطفل والطفولة .

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) :

« إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته » (٣٧) .

(٣٤) شرح الغرر والدرر — ج ٧ .

(٣٥) تحف العقول .

(٣٦) ومن الكتب النافعة في هذا المجال كتاب (الطفل بين الوراثة والتربية) للشيخ محمد تقي الفلسفي .

(٣٧) تحف العقول — ص ٤٧ .

ويقول (ع) أيضاً:

حرض بنيك على الآداب في الصغر كيما تقرُّ بهم عيناك في الكبر
وإنما مثل الآداب تجمعها في عنقوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير^(٣٨)

— تزوج إن استطعت

يقول الرسول الأعظم (ص):

«من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه لو وجاء».

الزواج وسيلة تكوين الأسرة، وهي الخلية الاجتماعية الفطرية التي يعتمد صلاح المجتمع وتقدمه عليها. والزواج سنة رسول الله، من رغب عنها فليس منه. وركعة يصلحها متزوج أفضل عند الله من عشرات الركعات يصلحها أعزب.

والزواج يفتح آفاقاً جديدة للإنسان، فعلى سبيل المثال: قد يتصور أحدنا أنه سيعيش فقيراً بعد أن يتزوج، إلا أنه وبعد الزواج يرى أبواب الرزق تنفتح له. ولا يعني هذا — بالطبع — إهمال عامل الحركة والسعي والالتكال على الجانب الغيبي وحده، بل يعني الجمع بينهما.

ولقد جاء في القرآن الحكيم قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣٩).

وجاء في السنّة النبوية قول الرسول الأعظم (ص):

«التمسوا الرزق بالنكاح»^(٤٠).

والزواج وسيلة التكاثر، وأفضله الزواج المبكر، فلقد أثبت العلم أن للزواج المبكر ميزات خاصة به، منها أنه يحافظ على القوى الجنسية للرجل — على عكس الزواج المتأخر — ويجعل النسل قوياً.

(٣٨) الديوان المنسوب للإمام علي (ع).

(٣٩) ٣٢ — النور.

(٤٠) ميزان الحكمة.

يقول رسول الله (ص):
«تكاثروا فيني مبهاء بكم الأمم».

— كيف تتعامل مع زوجتك ؟

زوجتك صديقتك، ورفيقتك، وشريكك في الحياة، وهي إنسانة، وليست بقهرمانة.

وإن من أهم النقاط في العيش مع الزوجة والتعامل معها مايلي:

- ١ — الاحترام، والتقدير، والإخلاص، والمحبة، والإحسان.
 - ٢ — الأخلاق الحسنة.
 - ٣ — تشجيعها وإعطاؤها الثقة بنفسها.
 - ٤ — شكرها على ما تقدمه من خدمات.
 - ٥ — إعطاؤها كامل حقوقها.
 - ٦ — أن يصنع الزوج من نفسه رمزاً وقدوة لزوجته.
 - ٧ — تجنب الزوايا الحادة.
 - ٨ — روح التفاهم، والانسجام، والموافقة.
 - ٩ — تذكيرها والتواصي والتشاور معها.
 - ١٠ — مساعدتها والتعاون معها.
- وفي سبيل ثقافة زوجية جيدة، لا بأس بقراءة كتاب في العلاقات الزوجية.

— كيف تتعاملين مع زوجك ؟

زوجك صديقك، ورفيقتك، وشريكك في الحياة، وهو إنسان كما أنك إنسانة.

وإن من أهم النقاط في التعامل مع الزوج مايلي:

- ١ — الاحترام، والتقدير، والإخلاص، والمحبة، والإحسان.
- ٢ — الأخلاق الحسنة.

- ٣ — تشجيعه في الخير .
 - ٤ — شكره .
 - ٥ — إعطاؤه كامل حقوقه .
 - ٦ — أن تصنع المرأة من نفسها رمزاً يحتذى به .
 - ٧ — تجنب الزوايا الحادة .
 - ٨ — روح التفاهم ، والانسجام ، والموافقة .
 - ٩ — تذكيره والتواصي والتشاور معه .
 - ١٠ — مساعدة الزوج ، والتعاون معه ، والتخفيف عنه بما لكلمة التخفيف من معنى .
- وفي سبيل ثقافة زوجية جيدة ، لا بأس بقراءة كتاب في العلاقات الزوجية .

— جهادك حسن التبعّل

خلق الله الرجل والمرأة في تكوين يتلاءم ومهمتهما في الحياة ، فجعل الرجل صلباً لأنه القوّم وهو الذي يتحمل المشاق ، وجعل المرأة ناعمة لما عليها من دور عظيم في إنجاب ، وتنشئة الأجيال .

وإذا وازلت المرأة على أداء حقوق الزوجية على أكمل وجه ، ووفرت لزوجها الأجواء الملائمة لأن يواصل مسيرته في الحياة ، وملأت أجواء العائلة بالحب ، والوئام ، والتعاون ، وقامت بتربية أبنائها تربية سليمة ، وبعبارة أخرى : إذا أحسنت التبعّل فإن عملها هنا يعتبر جهاداً .

وإذا كان حسن تبعّل المرأة جهاداً ، فإن هذا لا يعني إلغاء مشاركة المرأة الرجل في ميادين العمل الأخرى إن اضطرت أو استطاعت .

أما على صعيد العمل الإسلامي فلقد أثبتت المرأة — وخاصة المرأة المسلمة — دورها في النهضات .

وكمثال من تاريخنا الإسلامي ، العقيلة زينب (ع) ، بطلة كربلاء ، هذه العملاقة التي هاجرت مع الإمام الحسين (ع) ، وتحملت أصعب المشاق في ذلك (ع) ثم تحملت

مسئولية ديمومة نهضته وتبايغها، وأوصلت صداها إلى كل الأصقاع، وواجهت الظالمين بالكلمة، وفي نفس الوقت قامت بدورها الأسروي والتربوي على أكمل وجه.

— أهلك ، وولدتك

من مسؤوليات الإنسان أن يهتم بأهله وولده، إذا كان متزوجاً، ويعطهم حقوقهم لأنه القوام على العائلة من جهة، ولأن الأهل والولد لبنات اجتماعية، وصلاحتها يؤثر في صلاح الاجتماع ككل.

إلا أنه إذا جعل كسل شغله بأهله وولده، فإن من شأن ذلك أن يكون على حساب أمور أخرى. فالإفراط في الانشغال بالأهل والولد يجعل الإنسان يقصر في الدور الاجتماعي خارج نطاق أسرته، ومن هذا الدور، الجهاد، والدفاع عن الدين ومبادئه وقيمه.

يقول الإمام علي (ع):

« لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدتك ».

ويفهم من كلمة الإمام، أن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الأهل والولد، هو كفيل بهم وبرزقهم، ولا داعي لأن يهتم ويغتم المرء ويشغل ذهنه كثيراً بذلك، بل المطلوب منه أن يسعى في إعالته لهم، ويجتهد في ذلك، والبركة من الله، الرزاق الكريم، والفتاح العليم.

— صل رحك

يقول تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به ، والأرحام ﴾^(٤١).

ويقول الإمام علي (ع):

« صالوا أرحامكم، ولو بالسلام »^(٤٢).

من الأمور التي يشدد الإسلام على الالتزام بها صلة ذوي القرى. وذلك لأن بينهم وبين الإنسان أواصر نسب من جهة، وهم الأقرب إليه من جهة أخرى.

(٤١) ١ — النساء.

(٤٢) ميزان الحكمة.

وماذا نتوقع من مجتمع ، العلاقات الاجتماعية بين أفراد العائلة الواحدة ، فيه ، متفككة ، ومتقطعة ؟ !

وصلة الرحم وإعطاؤها الأولوية لا تقتصر فقط على التواصل الاجتماعي العادي ، كالزيارات ، بل حتى في قضية التدين ، وبث روح الدين ، وتحمل مسؤولياته ، يكون القرابة أولوية .

والقرآن الحكيم يبين لنا في إحدى آياته أمر الله للمرسول الأعظم بإنذار عشيرته الأقربين .

يقول تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤٣) .

إن قسماً من الناس — ومع مزيد الأسف — يصلون الغرباء — وإن كان لا غرابة تحت مظلة الدين — وينسون أقرباءهم ، ويدعون الآخرين إلى التدين وحمل مسؤوليات الرسالة الإسلامية ، ويحملون ذوا قرباهم ، فمثلهم كمثل العين النابذة التي تروي البعيد ، وتترك القريب !

يقول الإمام علي (ع) :
« ليس مع قطيعة الرحم نماء » (٤٤) .

— صادق

الصدقة : من الصدق والتصديق . والإسلام هو التسليم ، والتسليم هو التصديق ، وهو دين الصدق ، والتصديق ، والاخوة والصدقة .

ولأن الصدقة ، أو المصادقة هي القناة الطبيعية للتعامل مع الاخوان ، ومع الناس الجديرين بالمصادقة عموماً ، فإن الإسلام أعطاها اهتماماً كبيراً .

والصدقة هي الاخوة ، فكل أخ لك في الدين هو صديق لك ، له عليك حقوق ، ولك

(٤٣) ٢١٤ — الشعراء .

(٤٤) شرح الغرر والدرر — ج ٧ .

عليه حقوق أيضاً. ومن تلك الحقوق الحفظ في النكبة والغيبة والوفاء، والاحترام، والتقدير، والإخلاص، وكف اللسان، واليد، والمواساة، والمعاشرة الحسنة.

وقياساً إلى درجة انسجام الإنسان مع الآخرين، وحبهم لهم، والانجذاب إليهم ونوعية الصفات التي يمتلكونها، تنشأ بينه وبينهم صداقات متفاوتة في الدرجة. ولذلك نجد أن للإنسان أصدقاء من الدرجة الأولى — وهم الأصدقاء الحميمون — ومن الدرجة الثانية، والثالثة، و...

وهنا نقطة هامة لا بد من التذكير بها، وهي: أن وجود أصدقاء حميمين لإنسان ما، لا يعني — بأي شكل من الأشكال — انغلاقه في دائرة هؤلاء الأصدقاء المعدودين، والتقصير في الاخوة مع الاخوة الآخرين.

إن قسماً من الناس لا يعرف إلا أصدقاءه الحميمين، فزياراته، ومساعداته، وطلعاته، ومشياته مقصورة عليهم فقط، وهذه حالة غير مطلوبة. ان الدعاء الماثور يقول: «اللهم واجر الناس على يدي الخير» أي لعموم الناس، وليس لأصدقاء الدرجة الأولى فقط.

وازداد حجم هذا النوع من الصداقات المنغلقة، قد يؤدي إلى وجود تكتلات اجتماعية صغيرة كثيرة، ضعيفة الارتباط الاجتماعي فيما بينها، وهذا خلاف ما يريده الإسلام، الذي يدعو إلى وحدة المجتمع، وارتباط خلاياه، ولبناته، وانسجامها.

هذا هو الإسلام قد فتح لك باب المصادقة، بعد أن أعطاك الله مؤهلات الاجتماع الذي فطرك عليه، فصادق، وصادق، وصادق.

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع):
«سل عن الرفيق قبل الطريق» (٤٥).

— اختر أصدقاءك

اختيار الأصدقاء يازم أن يتم بشكل موضوعي مدروس، لا بشكل عفوي، لأن

(٤٥) تحف العقول.

الصداقة مسيرة عشرة وحياة مشتركة، وخاصة بالنسبة لأصدقاء الدرجة الأولى يجب أن يكون الاختيار دقيقاً.

إن أغلب الذي يفشلون في استمرار صداقاتهم، يرجع فشلهم إلى سوء اختيار الأصدقاء، ومن أسباب الفشل في اختيارهم، العجلة، وترجيح العاطفية على الموضوعية.

ومن الموارد التي يكون اختيار الأصدقاء فيها على درجة بالغة من الأهمية، الأعمال الإسلامية. فالصديق هنا يجب أن يكون مخلصاً، وأميناً، ومتفانياً لكي يساهم في تقديم العمل من جهة، ويحافظ على أفراد العمل ومنجزاتهم من جهة أخرى. إلا أن اختيار الأصدقاء لا يعني التشكيك في كل شخص، إنما المطلوب قدر كافٍ من الموضوعية في الاختيار.

كذلك فإن اختيار الأصدقاء في الإسلام، بعيد كل البعد عن الروح العنصرية، والعرقية، والإقليمية، وما هذه الحواجز إلا أفكاراً شيطانية أرادها أعداء الأمة الإسلامية أن تكون وسيلة تفريق بين أبناء الأمة الواحدة، من جهة ولتسهيل عملية استعبادهم لها، من جهة أخرى.

وإنه لمن الظواهر غير الحميدة بين المسلمين — إن وجدت — أن ترى الأبيض لا يصادق إلا الأبيض، والأسود لا يصادق إلا الأسود، والعربي لا يصادق إلا العربي، والفارسي لا يصادق إلا الفارسي، والتركي لا يصادق إلا التركي، والكرد لا يصادق إلا الكردي، والإيراني لا يصادق إلا الإيراني، والعراقي لا يصادق إلا العراقي، والمصري لا يصادق إلا المصري، والخليجي لا يصادق إلا الخليجي.

وعلى ذلك فليكن لنا أصدقاء من السود والببيض، ومن أي عرق، ومن أي إقليم حتى نكون قد طبقنا — عملياً — مبدأ الأمة الواحدة، ومبدأ «أن أكرمكم عند الله أتقاكم».

يقول رسول الله (ص):

«لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى».

— اختبار أصدقاءك —

يقول الإمام الصادق (ع):

«إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فاغضبه، فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك، وإلا فلا» (٤٦).

اختبار الأصدقاء، وسيلة للاطمئنان إلى أهليتهم في الصداقة، وإمكانية استمرار الصداقة معهم. فأنت حينما تختبر صديقاً لك فإنك تريد من وراء هذا الاختبار أن تعلم هل أن هذا الصديق صديق لك بالفعل، أو يصلح لأن يكون صديقاً لك أم لا.

واختبارات الصداقة والأصدقاء كثيرة منها على سبيل المثال، لا الحصر:

- اختبار الحلم والغضب.
- اختبار التقوى.
- اختبار الإخلاص.
- اختبار الصدق.
- اختبار الأمانة.
- اختبار الوفاء بالوعد والعهد.
- اختبار حفظ الصديق في مغيبه.
- اختبار الحفظ في الشدة والنكبة.
- اختبار تحصين الأسرار.
- اختبار الاهتمام بالعبادات.
- اختبار الصفات النفسية، كالإرادة، وسعة الصدر، والمزاج.
- اختبار السفر.
- اختبار حسن العشرة والمعاملة.

ويعتبر اختبارا الحلم، والسفر من أهم اختبارات الأصدقاء إذ في حالة الغضب، وفي السفر يظهر الصديق لك على حقيقته، وتبين لك محاسنه ومساوؤه.

(٤٦) تحف العقول— ص ٢٦٥.

واختبارك لأصدقائك يجب أن لا يتحول إلى وسيلة لإيذائهم، فقد يحدث أن البعض يؤدي أصدقاؤه، ثم يذهب إليهم ويعتذر، ويطلب العفو منهم، فيقول: إنما كان مني مجرد اختبار ليس إلا!

يقول الإمام علي (ع):

الناس في زمن الإقبال كالشجرة	وحولها الناس مادامت بها الثمرة
حتى إذا ما عرت من حملها انصرفوا	عنها عقوقاً وقد كانوا بها بررة
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا	دهراً عليها من الأرياح والغبرة
قلت مروءات أهل الأرض كلهم	إلا الأقل فليس العشر من عشرة
لا تحمدن امرأاً حتى تجربيه	فربما لم يوافق خبره خبره ^(٤٧)

— حافظ على أصدقائك القدامى

أصدقائك القدامى هم الرصيد الأول لك من الأصدقاء، ولك الشرف في أنهم أول أصدقاء لك.

يقولون: إن كل جديد مرغوب، فلا تكن هذه المقولة وسيلة للتخلي عن أخلائك الأوائل.

فإذا كان لك أصدقاء قدامى، من نفس منطقتك، أو من مناطق أخرى، وشاءت الأقدار أن تتصادق مع أناس جدد من منطقتك أو من مناطق أخرى مختلفة، فلا تنس القدامى، ولا تنهر بالجديد فالصدقة — دائماً — جديدة، قديمة كانت أم قشبية.

وإذا ما اكتسبت صديقاً فادخره، وحافظ عليه كل المحافظة، واستثمر صداقتك معه، ولا تضعه، فإذا أضعته أصبحت في عداد العاجزين الذين يفوق عجزهم أولئك الغير قادرين على اكتساب الاخوان، والأصدقاء.

يقول الإمام علي (ع):

(٤٧) الديوان المنسوب للإمام علي (ع).

«أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم» (٤٨).

— أكثر من الاخوان والأصدقاء

إخوانك، وأصدقاؤك الحقيقيون هم سواعذك ومعاونوك في الحياة. والصدقة ليست محدودة بعدد، فأكثر من الأصدقاء.

وإنك لتجد أن من له الكثير من الأصدقاء، يرفعه تارة أصدقاؤه ويحمونه، ويعينونه على تقلبات الحياة. وقليل الأصدقاء، أو عديمهم يعاني كثيراً من تقلباتها لأنه وحيد فريد.

فليكن لك رصيد كبير من الأصدقاء. فإذا كنت في بلدك ليكن لك في كل مدينة وقرية، أصدقاء، وإذا كنت في بلد آخر فلتصنع كما صنعته في بلدك. وبكلمة: ليكن لك أصدقاء في كل بلد، لأن في توسيع الصداقات:

— فرصاً ذهبية لتصدير القيم وتبليغها.

— وإعانة على أعباء الحياة.

— وسعادة اجتماعية يفتقر إليها عديمو الأصدقاء، وقليلاهم.

يقول الإمام علي (ع) في الشعر المنسوب إليه:

وليس كثيراً ألف خلّ وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثيرٌ^(٤٩)

— ثقّتك بأصدقائك

لا صداقة بدون ثقة. ويخطئ من يدعي أنه له أصدقاء وهو لا يثق فيهم، بل هم غرباء يعتبرهم أصدقاء له، توهماً.

فالثقة في الأصدقاء ضمان لاستمرار الصداقة معهم، ومؤشر حسن ظن بهم. إلا أنه

(٤٨) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

(٤٩) الديوان المنسوب للإمام علي (ع).

ليس من المطلوب أن يفرط في المرء في ثقته بأصدقائه ، بل المطلوب أن يجعل نسبة كبيرة للثقة فيهم ، ونسبة قليلة للاحتراس والتوقي منهم .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« لا تثقن بأخيك كل الثقة فإن صرعة الاسترسال لا تستقال » (٥٠) .

وكلما ازدادت أهمية العلاقة والصدقة بين الصديقين ، ازدادت نسبة الحذر والتوقي .

يقول الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصـ ديق عدواً حين غره

— أصدقاؤك وأعداؤك .. من هم ؟

في الحياة ليس كل إنسان هو صديق لك ، كما أن ليس كل إنسان هو عدو لك أيضاً . ومن هنا يجدر بك معرفة المقياس الذي تقيس به الصداقة والعداوة ، ويفرق لك بينهما .

يقول الإمام علي (ع) في تمييزه للأصدقاء والأعداء :

« أصدقاؤك ثلاثة ، وأعداؤك ثلاثة ، فأصدقاؤك :

١ — صديقك .

٢ — وصديق صديقك .

٣ — وعدو عدوك .

وأعداؤك :

١ — عدوك .

٢ — وعدو صديقك .

٣ — وصديق عدوك .

وعليه ، ليكن أصدقاء أصدقائنا ، أصدقاء لنا ، وهكذا الحال بالنسبة لأعدائنا ،

(٥٠) تحف العقول .

سواء على صعيد الصداقات بين الأفراد، أو بين الجماعات، والمجتمعات. وكذلك بالنسبة للأعداء، فأعداء أصدقائنا، وأصدقاء أعدائنا، هم أعداء بالنسبة لنا.

ومن الأمور التي تحدث أن يكون لنا أصدقاء وهؤلاء الأخيرون لهم أصدقاء غيرنا، إلا أن صداقتنا معهم أو صداقتهم معنا قد تكون ضعيفة، أو ليست بالصورة المطلوبة. وخلايق بنا وبهم أن نكون أصدقاء لهم، ويكونوا أصدقاء لنا.

— لا تصادق هؤلاء !

هؤلاء هم :

— الأحمق .

— البخيل .

— الفاجر .

— الكذاب .

يقول الإمام علي (ع) :

«إياك ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعلك فيضرك، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتآفه، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه كالسراب: يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب» (٥١).

— قرناء السوء !

تعتبر البيئة أحد المؤثرات الرئيسية على الإنسان وسلوكه في الحياة، والإنسان — في حد ذاته — هو أحد عناصر، أو مكونات البيئة نفسها. بمعنى أن الإنسان يؤثر في الآخرين، ويتأثر منهم، والعلاقة متبادلة، وكما تقول الحكمة الشهيرة: من عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم .

(٥١) نهج البلاغة — ص ٤٧٥ .

فإذا ما صادق الإنسان أفراداً خيّرين فإنه — بالنتيجة — يكون خييراً، وإذا ما صادق أفراداً شريرين فليس بعيداً أن يكون مثلهم، وربما أسوأ منهم.



ينقل أن فتاة خاليجية مسامة أرسلها أهلها للدراسة الجامعية في بيروت، وكانت محافظة. وفي الجامعة اختلطت مع مجموعة من الشباب، المنحرفين، والشابات المنحرفات، فكانت تمشي معهم، ويدعونها إلى الحفلات، والنوادي فتخرج برفقتهم.

تقول هذه الفتاة:

ذات يوم — وفي إحدى الحفلات — غمز لي شاب بعينه، فأغمضت عيني ثم فتحتها، وإذا به يسمر نظراته فيّ، فأغمضت عيني ثانية ثم فتحتها وإذا به يديم النظر إليّ. وفي النهاية — والكلام للفتاة — نشأت بيني وبين ذلك الشاب علاقة، ووعدني بالزواج، ثم ضحك على ذقني، وسيطر على كل مألدي من مال. وأصبحت عادي بعد ذلك أن أخرج في كل يوم إلى الشارع، بانتظار ذئب يأتي إليّ ويمزقني في مقابل حفنة من الليرات!



إذن: حذار من قرناء السوء، وأن أفضل طريقة للمحذر منهم، تجنبهم، والتوقي منهم.

— اعط اخوانك وأصدقائك، حقوقهم

لاخوانك، وأصدقائك — عليك — مجموعة حقوق منها:

- الحق الأول: أن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك.
- الحق الثاني: أن تتجنب سخطهم، وتتبع رضاهم، وتطيع أمرهم.
- الحق الثالث: أن تعينهم بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك، ورجلك.

الحق الرابع: أن تكون عينهم، ودليلهم، ومرآتهم، وقميصهم.
الحق الخامس: أن لا تشيع ويجوعون، ولا تروي ويظمأون، ولا تابس ويعرون
الحق السادس: أن لا تكون لك امرأة — وليس لاختوانك نساء، ويكون لك خادم، وليس
لاختوانك خدام، و أن تبعت خادمك فيغسل ثيابهم، ويصنع طعامهم،
ويجهد فراشهم.
الحق السابع: أن تبرّ قسمهم، وتجيّب دعوتهم، وتعود مريضهم، وتشهد جنازتهم. وإذا
علمت أن لهم حاجة فبادرهم إلى قضائها، ولا تلجئهم إلى أن يسألوكها، فإذا
فعلت ذلك، وصلت ولايتك بولايتهم، وولايتهم بولايتك.

— زر أصدقاءك

ما أجمل زيارة الاختوان، والأصدقاء وما أعظم الأثر الذي تركه عليهم وعالينا!
زيارة الأصدقاء حق من حقوقهم، ووسيلة التماس والاتصال بهم، وفرصة لقضاء
الحاجات المتبادلة. وزيارة الأصدقاء، والتحدث معهم، وقضاء الوقت الأخوي بين
ظهرانهم، تنزيل الكدر النفسي، وتجعل المرء يعيش حالة نفسية طبيعية. وزيارة الأصدقاء —
قبل كل شيء — من الأمور الأساسية في الاحتفاظ بهم، وتوثيق وتمتين عرى الصداقة معهم،
وزيادتهم أيضاً.

يقول الإمام الصادق (ع):

«من زار أخاه لله، لا غير التماس موعده الله، وتنجز ما عند الله، وكلّ الله به سبعين
ألف ملك، ينادونه: ألا طبت، وطابت لك الجنة» (٥٢).

— راسل أصدقاءك

المراسلة وسيلة اتصال جيدة بالأصدقاء. والرسالة ليست روتيناً، أو مجرد خبر على
ورق. إنها علاقة، وفكرة، وموعظة، ونصيحة، وتوجيه، وأدب. ومهما كان حجم الرسالة

(٥٢) ميزان الحكمة.

صغيراً، ومهما كانت كلماتها قليلة فإنها تترك في نفس المرسل إليه أثراً طيباً، وتفهمه بأن المرسل يهتم به، ويقدره على أقل التقادير.

وأذكر أنني أرسلت رسالة أخوية لأحد الاخوة المؤمنين، أظهرت فيها اهتمامي الخاص به، وحيي، وتقديري، واحترامي له، وشكري له على كتاب نافع أرسله لي.

ووصلته رسالتي، فما كان منه إلا أن بعث لي بكتاب آخر، ووعدي بـثالث. وهكذا وأكثر تفعل المراسلة والتقدير والاهتمام في نفوس الناس.

فلتراسل أصدقاءك، وكل ماتحتاجه لذلك: ورقة، وقلماً، وشيئاً من الوقت، والتفكير.

يقول الإمام الصادق (ع):

«التواصل بين الاخوان في الحضر، التزاور، والتواصل بينهم في السفر، التكاثر» (٥٣).

— اطعم اخوانك وأصدقاءك

الصدقة أخذ وعطاء، وإطعام الطعام هو جزء من العطاء للأصدقاء، ولإطعام دور لا يستهان به في تنمية العلاقات الاجتماعية مع الاخوان والأصدقاء.

وإطعام الطعام يمكن أن يتم عن طريق دعوتهم إلى وجبة في المنزل، أو تضييفهم في مطعم. وليس بالضرورة أن يكون الإطعام موسعاً، فرب أكلة خفيفة أدت الغرض.

وإطعام الاخوان، الطعام موجب للمثواب من الله عز وجل.

يقول الإمام علي بن الحسين (ع):

«من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمناً كساه الله من الثياب الخضر» (٥٤).

(٥٣) تحف العقول.

(٥٤) ميزان الحكمة.

ويقول الإمام الصادق (ع):
«من أطعم أخاً في الله كان له من الأجر مثل من أطعم فئاماً من الناس. قلت:
وما الفئام؟ قال: فإنه ألف من الناس» (٥٥).

وما أجمعها من سعادة حينما يجلس الاخوان والأصدقاء على مائدة واحدة، ويتبادلون
أطراف الأحاديث الأخوية الهادئة النافعة!

— لا تنسَ الإهداء —

المهدية — مهما كانت صغيرة — فإنها تفعل الشيء الكثير في نفس المُهْدَى إليه،
وأقل ما تفعله فيه أن تجعله يشعر بأن المُهْدِي يقدره، ويحترمه، ويهتم به.

ولاهدية وسيلة جيدة للتودد، والتعبير عن المحبة للناس، بل هي وسيلة من وسائل
إيجاد حالة التعاطف بينهم.

يقول الرسول الأعظم (ص):
«تهادوا، تحابوا» (٥٦).

ومن أخلاقيات أهل البيت (ع) أنهم لم ينسوا الإهداء حتى في الظروف الصعبة التي
واجهوها، ولم يحيدوا عن دينهم الأخلاقي فيها.

وينقل التاريخ أنه بعد معركة كربلاء، وعندما خرجن بنات الرسالة من الشام،
وبرفقتهن الإمام السجاد (ع) باتجاه المدينة، وفي أثناء الطريق قالت سكينه بنت الإمام
الحسين عليه السلام لعمتها زينب (ع):

عمة! حينما هجمت علينا الخيل كان لي سوار أخذته وأخفيته تحت التراب، فقالت
زينب (ع) انصرفي به إلى الحادي (الزعمان بن بشير)، وسلمي عليه، وقولي له: تسلم
عليك عمتي زينب، وتقول: (ما أبقى الزمان لنا غير هذا السوار، فاقبله منا، والعذر عند
كرام الناس مقبول). فقال الحادي: أأتمم سلبكن يا بنات رسول الله؟ ثم أردف قائلاً: قولي

(٥٥) المصدر السابق.

(٥٦) المصدر السابق.

لعمرك زينب إذا كان لها من خدمة فأنا مستعد . وعادت سكية إلى عمته وقالت لها : إذا كان لك من خدمة فالخادي مستعد لتنفيذها . فتذكرت زينب ، كربلاء ، وقالت : نعم يا بنية ! قولي له يعرج بنا على كربلاء لنزور قتلانا .

— التقبيل والمعانقة

من وسائل التعبير عن الحب المخلص للاخوان والأصدقاء تقبيلهم ومعانقتهم بإخلاص .

يقول الإمام الحسن (ع) :

« إذا لقي أحدكم أخاه فليقبل موضع النور من جبهته » (٥٧) .

(٥٧) تحف العقول .

في اداة والتنظيم

— كن إدارياً تنظيمياً ناجحاً

لما كانت القيادة ضرورة من ضرورات الحياة، سواء على صعيد قيادة أمة، أو دولة، أو جماعة، أو مؤسسة، أو على صعيد قيادة مشروع خيّر مهما كان نوعه وحجمه، فإن الإسلام أعطى للإدارة اهتماماً بالغاً، باعتبارها وظيفة رئيسية من وظائف الإمامة، وحاجة ماسة يفتقر إليها كل مشروع، ومؤسسة، وجهاز، وتحرك، بل إنه أعطى للقيادة وللإدارة اهتماماً حتى في صورة ذهاب إلى السوق، أو في صورة سفر إلى مدينة، أو بلد.

يقول الحديث الشريف :

«إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم»^(١).

والسر في ذلك أن الإدارة تحقق مجموعة أمور منها :

— التنظيم في الأمور.

(١) تخف العقول.

— المركزية في اتخاذ القرار .
— الوصول إلى الأهداف بأقل جهد ووقت وتكاليف .

ومن هنا فالقائد، بدون قدرة إدارية، وبدون جهاز إداري لا يمكن له أن يدير، أو يتصدى لإدارة شؤون الناس، كما لا يمكن له أن يدير الصراع بين جهة الإسلام، وجهة الكفر، والظلم، والطغيان، والفساد .

ولأهمية الإدارة، وضرورتها، في الإسلام فإنه — ومن خلال آيات القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة — أعطى للإنسان كيف يجعل من نفسه إدارياً ناجحاً .

ولأهميتها، ودورها في تبليغ الرسالات، فقد جعل الله، الأنبياء — الذين أرسلهم لهداية البشر وإسعادهم — كفاءات من الدرجة الأولى في القيادة والإدارة، ومنهم خاتم الأنبياء، محمد (ص) .

كما كان أئمة أهل البيت (ع) الذين هم الامتداد الطبيعي لرسالات الأنبياء، قادة وإداريين بما لكلهمتي القيادة، والإدارة من معنى، بصرف النظر عن كون بعضهم قد وصل إلى سدة الحكم، والبعض الآخر لم يصل، بل إن جلهم لم يصل إلى سدة الحكم . فالإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي كان حاكماً على الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، كان نموذجاً منقطع النظير في القيادة والإدارة . والإمام الحسين (ع) الذي أعلن الثورة، وفجرها ضد الطغيان الأموي، كان — هو الآخر أيضاً — قائداً وإدارياً فذاً . وهكذا سائر أئمة أهل البيت (ع) . ويمكن للمرء أن يقرأ سيرة الرسول الأعظم (ص)، وسيرة أئمة أهل البيت (ع)، ورواياتهم، بتمعن وعمق، ليرى كيف كانوا قادة، ومدراء ناجحين، وليرى كيف أن قيادتهم، وإدارتهم قائمة على أساس الإيمان، والتقوى، والعدل، والأخلاق، والحكمة، والقيم، لا على الغدر، والفجور كما كان خلفاء بني أمية، وبني العباس، ومن هم على شاكلتهم . وفي العصر الحديث أصبح علم الإدارة علماً واسعاً، وأمكن التوصل إلى نظريات كثيرة في الإدارة .

وتعرف الإدارة بأنها: نظام حركي مستمر، يتكون من مجموعة من الأنشطة، والمجهودات، يؤديها المديرون، تساهم مجتمعة في بلوغ هدف الجهاز .

ويمكن تعريف اصطلاح الإدارة — أيضاً — من جهتين :

أ — من حيث كونها أداة، أو جهازاً، أو تنظيمًا .

ب — من حيث كونها مهنة، أو اختصاصاً .

فالإدارة من حيث كونها جهازاً، أو أداة، إنما تعني بشكل عام : التجمع، أو التنظيم، أو الوحدة المحدثة في فترة ما لتحقيق سياسة، وأهداف، وواجبات معينة .

والإدارة من حيث كونها مهنة، أو اختصاصاً يمارسها الإداريون، كما هي مهنة الطب، والهندسة، والتجارة التي يمارسها الأطباء، والمهندسون، والتجار، تعني : حسن الاستخدام، والاستفادة من الإمكانيات المتنوعة (البشرية، المادية، المالية، الفنية ..) الموضوعة بتصرف وحدة ما لتحقيق أهدافها على أفضل وجه من حيث الوقت، والمال، والجهد، والمواصفات .

— الأهداف

والهدف عبارة عن نتيجة يراد الوصول إليها في زمن محدد، وبمواصفات، وكميات معينة .

وهناك أربعة أنواع من الأهداف هي كما يلي :

- ١ — الهدف الكلي للجهاز، ويعتبر الركيزة أو المنطلق العام لجميع الوحدات والأفراد .
- ٢ — أهداف بعيدة المدى، وهي التي تغطي نطاقاً طويلاً من الزمن — مثل خمس سنوات أو أكثر .
- ٣ — أهداف قصيرة المدى، وتوضع في شكل كمي ونوعي، وتنطلق من الأهداف بعيدة المدى، وتساعد في النهاية على تحقيقها .
- ٤ — الأهداف اليومية، أو المتابعة للأفراد والوحدات، وهي تكمل بعضها بعضاً، ويساعد تحقيق أحدها على تحقيق الآخر . وتدخل ضمن هذه الأهداف أنواع أخرى من الأهداف وهي : الأهداف الوظيفية المتكررة، وأهداف حل المشكلات، والأهداف الابتكارية، والشخصية .

وتتكون الإدارة من وظائف يمارسها المديرون وهي :

أولاً: التخطيط

ويعرف التخطيط بأنه القيام بعمليات، وإجراءات منطقية لمواجهة موضوع مستقبلي، وتحقيق أهداف مستقبلية.

ويعرف أيضاً بأنه إحضار أو تصور المستقبل في الحاضر من أجل الوصول إلى الهدف المرسوم في أقل مدة من الزمن وبأقل جهد، وبأقل تكاليف.

وهناك أنواع من التخطيط :

١ — تخطيط قصير الأجل.

٢ — تخطيط متوسط الأجل.

٣ — تخطيط طويل الأجل.

ثانياً: التنظيم

يقول الإمام علي (ع) : في وصية له لابنيه الحسن والحسين — عليهما السلام — :
« أوصيكمما ، وجميع ولدي ، وأهلي ، ومن بلغه كتابي بتقوى الله ، ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ... » .

ويعرف التنظيم بأنه الهيكل الذي تحدد فيه السلطات ، والمسؤوليات ، وقنوات الاتصال بين المسؤولين ، والوحدات المختلفة .

وهناك نماذج للتنظيم ، منها هذين النموذجين :

— ميكانيكي .

— عضوي .

ويتميز النموذج الأول بوجود هيكل رسمي تحدد فيه السلطات والمسؤوليات بدقة ، وتسير فيه العلاقات حسب تسلسل وظيفي محدد ، ومن خلال قنوات رسمية للاتصال . ويغلب عليه طابع الاتصالات ذات الاتجاه الواحد ، حيث تأتي الأوامر من الإدارة العليا ، وتنفيذها من المستويات الأدنى ، ويسير العمل على وتيرة واحدة طبقاً للقواعد ، والمواثيق الموضوعة .

أما النموذج العضوي فيختلف عن ذلك، فهو يتميز بالمرونة في تحديد السلطات، وإجراء التغييرات، والتعديلات اللازمة حينما يتطلب الأمر ذلك. وتأخذ العلاقات بين الأطراف المعنية صبغة أقل رسمية، أو هي أقرب إلى الاتصالات غير الرسمية، حيث القنوات أكثر انفتاحاً، وانتشاراً، كما أن الإجراءات، والقواعد الموضوعية يمكن تعديلها بدرجة كبيرة من السرعة، فلا يسير العمل على وتيرة واحدة، وإنما يتغير تبعاً للعوامل المؤثرة، وحسب الهدف المراد تحقيقه.

ثالثاً: التنسيق

ويعرف التنسيق بأنه ممارسة العمل الإداري بشكل يحقق الواجبات، والأهداف، بكفاءة عالية، وأفضل مردود، وبجهود جماعية مركزة، من خلال تنظيم معين للوحدة، نافذ المفعول، وباستخدام متناسق للمواسل، والأدوات، والإمكانات المتاحة، البشرية والمادية والفنية. والتنسيق مكمل للتنظيم، وقد لا يقبل البعض جعل التنسيق وظيفة منفردة عن التنظيم.

رابعاً: التوجيه

ويعرف التوجيه بأنه كل إرشاد يصدر من الإدارة للمدارين من أجل جعل كل ممارسات المرؤوسين تسير باتجاه الهدف المرسوم للجهاز، وباتجاه زيادة الفعالية وتحسين الإنتاج والتطوير التي تسهم بشكل كبير في الوصول إلى الهدف.

خامساً: القيادة

وتعرف القيادة بأنها وظيفة تركز صلاحية اتخاذ القرار والمسؤولية، بالإضافة إلى كون القائد الإداري عضواً في فريق متكامل، يتكون منه ومن جماعة العمل التي يقودها، وهو موجه، ومرشد، والعلاقة بينه وبين الآخرين علاقة أخذ وعطاء، إرشاد وإسترشاد، توجيه واقتراحات، تعليم وتعلم، تأثير وتأثير.

ومن هنا فالقائد لا يعمل وحده، ولا يستطيع أن ينجح بدون العاملين معه، ودون تعاونهم وإخلاصهم، وبالتالي فإن القيادة الإدارية ليست مجموعة من الصفات، ولكنها بالإضافة إلى ذلك مهارات يمكن اكتسابها، وصقلها، وتعميقها.

سادساً: الرقابة والمتابعة

تعرف الرقابة بأنها الوظيفة التي يمكن بواسطتها التعرف على مسار ونتائج تنفيذ الخطط، والقرارات، والنشاطات، وتطبيق الأنظمة، والتعليمات، والاطلاع على أداء المرؤوسين، والتعرف على الصعوبات للمساعدة في تذليلها، وتصحيح المسار، والانحرافات في الوقت المناسب، والتحقق في بعض التصرفات.

وتعرف أيضاً بأنها تتبع سير العمل في المشروع، والأفراد العاملين من أجل التقويم بناءً على الأهداف المرسومة.

ويمكن تعريفها بأنها الوظيفة التي عن طريقها يتم الاطلاع على ما أنجز، وتحديد ماذا يجب أن يعمل، وبالتالي فهي تكمل سائر الوظائف، وتساعد على التأكد من الوصول إلى نتائج مقدماتها.

ولكي تكون إدارياً خبيراً ناجحاً، يلزمك إجادة الوظائف الإدارية المتقدمة، بالإضافة إلى مجموعة من الصفات والمهارات، ومنها ما يلي:

- ١ — التقوى والخشية من الله.
- ٢ — الإخلاص.
- ٣ — الأخلاق الحسنة.
- ٤ — القدرة على التخطيط.
- ٥ — القدرة على التنظيم.
- ٦ — القدرة على التنسيق.
- ٧ — القدرة على التوجيه.
- ٨ — القدرة على القيادة.
- ٩ — القدرة على الرقابة والتتبع.
- ١٠ — القدرة على الابتكار.
- ١١ — القدرة على التطوير.
- ١٢ — حب التنظيم، والترتيب، والتعود عليهما.
- ١٣ — القدرة على التعامل، والعمل مع الآخرين.

- ١٤ — معرفة الطبيعة البشرية لأفراد الإدارة، والعاملين .
١٥ — الصدق .
١٦ — الأمانة والقبالية للاعتماد .
١٧ — الخزم .
١٨ — الجسم .
١٩ — الخذر .
٢٠ — سعة الصدر (آلة الرئاسة سعة الصدر)^(٢) .
٢١ — السرعة والدقة .
٢٢ — الثقة بالنفس .
٢٣ — السعي والعمل .
٢٤ — القدرة على التحكم في الأعصاب .
٢٥ — المزاج الجيد .
٢٦ — الثبات العاطفي .
٢٧ — الانتباه .
٢٨ — الذاكرة والحافظة الجيدتين .
٢٩ — كتمان الأسرار .
٣٠ — الشخصية القوية .
٣١ — عدم الخوف من المسؤولية .
٣٢ — امتلاك الذوق الفني .
٣٣ — تمركز الفكر والحواس .
٣٤ — حضور الذهن حين التكلم .
٣٥ — امتلاك الصوت الجيد .
٣٦ — المظهر المنظم ، والمهندم .
٣٧ — إبعاد التوترات بينك وبين أفراد إدارتك ، وبين أفراد الإدارة بعضهم بعضاً .

(٢) تحف العقول .

وهناك الكثير من الصفات ، والمهارات الأخرى التي يتحلى بها الإداري الناجح ، ويمكن المرء مراجعتها في كتب الأحاديث والروايات الشريفة ، ونهج البلاغة وكتب الإدارة المختلفة .

فلكي تكون إدارياً ناجحاً يلزمك أن تكون ذا وعي إداري تنظيمي ، وممارسة جيدة في هذا المجال . فالوعي التنظيمي الإداري يعطي الإنسان رؤية في كثير من الأشياء من حوله ، حتى في طريقة مأكله ، وملابسه ، ومسكنه . ويعتبر الوعي التنظيمي الإداري من الأمور الباعثة على جعل الإنسان حسن التصرف ، قادراً على تدبير نفسه في الظروف المختلفة .

وبكلمة : إذا كانت الحكمة هي « استخدام العقل على الوجه الأصح » فإن الوعي الإداري والتنظيمي هو ثمرة من ثمرات العقل ، وبالتالي ثمرة من ثمرات الحكمة .

— كن منظماً

من واجبنا القول : ان الإسلام هو دين الحكمة ، وأن الحكمة تقتضي النظام والتنظيم . وان من صفات المتدين المؤمن بالله : الترتيب ، والنظام ، والتنظيم في أمور حياته الفردية ، والاجتماعية .

ولقد استفاد الغرب من هذه القيمة الإسلامية العظيمة ، فرتب ونظم اقتصاده ، وإداراته ، ومؤسساته ، ومواصلاته ، وخدماته — بشكل عام — ، حتى أن البعض قد يعجب بالنظام والترتيب ، وارتفاع مستوى الخدمات حينما يسافر إلى دولة غربية ، وإن قسماً من شباب المسلمين قد ينهر بالغرب لما يجد فيه من نظام وترتيب على صعيد الخدمات !

أما بالنسبة للمسلمين فحينما ابتعدوا عن الروح التنظيمية في الإسلام — بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة ، أبرزها جهود المسلمين ، وتسلب أنظمة الظلم والطغيان — أصابهم التخلف .

ومن هنا فواجب كل مسلم أن يعود إلى الروح النظامية والتنظيمية في الإسلام ، ويستثمرها في كافة المجالات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والإدارية ، والتربوية ، والأمنية ، والشخصية ، و ... أن لا ينهر بالغرب ولا بالشرق ، بل عليه أن ينهر بدينه .

— كن مداراً جيداً —

كما أن من المطلوب منك — إذا كنت مديراً — أن تكون إدارياً جيداً، ومطيعاً لمن هو أعلى منك رتبة في التسلسل الإداري (تسلسل الهيكل التنظيمي للإدارة)، وأن تكون سهل الانقياد له.

وذلك لأن إدارة الأعمال، وتنفيذها قائمة على، مبدأ الطاعة من المدار للمدير، ووجود حالة التفاعل، والاحترام والتقدير المتبادل، بينهما، وبدون مبدأ الطاعة لا تحقق الأعمال.

فعلى سبيل المثال:

إن عامل الحفريات لا يستطيع إنجاز شق نفق في الأرض إلا بعد أن يستجيب لأمر رئيسه، وبطيعة. وأن التلميذ لا يصل إلى حالة الفهم والتمرس الصحيحة، إلا بعد أن يستجيب لأمر معلمه بالمحافظة على الهدوء، والنظام، وأداء الواجبات. وأن قائد الأمة لا يمكن له قيادتها، إلا بعد أن تطيع الأمة أوامره، وتحولها إلى واقع، والحياة كلها على هذا.

يقول الإمام علي (ع):

«لا رأي لمن لا يطاع»^(٣).

وإنك لتجد قسماً من الناس لا يقبلون أن يكونوا مدارين، ولا يقبلون أن يكونوا إداريين. وتجد قسماً آخر منهم يحبون أن يكونوا إداريين، ولا يحبون أن يكونوا مدارين، ويحبون أن يصدروا القرارات والأوامر لمن هم تحت إدارتهم، ولكنهم غير مستعدين، لأن يتلقوا مثلها ممن هم فوقهم. وهنا يرد قول الشاعر:

قومي رؤوس كلهم أرأيت مزرعة البصل؟!

بل إن بعض الناس صعبو الانقياد، إلى درجة أنك لو خرجت مع أحدهم إلى السوق، لا قيت متاعب معه، فكل شيء، يريد من اقتراحه هو، وكل مكان يُذهب إليه، يريد أن يكون ضمن أمره!

ومبدأ الطاعة مبدأ عام في الحياة، فحتى ذلك الإنسان الذي يمثل أعلى سلطة، وأعلى رتبة في الهرم الإداري يجب أن يخلق في نفسه روح المدارية — حتى لو لم يكن مداراً بالفعل —

(٣) نهج البلاغة.

وعلى أقل التقادير أن يكون استشارياً ، ومتقبلاً للآراء والنظرات التي تأتيه من قنواته الإدارية ، وإلا لأصبح دكتاتوراً متفرداً .

والتزام مبدأ الطاعة — في الخير — يأتي من جانبين :
الأول : العمل بمنطق وجوب الطاعة ، أو ضرورتها ، أو أهميتها .
الثاني : الالتزام بالطاعة كخلق ، ووسيلة تنظيمية لأداء العمل .

وأن تكون مداراً جيداً لا يعني أن تكون مطيعاً ، وسهل الانقياد في سبيل الحق والخير — فحسب ، بل أن توفر في نفسك كل الصفات ، والأخلاقيات التي من شأنها أن تجعلك تحقق هذا الأمر .

— الشورى ، لا الاستبداد

يقول الله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ .

في الوقت الذي يكون من الحسن للإنسان أن يكون ذا شخصية إدارية تنظيمية ، فإن المطلوب منه أن يكون شوروياً أيضاً .

ولقد أعطى الإسلام مبدأ الشورى اهتماماً كبيراً ، لما له من عظيم الأهمية سواء على صعيد القضايا الفرعية ، التي تفتقر إلى التشاور ، أو على صعيد القضايا الكبرى ، كقيادة جماعة ، أو دولة ، أو أمة ، حتى أنك تجد مجالس الشورى ، والبرلمانات موجودة في غالبية بلدان العالم .

والشورى تعني الاستفادة من مجموعة آراء ونظرات في قضية ، للخروج بالرأي الأسلم فيها . والخروج بهذا الرأي يجنب الإنسان الوقوع في الأخطاء ، وال فشل .

يقول الإمام علي (ع) :
« من شاور الرجال ، شاركها في عقولها » (٤) .

ويقول (ع) أيضاً :

(٤) نهج البلاغة — حكم الإمام علي (ع) .

«الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصيل الأسرار»^(٥).

ويقول الإمام الحسن (ع):

«ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم»^(٦).

والتشاور من صفات الحكماء والعقلاء، وحسن السيرة والسلوك. وقد يعتقد البعض أن التشاور يضعف الحسم في الإنسان، إلا أن هذا الاعتقاد خاطيء، لأن التشاور يظهر الحسم والحزم. والتشاور ليس مقصوراً على اناس دون آخرين، فالإنسان مهما أوتي من العلم، والخبرة، والشعبية، وعموم الصفات القيادية ليس له غنى عن الشورى والتشاور.

فلكي تكون آرائك حكيمة، شاور واستشر، وخاصة في القضايا التي إن استبدت برأيك فيها، أوردت نفسك المآزق، والمهالك.

يقول الإمام علي (ع):

«من استبد برأيه هلك»^(٧).

— استخدم قاعدة سلم الأولويات

يقول الإمام علي (ع):

«لا قرية بالنوافل إذا أضرت بالفرائض»^(٨).

* الأعمال في الحياة ليست كلها على درجة واحدة من الضرورة، أو الوجوب، أو الأهمية. فهناك عمل أكثر ضرورة، وهناك عمل ضروري، وهناك عمل أقل من ضروري، أو عادي. وبالنسبة للوجوب هناك واجب، وقريب للواجب، ومندوب. وبالنسبة للأهمية هناك أهم، ومهم، وعادي الأهمية. وما بين كل مستويين من الأعمال هناك أيضاً درجات. وبمراعاة قاعدة سلم الأولويات، أو قاعدة «الأهم فالمهم» يتمكن المرء من أداء أعماله بنظام، وحكمة، ونجاح. بينما الخطأ أن تجد قسماً من الناس لا يجيد فن استخدام هذه القاعدة، فتراه

(٥) المصدر السابق.

(٦) تحف العقول — ص ١٦٤.

(٧) نهج البلاغة — حكم الامام علي (ع).

(٨) نهج البلاغة — حكم الإمام علي (ع).

ينشغل بأعمال أقل أهمية، ويترك الأعمال الضرورية والأكثر أهمية، فنصاب أعماله بالارتباك وربما بالشلل.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً منها:

— أن ينشغل الإنسان بأداء المستحبات كأن يسهر الليل راكعاً ساجداً لله، فيتعب، وينام وتفوته صلاة الفجر الواجبة.

— أن يقدم إخماد النار على انتشال المصاب من وسطها.

— أن ينشغل بالأوراق الفرعية على مكتبه، وينسى أعماله الأكثر أهمية.

— أن يهتم بديكور الأشياء على حساب جوهرها.

— أن ينشغل بالتكتيكات وينسى الاستراتيجية.

إذن، فلكي تكون حكيماً، منظماً، ناجحاً في حياتك، طبق قاعدة: سلم الأولويات.

— نظم أوقاتك

(والعصر)^(٩).

بلا أدنى تردد، يعتبر الزمن من المسائل الأكثر من هامة في الحياة، فاولا الزمن لم تكن الحياة. فكل ساعة، أو كل دقيقة، أو كل ثانية تمضي من حياتك، هي ليست قابلة للمجبران، والتعويض، وكل نفس تتنفسه، لن يعود إليك، بل هو خطوة بك نحو الحمام.

يقول الإمام علي (ع):

«نفس المرء خطاه إلى أجله»^(١٠).

وإذا كنت لا تعمل في الليل، ولا في النهار، فلا تظن أنهما ذاهلان عنك، فقد تكون اليوم شاباً مراهقاً، ولكنك بعد سنوات — ستنقضي كالبرق — ستصبح رجلاً. وقد تكون رجلاً ولكنك بعد أعوام — ستمر سريعاً — ستصبح كهلاً. وقد تكون كهلاً، ولكنك بعد

(٩) العصر — ١.

(١٠) نهج البلاغة — حِكْم الإمام علي (ع).

سنوات — لا تظن أنها طويلة جداً — ستظهر التجاعيد على صفحة خدك ، ومن ثم ستكثر هذه التجاعيد حتى تصبح صورتك شيئاً آخر ، وربما رُدت إلى أرذل العمر لكي لا تعلم بعد علم شيئاً .

يقول الحديث الشريف :

« الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما » .

وإذا كنت تخشى هذا السيف القاتل ، فتتركه وشأنه ، فإنه لن يدعك ، وشأنك ، وسيقطعك إرباً إرباً .

تقول الحكمة الشهيرة :

« الوقت كالسيف ، إن لم تقطعه قطعك » .

وإذا كنت تصرف الأوقات هباء ، فإنك ستذهل بعد حين ، وستصاب بأيما حسرة ، وندم ، ولكن ولات حين حسرة ، ومندم !

ومن هنا فإن أفضل وسيلة لكسب عامل الزمن ، وتلافي الخسارة فيه ، هي تنظيمه ، واستثماره بخير ، والاستفادة منه بأكبر قدر ممكن .

وتنظيم الوقت يعني أموراً كثيرة منها :

- وعي قضية الزمن جيداً .
- برجة الأعمال بالقياس إلى عامل الزمن ، والجودة ، والكم ، والأهمية ، والأولوية .
- القيام بالعمل في الوقت المناسب .
- اعتماد الكيفية والنوعية في القيام بالأعمال .
- السرعة والدقة .
- اغتنام الفرص .
- تلافي الإصابة بحالة الفراغ السلبي .
- الاستفادة من الوقت في أسوأ الظروف .

يقول الإمام علي (ع) :

« الإنسان ابن ساعته » (١١) .

— اغتنم الفرص —

تعرف الفرصة بأنها الظرف الزمني الذي يتيح للإنسان القيام بعمل ما .

ومن ميزات الفرص أنها لا تتكرر ذاتها ، فقد تمر عليك فرصة ولا تغتنمها ثم تمر عليك أخرى مشابهة الأولى فتغتنمها ، فلا تظن أنك اغتنمت الأولى ، بل إنك خسرتها ، واغتنمت مثيلتها ، لأن الفرصة وحيدة الوجود .

وفي الحياة هناك قسم من الفرص المفاجئة تتيح للإنسان إمكانية القيام بأعمال أخرى ، يتوقع أو لم يكن يتوقع القيام بها في زمن الفرصة .

فعلى سبيل المثال لا الحصر :

قد تشارك في أحد المؤتمرات ، فباغتنامك الفرصة يمكنك أن تتعرف على شخصيات هامة جديدة ، وبذلك تفتح لك آفاق جديدة .

وقد تقوم بزيارة إلى أحد أصدقائك ، فيصادف أن يكون بمحضه شخص على قدر من الأهمية ، فباغتنامك الفرصة يمكنك أن تتعرف عليه ، وبذلك تتوسع دائرة معارفك ، وعلاقاتك .

يقول الإمام علي (ع) :

« انتهزوا فرص الخير فإنها تمر مرّ السحاب » (١٢) .

ويقول (ع) أيضاً :

« فوت الفرصة ، غصّة » (١٣) .

ويقول (ع) :

(١١) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ١٤٧ .

(١٢) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع) .

(١٣) المصدر السابق .

« من الخرق * المعاجلة قبل الإمكان ، والأناة ** بعد الفرصة *** » (١٤) .

ويقول (ع) :

« الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود » (١٥) .

— احذر هذا العدو !

ليس غريباً أنك سمعت ، أو تسمع :

— أن شخصاً اتجه إلى ممارسة اللهو والمعب بسبب هذا العدو .

— أن شخصاً ارتكب جريمة جنسية بسببه .

— أن شخصاً أصيب بمشكلة نفسية بسببه .

— أن شخصاً أدمن على المخدرات بسببه .

— أن شخصاً مال إلى الجهل بسببه .

— أن شخصاً أصبح لاأبالياً — في الحياة — بسببه .

نعم .. هكذا وأكثر منه يفعل الفراغ السلبي الذي هو بيئة جيدة ، ومدخل ممتاز للشيطان الرجيم ، ووساوسه .

ولذلك ، ولأن عامل الزمن مقدس في الإسلام أساساً ، فقد حرص على أن يجعل الإنسان في سعي وعمل دائبين ، لكي يجعل حياته مثمرة — كأصل — من جانب ، وليقيه عن مشكلات الفراغ من جانب آخر .

يقول القرآن الحكيم : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (١٦) .

(١٤) المصدر السابق .

(*) الحق ، وضد الرفق .

(**) التأني .

(***) ما يمكنك من مطلوبك .

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) ٣٩ — النجم .

ويقول في مورد آخر: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ريك كدحاً
فملاقية﴾ (١٧).

وليس المقصود من القضاء على الفراغ أن لا يقضي الإنسان وقتاً طيباً وممتعاً، وأن لا يرفه
عن نفسه، وعن أهله في الحدود الطبيعية، بل إن الترفيه — في حد ذاته — أمر جيد،
واستغلال للفراغ، أو وقت الفراغ بصورة جيدة.

يقول الإمام علي (ع):
«ما أحق الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل» (١٨).

والمقصود من الفراغ السابي: أن يظل الإنسان ساعات، أو أيام، أو أشهر بلا سعي
نافع، وبلا عمل مفيد، قاعداً في مكان، أو متسكعاً في الشوارع.

واستغلال الوقت، والقضاء على الفراغ مهم حتى لذلك الشخص المكاف بالعمل
عدة ساعات في اليوم، وحجم عمله في اليوم الأول أقل من عدد ساعات عمله.

فإذا كنت في إدارة، أو مؤسسة وكنت تعاني من وجود ساعات من الفراغ،
فإمكانك التخلص منه بممارسة أمور مفيدة منها:

- ترتيب القسم الذي تعمل فيه.
- التعرف على أقسام العمل المختلفة.
- خلاق علاقات جديدة في الأقسام المختلفة.
- قراءة كتب نافعة.
- قراءة مجلات، أو صحف نافعة.
- ممارسة أي عمل آخر لا يتنافى مع العمل الأصلي.

وأفضل طريقة للمواقة من الفراغ السابي، استغلال وقته بخير، وجعله ضمن البرنامج،
أو الخطة، أو الهدف الموضوع — جهد الإمكان — إذا كان في وقت العمل. واستغلاله

(١٧) ٦ — الانشعاق.

(١٨) ميزان الحكمة.

بطريقة جيدة، خيرة إذا كان خارج وقت العمل . وعموماً فإن استغلال وقت الفراغ بخير قضية يجب أن تتحول إلى عادة وخلق في حياتنا، سواء خلال فترة العمل أو خارجها .

فاعمل على أن لا تجعل الفراغ السلبي مكاناً من نفسك ، لأنه في حد ذاته مشكلة ، وسبب لمشاكل أخرى كثيرة، منها معصية الرب ، والوساوس الشيطانية ، والكسل ، والخمول ، وانخفاض الروح المعنوية ، وربما العقد النفسية ، والصبوة والجهل .

يقول الإمام علي (ع) :
« من الفراغ تكون الصبوة »^(١٩) .

ولو في أسوأ الظروف

ليست الفترة الزمنية التي يعيشها الإنسان هادئة دائماً ، كما أنها ليست حرة دائماً أيضاً ، بل حتى يوم الإنسان قد يكون منوعاً بين الهدوء ، واللاهواء . فقد تعيش فترة في جو هادئ فتستغل الزمن كأن تعمل ، أو تقرأ ، أو تكتب ، أو غير ذلك . وقد تعيش أخرى في جو غير هادئ فيلزمك أن تعود نفسك ، وتدريبها على الاستفادة من الوقت في هذا الظرف السيء ، وتعمل فيه .

وقد تكون اليوم طامية ، وفي الغد قد تسمي رهن أقبية السجن لإيمانك ، فيلزمك أن تستفيد من وقتك جيداً في هذا الظرف الطارئ .

إن هناك من الأفراد من قاموا بأعمال جبارة وهم في أسوأ الظروف كالسجن ، فمنهم من أتقن عدة لغات حية ، ومنهم من كان سبباً في هداية مجموعة كبيرة من السجناء إلى حظيرة الإيمان . بل إن من فقهاء المسلمين من كتب رسائل فقهية عملية وهو بداخل السجن .

ومثال على ذلك : الشهيد الأول (محمد جمال الدين مكيين العاملي) الذي ألف رسالة «اللمعة الدمشقية» وقد أودع السجن ، والشهيد الثاني (زين الدين الجبعي العاملي) الذي شرحها .

(*) من صبا صبوة ، وصبوة وصبا ، وصباء ، أي مال إلى جهة الصبيان ، واللهم واللعب .

(١٩) شرح الفرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٠٥ .

ولا يعني أن تستفيد من أوقاتك في أسوأ الظروف ، أن لا تهمل نفسك الظروف الحسنة للاستفادة منها إذا كان ذلك ممكناً . فإذا كنت تقرأ — على سبيل المثال — في جوّ صاخب ، وكانت فرصة الانتقال إلى مكان أهدأ ، موجودة ، فما المانع من ذلك ؟ وإذا كنت في جوّ يقيدك لكي تعمل ، أو تقرأ ، أو تكتب ، أو غير ذلك ، فما المانع من أن تنتقل إلى مكان آخر ، لكي تعمل بحرية أفضل .

وكعادة : استفد من أوقاتك جيداً ، حتى في أسوأ الظروف .

— برمج أعمالك

يقصد بكامة البرنامج ، المنهاج . والبرمجة وضع خطة للعمل من أجل القيام به ، وهي أسلوب تنظيمي حكيم يحتاجه الإنسان في مختلف أعماله في هذه الحياة ، وخاصة تلك الأعمال التي إن لم تبرمج ضيعت على الإنسان الكثير من جهده ، ووقته ، وماله .

فالكي تضع خطة للقيام بعمل ما يلزمك أن تطرح على نفسك مجموعة أسئلة منها :

ماذا ؟

لماذا ؟

من ؟

متى ؟

أين ؟

كيف ؟

كم ؟

بماذا ؟

إلى متى ؟

فالسؤال الأول يعني : ماهية العمل الذي تريد أن تنجزه . والثاني يعني : السبب ، والهدف من العمل . والثالث يعني الفرد ، أو الأفراد الذين يقومون بالعمل ، وكميتهم ، ونوعيتهم . والرابع يعني : الظروف الزمنية المناسب للقيام بالعمل ومدته . والخامس يعني :

الظرف المكاني الملازم للقيام بالعمل . والسادس يعني : كيفية القيام بالعمل ، ويدخل ضمن هذا السؤال ، الإمكانيات والوسائل المادية اللازمة للقيام بالعمل . والسابع يعني : الكميات المطلوب إنجازها ، وكمية الوسائل . والثامن يعني : الوسائل والمعدات اللازمة للعمل . والتاسع يعني : المدة الزمنية المحددة لانتهاء من العمل .

وضمن هذه الأسئلة يمكن طرح أسئلة تفريعية أخرى ، تخدم خطة العمل (البرنامج) ، ومن ثم تنفيذها .

وبكلمة : إن برجة الأعمال تركز على مايلي :

- الأهداف المطلوبة .
- الطاقة البشرية ، والإمكانيات المادية .
- العامل الزمني .
- العامل المكاني .
- الكيفية والكمية في الإنتاج .

يقول الإمام علي (ع) :
« بركة العمر حسن العمل »^(٢٠) .

— نظم مكتبك ، أو مكان عملك

بلا تردد ، ان المكتب المنظم ، أو مكان العمل المنظم ، يساعد الإنسان على التفكير ، والعمل بصفاء وكيفية ، وكمية جيدة .

فاحرص على تنظيم مكتبك بأن تجعل كل شيء في مكانه المناسب ، وبين فترة وأخرى حدد لنفسك وقتاً للتخلص من الأوراق الزائدة التي لست بحاجة لها ، ومن كل شيء من شأنه أن يشوش تفكيرك ، وبذلك تحافظ على صفائك الذهني ، والإنتاج الجيد ، والراحة المعنوية .
وأيما كنت تعمل ، في مكتب ، أو مصنع ، أو حقل ، أو إدارة ، أو مؤسسة ، أو غيره

(٢٠) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٢٧٩ .

اعمل على أن تجعل مكان عملك مرتباً منظماً ، لأن النظام والتنظيم حالة حضارية ، تساعد الإنسان على العمل بفكر صاف وإنتاج واف .

— نظم مسكنك

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« من سعادة المرء ثلاث : الدار الوسيعة ، والمرأة المطيعة ، والدابة السريعة » (٢١) .

مسكنك هو المكان الذي تسكن إليه ، وهو موقع السكن ، والراحة ، والاطمئنان ، والهدوء بالنسبة لك . وإذا كان من سعادتك أن يكون بيتك واسعاً ، فإن من السعادة أيضاً أن يكون مرتباً منظماً . فالسعة في المنزل بلا تنظيم وترتيب قد لا تجلب السعادة للإنسان . وحديث الرسول الأعظم (ص) يعني السعة المقرونة بالتنظيم ، بلا شك في ذلك . ومسكنك يعكس مدى التزامك ، وتحملك بالنظام والتنظيم . ولا يعني تنظيم المنزل ، الإسراف في الأثاثات ، والماديات ، بل المطالبوب الاقتصاد فيها ، والاقتصار على ما تدعو الحاجة إليه منها .

وتنظيم المنزل في أبسط صورة يعني :

— وضع كل شيء في مكانه المناسب .

— المحافظة على نظافة المنزل .

— استخدام الذوق الفني فيه .

— المحافظة على سعته .

(٢١) تحف العقول .

في التاريخ

— تعلم من التاريخ

من أبرز، وأهم العلوم، أو الموضوعات التي عني بها القرآن الحكيم، ووجه لدراستها، تاريخ الأمم الماضية، والأحداث المتقدمة، لأن فيها تجارب، وعبر، ومواعظ، وحكم للأمم الحاضرة، والمستقبلة.

وإنه لمن السداجة، ونقصان العقل، أن يقول قائل: مالنا والماضي، فما فات مات. ودعنا في الحاضر.

إن الحاضر ما هو إلا امتداد الماضي، وأن التاريخ حلقات متصلة ببعضها البعض، ومن هنا ففهم الحلقات الماضية من التاريخ، والاعتبار بها هي الطريقة الصحيحة للحياة في الحاضر. وكما تقول الحكمة الشهيرة: «التاريخ أفضل معلم، لأفضل تلميذ».

وكما تقول الحكمة الشهيرة الأخرى :

« الإنسان ابن تاريخه » .

وإنك لتجد القرآن الحكيم يذكر في مواقع كثيرة بتاريخ الأمم الماضية، ويؤكد على الاستفادة والاعتبار منه بقوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم .. ﴾ . ويركز القرآن على العواقب، والنتائج التي آلت إليها الأمم الماضية، باعتبار أن العواقب هي النتائج التي يصل إليها الإنسان، والأمة، والمطلوب أن تكون هذه النتائج ناجحة وموفقة .

وهناك من النظريات تؤمن بحتمية التاريخ، وتتلخص في أن أي أمة من الأمم تبدأ كالإنسان بمرحلة الطفولة، ثم تشب ثم تصبح كهلة، ثم تصل إلى حالة الشيخوخة، ثم تسقط وتموت، أمراً محتماً عليها . وتسمى هذه النظرية أيضاً بنظرية الدورة الاجتماعية المنظمة .

والإيمان بهذه النظرية قد يجعل الإنسان والأمة لا يعبران اهتماماً بالاعتبار من التاريخ، لأنهما يؤمنان بأنهما سيصلان — حتماً — إلى مرحلة الشيخوخة التاريخية، فما الداعي إلى الاعتبار من التاريخ، والأخذ بوسائل الهداية، والرشاد، والرقي، والتقدم ؟

وهناك مقولة أخرى — ترتبط بالاعتبار من التاريخ — تقول : إن التاريخ يعيد نفسه، إذا توافرت الأسباب نفسها التي أدت إلى الحالة، أو العاقبة التاريخية الماضية سلباً وإيجاباً . فإذا كانت أمة ماضية قد عصت ربها، وخالفت رسولها، ولجأت إلى الطغيان والفساد، فصب عليها الله سوط العذاب ودمرها، فإن أي أمة حاضرة توجد في نفسها هذه الأسباب المؤدية إلى الدمار فإن الله سيعذبها، ويدمرها . وإذا كانت أمة ماضية قد أطاعت ربها، ورسولها، والتزمت بالقيم الإلهية، فنصرها الله، فإن أي أمة حاضرة توجد في نفسها هذه المؤهلات، فإن الله سينصرها، ويرفعها . وهذه الصورة يكون التاريخ قد أعاد نفسه، بصرف النظر عن الإنسان كان في الماضي أو الحاضر، وبصرف النظر عن الزمان والمكان أيضاً . وهذه سنة إلهية في التاريخ، يلزم للأفراد والأمم، والحضارات أن تؤمن بها، لكي لاتصل إلى ماوصلت إليه الأمم السالفة من تسليط العذاب والدمار عليهما .

وبكلمة : إن من صفات الإنسان الحكيم، والجماعة الحكيمة، والأمة الحكيمة، الاعتبار من التاريخ .. قديمه وحديثه — فالتاريخ لا يعيه إلا ذا اللب الحصيف — فلكي تصبح

حكيماً ناجحاً، اعتبر من التاريخ. ومن الأمور التي تساعدك على فهمه، والاعتبار منه، قراءته، فاقراً في التاريخ ما استطعت، وبالطبع اعط الأولوية للتاريخ الإسلامي، وستجد نفسك فضلاً على إرادة الاعتبار به، أنك ذو ثقافة واسعة.

— ادرس بتأمل قصص الأنبياء

يقول القرآن الحكيم: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل كل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (١).

لا بد من التأكيد على أن القرآن الحكيم لم يورد قصص الأنبياء من أجل التسلية، وإن كانت تحقق هذا الغرض، وإنما أوردها من أجل:

— إلقاء الحجة على الإنسان.

— كونها أحداث، وموضوعات، للاعتبار، والاتعاظ منها، وأسباب لنجاح الإنسان، والأُم.

ولأهمية الاعتبار بقصص الأنبياء، أمر الله نبيه محمد (ص) أن يوجه أنظار أُمته إلى الاتعاظ من سير الأُم الماضية، ف وراء كل نبي أمة، و وراء كل أمة ألف تجربة وتجربة، وبالتالي ألف موعظة وموعظة.

وتعتبر قصص الأنبياء موضوعاً خصباً للإسلاميين الذين حملوا على عاتقهم الدعوة إلى الإسلام الحنيف، والعمل على نشر رسالته العالمية، وهي عبرة لكل إنسان وأمة في هذه الحياة.

فهل نسير فننظر عاقبة من سبقونا أفراداً كنا أو أمماً؟

— ادرس بتأمل سيرة الرسول الأعظم (ص)

يقول الله في القرآن الحكيم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

(١) سورة يوسف — ١١١.

في كل قول وفعل، وتقرير، وحادثة، وواقعة لرسولنا الأعظم (ص)، قدوة وأسوة لنا، لأنه المرسل من الله، والمعصوم الحكيم الذي لا ينطق، ولا يفعل، ولا يقرر بهواه.

وتاريخ الرسول الأكرم مفعم بالهدى، والدروس، والتجارب، والمواعظ، والعبر، على الصعيد الفردي، والاجتماعي، وفي مختلف المجالات.

ولوجوب طاعتنا لرسولنا، لأنها من طاعة الله، ووجوب اتباعنا لأقواله، وأفعاله، وتقريراته، ولكون حياته حافلة وثرية بالدروس، فإننا مطالبون بأن ننهل من معينها، ونسير على خطاها، ونقتفي آثارها. وإنه لمن المؤسف حقاً أن تجد بعضنا أو كثيراً منا يقدم قراءة كتب من هنا وهناك، على قراءة سيرة أعظم مصلح في التاريخ.

فالكي نكون ذوي سيرة حسنة، نحن مدعوون لأن نصادق أعظم حكيم في التاريخ، ونقرأ سيرة خاتم المرسلين، محمد (ص)؟

— ادرس بتأمل سيرة أئمة أهل البيت (ع)

يقول الرسول الأعظم (ص):

«إني مخاف فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي، أهل بيتي».

أهل البيت (ع) هم الامتداد الطبيعي للرسول الأعظم (ص)، وهم الذين قال في حقهم القرآن الحكيم: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢). وهم الثقل الثاني — بعد القرآن — اللذان ذكرهما الرسول الأكرم (ص) في أكثر من حديث، وبأكثر من صيغة.

وإذا كان الأمر كذلك فمن غير اللائق بنا أن نقول بموالة أهل البيت (ع) ونحن لا نعرف عن سيرتهم، وحياتهم، وجهادهم ضد الظلم والطغيان شيئاً، في الوقت الذي يكون من المطلوب منا أن نتشقف بثقافتهم، ومنها: أن ندرس سيرتهم.

(٢) — ٣٣ — الأحزاب.

وسيرة أئمة أهل البيت (ع) حافلة بالمواعظ، والعبر، والحكم، على صعيد البناء
الإيماني للذات، وحملها على مقتضى الحكمة والأخلاق الحسنة، وعلى صعيد الإصلاح،
والتغيير الاجتماعي. وما منهم إلا وكان النموذجاً عظيماً في الإيمان بالله، وطاعته، وما منهم إلا
مقتول أو مسموم لأنهم نذروا حياتهم لتطبيق مبادئ الله، ومواجهة كل أشكال الظلم،
والطغيان، والانحراف.

الأمر الآخر أن لدى أئمة أهل البيت أصحاباً عظاماً كثيرين، حري بنا أن
نستكشف حياتهم، من أجل أن نفتدي بهم. والمعلم أن هناك الكثير من أصحاب، وحواري
أئمة أهل البيت لا نعرف عنهم إلا القليل، وما أحرانا أن ننقب عنهم، وندرس حياتهم.

— اقرأ في حياة العلماء الصالحين

من هم العلماء الصالحون؟

هم الفقهاء الذين امتلأت حياتهم بطاعة الله، وبالجد، والنشاط، والتجارب الحياتية،
وهم الذين لم يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، وهم الذين كرسوا حياتهم من أجل
رسالة الإسلام، ومن أجل سعادة الإنسان.

إن حياتهم مليئة بالتجارب، والمواعظ، والحكم.

فهل نتعلم منها ما ينفعنا في حياتنا، وآخرتنا؟

— استفد من تجارب الآخرين

«السعيد من اتعظ بتجارب غيره».

«في التجارب علم مستحدث».

لا يهم أين تكون التجربة، بل المهم التجربة نفسها، كما أن الحكمة لا يهم أين تكون،
ومن هو صاحبها، بل المهم الحكمة نفسها، فأينما وجدت أخذت. وكما تقول الحكمة
العظيمة: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال» ومن أمارات الحكمة، والسعادة أن يعتبر

الإنسان، ويتعظ من تجارب الآخرين، وفي أي مجال، لكي يستفيد من إيجابياتها، ويتلافى الوقوع في الأخطاء التي وقعوا فيها.

— استفد من تجارب هؤلاء

هؤلاء هم الشيوخ المسنون الذين حاولوا أشطر الدهر، وجربوا الحياة حاولوا ومرها، وعاصروا أحداثاً كثيرة، فامتلكوا تجارب منها.

يقول الإمام علي (ع):

«رأي الشيخ أحب إليّ من جلد الغلام»^(٣)

فإذا جمعك الزمان، والمكان مع شيخ مسنّ، مجرب للحياة، فحاول أن تقترب منه، ودعه يحدثك عن حياته، وتجاربه، وخاصة في الأمور التي أنت بحاجة إليها، ودعه يقدم لك بعض النصائح، وعليك تقيّمها، والاستفادة منها.



حدث أن التقى شخص بآخر طاعن في السن، كان يتمتع بجسم نشط، وصحة جيدة. فسأله الأول: ما الذي جعلك تحافظ على صحتك، ونشاطك بالرغم من تقدمك في السن؟ فأجابه الشيخ: إن طريقتي في الاعتدال في الأكل، وعدم الأكل بين الوجبات، والإكثار من الصوم هي التي جعلتني كذلك، فاستفاد الأول من تجربة الشيخ، فعاش سنيّاً طويلة وهو محافظ على صحته، ونشاطه.



(٣) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

— دَوْن تجاربك ، وملاحظاتك اليومية إذا استطعت

تجاربك رأس مال ثمين ، عن طريقها تتقدم وتتلافى الأخطاء ، والعقبات . ومن هنا تنبع أهمية تدوينها . والتجارب الهامة هي الأولى بالتدوين .

وملاحظاتك اليومية هي أهم تجاربك في اليوم الذي عشته ، فلا تستصغر قيمة هذه الملاحظات . فعلى سبيل المثال : لا عجب من إنسان يدون ملاحظاته المرتبطة بتعامله مع الآخرين ، فيقيمها ، ويعتبر منها فيصبح أنموذجاً يحتذى به في التعامل مع الناس .

إن أصغر تجربة في الحياة — مهما كان نوعها — هي مفيدة لي ولك في المستقبل إذا اتعظنا منها ، فمن لا يستفيد من تجاربه ، وتجارب الآخرين يبدأ من الصفر دائماً في الموضوع المرتبط بالتجربة ، ولا يبدأ من حيث انتهت إليه تجاربه ، وتجارب الآخرين ، وبالتالي فإنه يبذر جهوداً فكرية ، وعملية ، وأوقاتها ، وربما تكاليف مادية ، كان بالإمكان ادخارها لقضايا أخرى .

مثال :

حدثني شخص فقال :

كنت أدون ملاحظاتي (تجاري) حول تعاملي الاجتماعي مع الآخرين ، وبعد تدوينها أدخلو بنفسي وأقوم بعملية تقويم لها ، وها أنذا الآن أصبحت خبيراً في التعامل مع الناس ، فأنا أحبهم ، وأقدرهم ، وأحترمهم ، وأصغي جيداً لهم ، ولا أجادلهم ولا أمارهم ، وأقدر أفكارهم ، ولا أتصادم معهم ، وكل ذلك بفضل تدويني لتجاري في التعامل معهم ، والاعتبار منها .

مثال آخر :

حدثني شخص آخر بقوله :

كعادي كنت أدون تجاري ، وملاحظاتي حينما أزور بلداً معيناً ، وذات مرة قمت بزيارة إلى إحدى البلدان ودونت تجاري ، وملاحظاتي فيها . وشاءت الظروف أن أقوم بزيارة أخرى إلى نفس هذا البلد بعد مدة من الزمن ، فاصطحبت معي مفكرة تجاري في هذا البلد ، وقد أفادتني كثيراً .

وتدوين التجارب والملاحظات ، يمكن أن يكون عاماً وفي شتى المجالات والموضوعات ، ويمكن أن يكون خاصاً بموضوع معين .

فلكي تدون تجاربك ، وملاحظاتك اليومية يكفي أن تخصص مفكرة صغيرة ، تسجل فيها نقاطاً موجزة ، ترجع إليها بين فترة وأخرى ، للتدوين ، والاستفادة .

في الاقتصاد

— كن اقتصادياً

الاقتصاد من قصد، أو اقتصد أي استوى، وضد أفرط. فالاقتصاد هو الاستواء، والتوسط، وضد الإفراط.

والاقتصاد يشكل جانباً رئيسياً من جوانب الحياة، بل إن من أهم أهداف الإسلام تحقيق الرفاه.

للإنسانية في الجانب الاقتصادي. ولكون الاقتصاد يشكل جانباً رئيساً في الحياة، ولإنكار الدين دعا الأمر بقسم من المفكرين الماديين إلى ابتداء نظرية من نظريات البعد الواحد التي ترى بأن الاقتصاد مسير التاريخ، وهي نظرية خاطئة على كل حال.

وأن تكون «اقتصادياً» يعني:

— أن تكون متوسطاً في كل أمورك، على الإطلاق، عادلاً فيها، غير مقصر فيها ولا مفرط.

— أن تمتلك الوعي الاقتصادي، ولو بالحد الأدنى، إذا لم تكن متخصصاً.
— أن تمارس عملياً عملية الاقتصاد في حياتك، فتكون قادراً على الاستثمار، وتكون إنفاقاً بعيدة عن الإسراف، وعن التقتير في نفس الوقت.

يقول القرآن الحكيم: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾^(١).

ويقول الإمام علي (ع):
«ما عال * من اقتصد»^(٢).

ويقول (ع) أيضاً:
«كن سمحاً، ولا تكن مبدراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً»^(٣).

وقد تسأل: إذا كان الله — سبحانه وتعالى — قد خلق لنا النعم والخيرات من أجل أن نستفيد منها، ونصرفها.

فلماذا الاقتصاد؟

وأيّن؟

ومتى؟

وكيف؟

وتكون الإجابة على هذه الأسئلة كالتالي:

ان الله — جلّ وعلا — جعل القصد والتوسط في الصرف والإنفاق، هو الخلق الموسط الذي يجب أن تتحلّى به البشرية، ومن جهة أخرى جعله وسيلة للمحافظة على التوازن والتوزيع العادل للمسلع، والثروات بين الناس، لكي لا يتخيم أناس، ويجوع آخرون.

يقول الإمام علي (ع):

(١) — الإسراء.

(*) احتاج وافقر.

(٢) نهج البلاغة حكم الامام علي (ع).

(٣) نهج البلاغة — حكم الإمام علي (ع).

« مارأيت نعمة موفورة إلا وبجانبها حق مضيع »^(٤).

ويقول أيضاً:

« ما جاع فقير إلا بما متع به غني »^(٥).

والاقتصاد ليس مقصوداً على مكان دون آخر، والمطلوب أن تكون اقتصادياً أينما كنت، سواء كنت تعيش في ظل دولة إسلامية، أو في ظل دولة غير إسلامية، أو يتحكم فيها الطاغوت، أو في أي ظرف مكاني آخر.

كما أن الاقتصاد ليس مطلوباً فقط في الملكية الشخصية، بل هو مطلوب أيضاً في الملكية العامة أيضاً. ومن المؤسف له حقاً أن تجد قسماً من الناس يقتصد — فقط — في أمواله الخاصة، أما فيما يرتبط بالأموال العامة، وأموال الآخرين، فالاقتصاد ليس له محل من الاعراب عنده. وقد يقول القائل:

استهلك ما شئت من الكهرباء، والماء، وغير ذلك فالمال ليس ملكك، بل هو ملك للدولة، أو ملك للآخرين!

وينسى أولئك الناس أن الله سيحاسبهم على إسرافهم وتبذيرهم في الطاقات والثروات العامة، فضلاً عن الخاصة.

كذلك لا يقتصر الاقتصاد على زمن ما، فتكون مقتصداً حينما تكون إمكانياتك محددة، ولكنك حينما تمنح الرخاء، تصاب بالتبذير، والإسراف، وتطير قيمة الاقتصاد من رأسك، وعليه فالمطلوب منك أن تقتصد في العمر واليسر.

صحيح أن الحالة المادية للإنسان تؤثر فيه، فحينما يكون محدود الإمكانيات يحاسب لكل قرش، وحينما يصبح موسراً تزداد إنفاقاته، إلا أنه — بأي حال من الأحوال — يجب أن يتبعد عن دائرة الإسراف، فضلاً عن دائرة التقتير أيضاً.

أما عن كيفية الاقتصاد، فباختصار:

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

- أن تضع لنفسك خطة اقتصادية .
- أن ترشّد مصروفاتك .
- أن تكون وسطياً في الصرف ، فلا إسراف ، ولا تقتير ، في اليسر والعسر .
- أن تكون مستثمراً جيداً ، وخاصة إذا كنت تعاني من ضيق مالي ، وذلك بأن تجعل مصروفاتك أقل من وارداتك .

إذن ، اقتصد في كل أمورك ، وفي معيشتك والأمور التي ترتبط بها فتش عن الأشياء الجيدة ذات السعر الاقتصادي ، ولا تسرف ، ولا تنهر بما هو باهظ الثمن ، وكن كريماً ، ولا تكن بخيلاً ، فالبخل عار .

يقول الإمام علي (ع) :

- « الاقتصاد نصف المؤنة »^(٦) .
- « الاقتصاد ينمي القليل »^(٧) .
- « إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد ، وحسن التدبير ، وجنبه سوء التدبير »^(٨) .
- « إذا رغبت في صلاح نفسك فعليك بالاقتصاد والقبوع »^(٩) .
- « حسن التقدير مع الكفاف خير من السعي في الإسراف »^(١٠) .
- « كل ما زاد على الاقتصاد إسراف »^(١١) .
- « إن يهلك من اقتصد »^(١٢) .
- « من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر »^(١٣) .
- « من الاقتصاد سخاء بغير سرف ، ومروءة من غير تلف »^(١٤) .

(٦) شرح الغرر والدرر — ج ٧ — ص ٣٢٣ .

(٧) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(٨) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(٩) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(١٠) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(١١) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(١٢) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(١٣) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

(١٤) المصدر السابق — ص ٣٢٣ .

« عليك بالقصد في الأمور فمن عدل عن القصد جار ، ومن أخذ به عدل » (١٥) .

— اعمل على أن لا تكون فقيراً

يقول الإمام علي (ع) :
« الفقر ، الموت الأكبر » (١٦) .

ويقول (ع) أيضاً :
« لو تمثل لي الفقر رجلًا لقتلته » (١٧) .

ويقول (ع) أيضاً :
« ما دخل الفقر بلداً إلا وقال له الكفر خذني معك » .

ينشأ الفقر للإنسان من أسباب عديدة منها ما يلي :
الأول : أن تقتضي مشيئة الله أن يكون الإنسان فقيراً ، وهذا الأمر لا بد له من سبب مادي من قبل الإنسان .

الثاني : أن يفرض الفقر عليه فرضاً من قبل حكم جائر ظالم .
الثالث : أن يكسل ، ولا يسعى ، ولا يتحرك لرفع مستواه الاقتصادي .
الرابع : الحالة الاجتماعية ، كأن يكون مريضاً ، وليس له من أولاد ، وليس له من مساعد ومعين .

الخامس : أن تسرق جميع ممتلكاته ، أو يخسر في تجارة خسارة عظيمة فيصبح فقيراً .
والإسلام يأتي على رأس قائمة الديانات والمعتقدات في مكافحة الفقر بجميع صورته وأشكاله ، بل إن من أهداف النظام الاقتصادي الإسلامي الرئيسة :

— توزيع الثروات بشكل عادل .

— مقاومة التفاوت الطبقي الفاحش المضر بالطبقات الضعيفة .

(١٥) المصدر السابق — ص ٢٢٣ .

(١٦) نهج البلاغة — حكم الإمام علي (ع) .

(١٧) ميزان الحكمة .

— الاهتمام بالطبقات الفقيرة، وإزالة حالة الفقر عنها .

— تحقيق الرفاه المجتمعي العام .

إلا أن الرفاه الاجتماعي الذي ينشده الإسلام هو الرفاه الذي لا يصل بالمجتمع إلى حالة الترف، التي تؤدي إلى شيوع البطر، والفسق، والفجور، ومن ثم إلى الدمار الاجتماعي .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٨) .

وهناك مقولة تقول : ان الثورة لا تنبعث إلا من صفوف الفقراء في أغلب الأحوال . وهذه المقولة صحيحة إذ إن الفقراء هم الذين يتقبلون المبادئ والقيم، ثم يناضلون من أجل تطبيقها . إلا أننا يجب أن لا نهمل دور المبادئ، فالفقير والغني المتدينان يختلفان عن غيرهما . والفقير تارة ينهض من أجل إزالة الفقر عن نفسه وعن غيره . وتارة أخرى يقوم لأن مبادئ دينه معطاة عن التطبيق، فيريد تطبيقها، ومن ثم رفع حالة الفقر عنه وعن المجتمع ككل .

ومن هنا فالفقير المؤمن ينطلق في قيامه بوجه الظلم من مجموعة أمور أهمها :

- ١ — إيمانه بالقيم الدينية، الإلهية، وضرورة تطبيقها .
- ٢ — حالة الواقع الحاكم الذي يعطل مبادئ الله، أو يحرفها، أو يزيفها، أو يستهين بها، أو يحاربها .
- ٣ — تأزم الجانب الاقتصادي، وشيوع الطبقة الفاحشة، والجور، والظلم، والطغيان، واللاإنصاف، والفقر .

يقول أبو ذر الغفاري (ر ض) :

« عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه » .

ومن هنا فإن الإسلام يكافح الفقر، وبعته لأنه مدعاة إلى أمور كثيرة منها :

- ١ — الكفر، وابتعاد الناس عن الدين والإيمان .

(١٨) ١٦ — الإسراء .

٢ — الجريمة، وعلى رأسها السرقة، والرشوة، والالتفاف على القوانين ومخالفاتها.

٣ — التباغض بين الفقراء، والأغنياء.

٤ — بعد الإنسان عن الحالة الوسطية في المعيشة.

يقول الإمام علي (ع):

«غالبت كل شديدة فغابتها
إن أُبْدِه يصفح وإن لم أُبْدِه
والفقر غالبني فأصبح غالبني
يقتل فقْبَح وجهه من صاحب»^(١٩)

والإسلام أمرنا بمجالسة الفقراء، والإنفاق عليهم، والاهتمام بهم، لا لأن الفقر محمود فيه، بل لأن الإسلام يسعى لإزالة الفقر عن الناس، ولكي تكون الطبقات الأخرى الأرفع في مستوى المعيشة، متواضعة لهذه الطبقة الضعيفة، ومنسجمة معها، وغير منفصلة عنها، أو مزدرية لها. إذ إن المجتمع الذي يجلس فيه الغني مع الفقير يتلاشى فيه التمايز الطبقي الناتج من تفاوت حجم الملكية. وعليه فإن الاهتمام بالفقراء قضية أخلاقية في الإسلام فضلاً عن أنها واجب من الواجبات، بل إن من أهداف الإسلام إزالة الفقر عن الناس.

وان من أحد أخطر أمراض عالمنا اليوم هو الطبقة الفاحشة، والتمايز الطبقي البغيض، ففي منطقة ما تجد من ينام على كنوز من بلايين الدولارات، وإلى جانبه من ينام على قارعة الطريق، ولا يملك حتى كسرة الخبز لكي يسد بها جوعه بطنه! فعلى سبيل المثال: في الهند هناك الكثير من التجار تفيض خزائهم بالأموال، وفي الوقت نفسه توجد الملايين من الشعب الهندي تكابد الفقر والحرمان في أعلى صورهما.

صحيح أن بني الإنسان حتى في ظل الحكومة الإسلامية العادلة يمكن أن يكونوا مختلفي النشاط، والإقدام في المجال الاقتصادي والاستثماري، ولكن ذلك لا يعني — بأي حال من الأحوال — قبول الإسلام بنشوء الطبقة البغيضة كما هي في الماضي، أو في عالمنا اليوم، بل إن الإسلام يعتمد نظرية التوازن الاقتصادي المجتمعي، فعلاوة على أنه يتيح فرص العمل المعيشي للجميع، ولا يبغي الملكية الخاصة المتوازنة، فإنه جعل في أموال الأغنياء حقاً للمسائلين والمحرومين، والفقراء، ويتمثل ذلك في الزكوات، والاحماس، والصدقات.

(١٩) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) — ص ١٨.

يقول تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ (٢٠).

— انفق في سبيل الله

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء﴾ (٢١).

من القيم التي أعطاها القرآن الحكيم، والإسلام العظيم اهتماماً كبيراً، الإنفاق في سبيل الله، باعتباره يمثل جانباً من جوانب العطاء في الإنسان، وباعتباره أيضاً يمثل عاملاً من عوامل تقدمه، ووسيلة فعالة في مقاومة الظلم والطغيان.

والإنسان حينما يريد أن ينفق في سبيل الله قد ينتابه الظن بأن أمواله قد تقل بالإنفاق. وبالفعل هي تقل، إلا أن الله يبارك فيها ويجعلها مثل تلك الحبة التي تنفق وتنبت سبع سنابل، ويكون في كل سنبلة مائة بذرة. ومباركة الله للإنسان حينما ينفق تكون في زيادة أمواله مستقبلاً، وفي الآثار الاجتماعية التي يحدثها هذا الإنفاق، فضلاً عن الثواب الجزيل في الدار الآخرة.

والإنفاق في سبيل الله فضلاً على إنفاق الأموال يشمل إنفاق الجهد، والوقت، إلى غير ذلك.

ومجالات الإنفاق المالي في سبيل الله كثيرة، ومتعددة منها على سبيل المثال لا الحصر:

— الإنفاق على المحرومين والفقراء والمحتاجين.

— المساهمة في بناء المشاريع الخيرية، والاجتماعية، كالجمعيات الخيرية، والمستشفيات، والمساجد.

— دعم لجان تعظيم الشعائر الدينية.

— مساعدة المرضى في تكاليف العلاج.

— المساعدة في التزويج.

(٢٠) ٢٤ — المعارج.

(٢١) ٢٦١ — البقرة.

يقول الإمام الكاظم (ع) :
«إياك أن تمنع في طاعة الله فتنفقه في معصية الله» (٢٢) .

ويقول الإمام علي (ع) :
«الصدقة دواء منجح» (٢٣) .

— كيف تستثمر مالك؟

يقصد باستثمار المال وضعه في مشروع استثماري يدرّ ربحاً . والاستثمار أوجه كثيرة منها على سبيل المثال : المضاربة* ، والإجارة ، والشراء والبيع . واستثمار المال يكون أمراً ملحاً في الظروف المادية الصعبة التي قد تواجه الإنسان .

ولكي تستثمر مالك بنجاح ، يمكنك اتباع مجموعة قواعد منها :

- ١ — أقم عملية الاستثمار على أساس ديني ، لكي لا تقع في الطرف الآخر من الاستثمار .
- ٢ — قبل أن تبدأ باستثمار مالك ، فكر ، واسأل نفسك ما هو أفضل وجه ، وأحسن طريقة لاستثماره ، ومتى ، وأين ، وكيف ؟
- ٣ — استفد من تجارب الآخرين في هذا المجال ، وابدأ من حيث ما انتهوا إليه .
- ٤ — عليك بالسعي ، وكن نشطاً في استثمار مالك .
- ٥ — اجعل نفقاتك أقل من دخلك لكي تستثمر مالك بالفعل .
- ٦ — اعط الحقوق الشرعية التي عليك في مالك .
- ٧ — إذا كان بالإمكان اجعل الاستثمار في أكثر من مجال .
- ٨ — انتهر الفرص التي تمكنك من استثمار مالك .
- ٩ — إياك والجشع ، والطمع ، وكن قانعاً بما قسمه الله لك .
- ١٠ — لا تجعل المال هدفاً لك ، بل اجعله وسيلة خيرة ، لأهداف خيرة .

(٢٢) تحف العقول .

(٢٣) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع) .

(*) المضاربة هي اتفاق بين طرفين على أن يكون المال من أحدهما ، والعمل بهذا المال في التجارة من الآخر . ويجوز أن يكون كل من المالك والمعامل أكثر من واحد ، فيعطي الرجل ماله لاثنتين على سبيل المضاربة ، أو يعطي الرجلان مالهما لواحد كذلك .

١١ — تثقف اقتصادياً إن استطعت ، لالمتاجرة فحسب بل لأن القصد والاقتصاد هما التوسط في جميع الأمور ، وابدأ بالتثقف بالاقتصاد الإسلامي ، واطلع على علم الاقتصاد الحديث .

— إذا أردت أن تتجر فأتجر بفقه

يمكن القول أن تسعة أعشار رزق الإنسان في التجارة . وهي تشكل مجالاً اقتصادياً واسعاً سواء في الماضي أو الحاضر ، وقوة اقتصادية لا يستهان بها .

واقصد أدرك اليهود الدور القوي الذي يلعبه رأس المال الناتج من التجارة ، فجعلوا من أنفسهم تجاراً كباراً ، فهم في الولايات المتحدة الأمريكية يؤثرون حتى على مجرى السياسة ، وانتخاب الرئيس الأمريكي ، فيما يعرف بحجماعات الضغط .

والإسلام لا يمانع التجارة طالما أنها مشروعة ، لا تحلل حراماً ، ولا تحرم حلالاً ، بل يشجع عليها لأنها وسيلة من وسائل الإعانة على المعيشة ، وبناء الدولة الإسلامية ، وتبليغ رسالة الإسلام إلى ربوع العالم .

يقول الإمام علي (ع) :

« تعرضوا للتجارات فإن لكم فيها غنى عما في أيدي الناس ، وإن الله — عز وجل — يحب المحترف الأمين » (٢٤) .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« التجارة تزيد في العقل » (٢٥) .

ووجوب المشروعية في المتاجرة لا يقتصر فقط على التجارة التي يجني منها الإنسان أرباحاً كبيرة ، بل حتى المعاملات البسيطة التي يحقق فيها الإنسان ربحاً محدوداً يجب أن تكون مشروعة لكي لا يقع في وحل الربا ، وهو وحل خطير جداً .

يقول الإمام علي (ع) :

(٢٤) ميزان الحكمة — ج ١ — ص ٥١٨ .

(٢٥) المصدر السابق — ص ١٥٨ .

« من أتجر بغير فقه ، ارتطم في الربا » (٢٦) .

ومن هنا فإن أهم مقوم من مقومات التجارة في الإسلام ، الفقهية . أي بعبارة أخرى معرفة أحكام التجارة .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« يامعشر التجار ! إن التجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلا من اتقى وبرّ وصدق » (٢٧) .

ويقول (ص) :

« التاجر الصدوق الأمين مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء » (٢٨) .

ويقول الإمام علي (ع) :

« إن الله — سبحانه وتعالى — فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلا بما متع به غني ، والله تعالى سائلهم عن ذلك » (٢٩) .

وإذا كان الفقر مشكلة من مشاكل الإنسان ، وهي تحتاج إلى حل ، فإن الغني — كحالة متوسطة — هو عون للإنسان في مواجهة تكاليف الحياة . هب أنك مهاجر وأنت غني ، ألسنت أفضل حالاً من ذلك المهاجر الفقير ، وألسنت تشعر بأن غناك يحملك ، ويمثل وطناً بالنسبة لك ، أو على أقل التقادير يخفف عنك ضغوط وتكاليف الغربة ، المادية ؟

يقول الإمام علي (ع) :

« الفقر في الوطن غربة ، والغنى في الغربة وطن » (٣٠) .

وبكلمة : اعمل كل ما في وسعك من الخير في سبيل أن لاتصبح فقيراً ، وإذا ما أصبحت كذلك فلا تتذمر ، ولتكن صابراً حتى يغير الله حالك فتصبح موسراً ، واعلم أن مساهمتك في تحمل مسؤولية التغيير الاجتماعي ، والقيام بوجه الظلم والحرمان ، هو مشاركة

(٢٦) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع) .

(٢٧) ميزان الحكمة — ج ١ — ص ٥٢٧ .

(٢٨) المصدر السابق — ص ٥٢٨ .

(٢٩) نهج البلاغة — حكيم الإمام علي (ع) .

(٣٠) المصدر السابق .

منك في رفع حالة الفقر عن المجتمع ككل ، فضلاً عن رفع كل الانحرافات التي يوجددها واقع الظلم .

— لا يُضَلِّك المال

يقول الله — جل وعلا — : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآفٍ كَرِهَ ۚ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ۚ ﴾ (٣١) .
كلمة المال تطلق على كل ما يملكه الإنسان من جميع الأشياء ، وتطلق أيضاً على النقد .

والمال مقوم من مقومات الحياة ، والتقدم ، والبناء الحضاري ، بل هو مقوم أساسي في مجال التغيير الاجتماعي والثقافي .

وليس غريباً أن تجد جماعة عاملة تلاقى من الصعوبات الكثيرة لتنفيذ خططها وبرامجها بسبب المشاكل المالية ، وهي تحتاج إلى من يدعمها مالياً .

وليس غريباً أيضاً أن تجد حكومات ، تقوم بفرض أفكار وآراء — ما أنزل الله بها من سلطان — على قطاعات من البشر ، مستفيدة من الثراء المالي في هذا الجانب .

والمال الذي هو مقوم من مقومات الرفاه ، والتقدم ، والبناء الحضاري إذا أحسن استخدامه . فإنه يتحول إلى منبع للشهوات ، والأهواء ، والانحرافات ، ومعمول هدم للاجتماع ، ووسيلة لإضلال البشر إذا أسيء استخدامه . كما يؤدي — والحالة هذه — إلى طغيان الأغنياء ، وتجبرهم ، على الفقراء ، وعلى من أهم أقل مستوى في الجانب المالي .

وتكون خطورة المال أكثر وأشد حينما يكون الإنسان غنياً ، ولكنه بعيد عن خوف الله ، وتقواه ، وعن القيم والأخلاق .

يقول الإمام علي (ع) :
« المال مادة الشهوات » (٣٢) .

(٣١) العلق — ٦ ، ٧ .

(٣٢) نهج البلاغة — حكم الإمام علي (ع) .

فإذا ملكت ، فلا تجعل مالك يضلّك ، ولا تطغى ، ولا تتجبر ، وأدّ الحقوق التي كتبها الله عليك في مالك ، واعرف أين وكيف تنفق أموالك ، واعلم أنه لا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب . واعلم أيضاً أن المال يفنى مهما كثر ، ولكن الأهم فيه نتائجه وآثاره وتبعاته ، فهي التي تبقى ، وتكون حسنات للإنسان فيما إذا أحسن استخدامه ، ووبالاً عليه فيما إذا أساء استخدامه .

— كن بسيطاً في حياتك

المقصود من البساطة في الحياة أن تكون غير معقدة ، وغير مترفة . والبساطة لا تتناقض مع ارتفاع مستوى المعيشة ، والغنى . فقد يكون الإنسان غنياً ولكنه يعيش حياة بسيطة ، فلا هو مترف ، ولا يترفع على الآخرين بغناه .

والفخر أن يكون الإنسان بسيطاً حينما يكون غنياً ، لأنه حينما لا يملك إلا القليل قد تفرض البساطة في المعيشة نفسها عليه .

ومن صفات البسطاء في الحياة أنهم يعيشون سعداء ، ومستقرين ، وهادئين النفوس ، قد كفوا أنفسهم الإفراط في الماديات ، وما يسببه التعقيد في الحياة ، من قلق ، واضطراب ، ومتاعب معنوية .

في التصرف والتدبير

— كن حسن التصرف والتدبير

يقول الإمام علي (ع):
«إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد، وحسن التدبير، وجنبه سوء التدبير والإسراف»^(١).

ويقول (ع) أيضاً:
«لا عقل كالتدبير»^(٢).

من التربية السيئة أن يتعامل الآباء والأمهات مع الأبناء — حتى سن متأخرة — على أنهم أطفال. وهذه المشكلة موجودة في بعض الشعوب الإسلامية، فتجد الآباء، والأمهات يدعون أولادهم، وبناتهم الكبار في السن — نسبياً — أطفالاً، وبالتالي ينشأون معتمدين على

(١) ميزان الحكمة — ج ٣ — ص ٢٠٨.

(٢) المصدر السابق — ج ٦ — ص ٤٣٨.

آبائهم وأمهاتهم حتى سن متأخرة نسبياً . وأنت قد تجد الابن يصل إلى سن العشرين ، وهو لا يستطيع أن يدبر نفسه ، أو يتصرف حتى في أبسط الظروف ، وأسهل الأحوال . وهذا أمر من الأمور التربوية التي يجب أن يأخذها الآباء والأمهات والمربون بعين الاعتبار .

ويقصد بحسن التصرف والتدبير ، ممارسة العمل بعد تلقاها ، والتفكير والسعي فيه ، والاعتناء به ، وتنظيمه ، والنظر في عاقبته .

إن خلاق رؤية ، ومهارة حسن التصرف والتدبير في الأولاد ، تجعلهم يتصرفون بشكل حسن ، ويدبرون بشكل جيد في مختلف الظروف ، الطبيعية ، وغير العادية ، ومثال الأخيرة ظرف مقاومة الانحراف والظلم حيث يتطلب من الإنسان قدرات جيدة في حسن التصرف ، والتدبير .

وإذا كانت مهارة حسن التصرف ، والتدبير مطلوبة على أية حال ، فلا ينظر إلى الإنسان من يكون ، وأين ، وكيف . فإذا كنت مديراً ، أو طبيباً ، أو مهندساً ، أو كاتباً ، أو تاجراً ، أو عاملاً ، أو فلاحاً ، أو مجاهداً أو في أي مهنة أخرى ، اعمل على أن تكون حسن التصرف ، والتدبير في مجال عملك .

وبالإضافة إلى ذلك ، المطلوب أن تحسن التصرف في المجالات المشتركة . فإذا قمت بزيارة إلى أقاربك ، أو أصدقائك ، أو جيرانك ، أو حضرت مجلساً ، أو مؤتمراً ، أو ندوة ، أو حفلاً ، أو سافرت إلى بلد ، أو أقمت في فندق ، أو التقيت شخصية ، أو اعتقلت ، أو سجنتم أو ... تخلق بحسن التصرف والتدبير .

ومن أهم القواعد المشتركة فيما يرتبط بحسن التصرف والتدبير :

- ١ — استخدام العقل على الوجه الأصح (الذكاء) .
- ٢ — التزام الآداب ، والأخلاق .
- ٣ — الإحاطة بالعمل والهدف منه .
- ٤ — الشجاعة في اتخاذ القرار .
- ٥ — القدرة على الاستفادة من الإمكانيات المتاحة .
- ٦ — الإبداع والتطوير .

٧ — استعمال الذوق الفني .

٨ — الاهتمام بعامل الزمن .

٩ — انتهاز الفرص .

١٠ — المظهر الجيد .

— كن مسافراً ناجحاً

من المجالات التي تحتاج إلى حسن التصرف والتدبير ، وتختبر فيها مقدرة الإنسان على ذلك ، السفر . وذلك لأن السفر انتقال إلى ظروف أخرى ، بما تحويه هذه الظروف من مشقة تحتاج إلى تحمل ، ومستجدات تفتقر إلى مواجهة .

وأن تكون مسافراً ناجحاً يعني أن تلتزم مجموعة قواعد منها أن تكون :

١ — منسجماً اجتماعياً مع من تسافر معهم .

٢ — ذكياً ، طوال فترة سفرك ، وإقامتك .

٣ — قادراً على القيام بكل متطلبات السفر ، والإقامة .

٤ — اقتصادياً جيداً .

٥ — قادراً على التحكم في أعصابك .

٦ — قادراً على التعامل مع الظروف اللابيعية ، والخرجة ، والاستثنائية .

٧ — مستفيداً من فترة السفر والإقامة (تحقيق الأهداف) .

٨ — مراعياً لأخلاقيات ، وآداب السفر .

وللسفر آداب ، بينها الإسلام حاجة الإنسان إليها ، ويمكن المرء مراجعتها في كتب الأحاديث والروايات الشريفة .

يقول الإمام علي (ع) في الشعر المنسوب إليه :

وسافر ففني الأسفار خمس فوائد	تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وعلم وآداب ، وصحبة ماجد	تفرّج همّ ، واكتساب معيشة
وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد	فلن قيل في الأسفار ذل ومحنة

فموت الفتى خير له من قيامه بدار هوان بين وإشـ وحاسد^(٣)

— لا تخالف السنن الكونية والحياتية

يقول تعالى: ﴿فإن تجد لسنة الله تبديلاً وإن تجد لسنة الله تحويلاً﴾^(٤).

خلق الله الكون، والحياة، وجعل فيهما سنناً وقوانين كثيرة ثابتة، ومناقضتها تعني الفشل، وربما الهلاك، والتزامها يعني النجاح، لأنها مناهج، وحكم، ومواعظ. ولنضرب لذلك أمثلة بسيطة للتوضيح.

الأول: قانون الجاذبية

من المعلوم أنه إذا سقط جسم من ارتفاع عن سطح الأرض ينجذب باتجاه مركز الأرض. فإذا ما ألقى الإنسان نفسه من مبنى مرتفع فإنه ينجذب باتجاه مركز الأرض، وبالتالي يتهشم.

الثاني: التنفس

التنفس عملية ضرورية لبقاء الكائنات الحية على قيد الحياة، فلو أن إنساناً امتنع عن التنفس لفترة غير طبيعية فإنه يموت.

الثالث: الظلم لا يدوم

يؤكد الإسلام على أن حالة الظلم لا تدوم وإن بقيت فترة طويلة نسبياً، بينما الكفر غير المقرون بالظلم قد يدوم. وهذا ما يؤكده التاريخ والسنة، والواقع. فكم من حكومات، ودول وإمبراطوريات ظالمة استمرت فترة من الزمن ولكنها انتهت، وكم من أنظمة كافرة غير ظالمة استمرت، ولا زالت مستمرة.

(٣) الديوان المنسوب للإمام علي (ع).

(٤) سورة فاطر — ٤٣.

الرابع : الظلم ، والطغيان ، والفساد ، والترف ، عوامل دمار اجتماعي ، وهلاك أممي .
يقول القرآن الحكيم : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ، وجعلنا لمهلكهم موعداً ﴾ (٥) .

ويقول أيضاً في مصير عاد ، وثمود ، وفرعون : ﴿ الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد فصَبَّ عليهم ربك سوط عذاب ﴾ (٦) .

ويقول أيضاً : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ (٧) .

ومن الآيات القرآنية السابقة يتوضح أن ممارسة الإنسان ، والأمة ، والحكومة المظلم والطغيان ، والفساد ، والترف يؤدي بهم إلى الدمار ، سنة قائمة ، والاعتبار بهذه السنة ، والأخذ بالعدل ، والتواضع ، والإصلاح ، والاقتصاد يؤدي بهم إلى الحياة السعيدة ، والتقدم ، والحضارة .

الخامس : الاجتهاد وسيلة للنجاح

الطريق الطبيعية للنجاح هو الاجتهاد . ولم نسمع ، ولن نسمع — في يوم من الأيام — أن الكسل وسيلة له ، إلا صدفة ، والصدفة احتمالها ضعيف جداً ، فمن يجتهد ينجح ، ومن لا يجتهد يفشل ، وكما تقول الحكمة الشهيرة : من جد وجد ، ومن زرع حصد ، ومن سار وصل .

وكما يقول الحديث الشريف :
« مارام امرء من شيء إلا وصله أو مادونه » .

السادس : من يعمل يمكن له أن يتتصر

وهذه القاعدة صحيحة ، فالشعوب التي عملت وناضلت هي التي انتصرت على

(٥) سورة الكهف — ٥٩ .

(٦) سورة الفجر — ١١ — ١٣ .

(٧) ١٦ — الإسراء .

أعدائها، والشعوب التي تعمل وتكافح من أجل مبادئها، وحريتها يمكن لها أن تنتصر، ولم نسمع عن شعب خامل، مهادن، أنه انتصر، أو ينتصر في يوم من الأيام!

وهكذا يتبين بوضوح أن للكون، والحياة سنناً وقوانين، منها ما يرتبط بالماديات، ومنها ما يرتبط بالمعنويات، ومنها ما يرتبط بهما معاً، ومناقضة الإنسان لهذه القوانين تؤدي به إلى الفشل، أو الهلاك.

فالكي تكون ذا سلوك حسن، وعلى طريق النجاح: لا تخالف السنن الكونية والحياتية.

في الذوق الفني والأدب

— استعمال الذوق الفني

جاء في الحديث الشريف :
« إن الله جميل يحب الجمال » .

أينما ألقيت بنظرك في الكون، والطبيعة، لمست حالة جمالية رائعة . في السماء وما بها من شمس، وأقمار، ونجوم، ومجرات، و... في الأرض وما بها من بحار، وأنهار، وجبال، ووديان، وكائنات، و...

ومن ذلك يتضح أن من الآثار الإلهية في الكون والحياة : الفن والذوق، والجمال، فضلاً على الترتيب، والتنسيق، والنظم .

من هنا فإننا مطالبون بالتخاطب بالفن (المشروع من الفن)، والذوق، والجمال،

وعكسها على أنفسنا، لأنها من آثار خالقنا وبارئنا ومصورنا الجميل ، الذي أمرنا بأن نتخلاق بأخلاقه .

ولتوضيح معنى الذوق الفني ، يمكن القول :

إن الذوق هو تلك القوة التي ندرك بها طعوم الأشياء (جمع طعم) وجماها ، فاللسان هو أداة التذوق للماديات كالأكولات والمشروبات ، وما شابه ذلك . والذوق بشكل عام إدراك الناحية الجمالية في الأشياء ، وهو الطبع أيضاً ، فحينما نقول : فلان حسن الذوق للشعر ، أي مطبوع عليه .

والفنّ ، هو الزينة ، والألوان ، فحينما نقول فنّ الشيء أي زينته ، وفنّ رأيه ، أي لونه ، وتفنّن أي نوع فنونه . فحينما نقول : تفنّن في كلامه ، أي أخذ في فنون وأساليب حسنة في الكلام ، وهكذا حينما نقول : تفنّن في عمله ، أي أخذ في فنون وأساليب حسنة في العمل .

وعليه فالفن هو تطبيق الفنّان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة ، فيرتفع به إلى مثل أعلى تحقياً لفكرة ، أو عاطفة ، يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل تلذيداً للعقل والقلب .

ومما سبق يتوضح أن الذوق الفني ، هو قوة ، أو صفة ، أو مهارة إدراك طعوم الزينة ، والألوان والجمال ، لكي يلتذّ بها القلب ، والعقل .

وأن تكون ذا ذوق فني يعني أن تمتلك القدرة على التمتع بنعمة الجمال والذوق التي وهبها الله للإنسان ، وتتطبع عليها ، فالله يريد أن يرى آثار نعمته على عبده ، ومن نعمه الجمال ، والذوق .

وأن تكون ذا ذوق فني وجمالي ، يعني أن لا تخرج عن الحدود المشروعة للفن ، وأن لا تكون مسرفاً في الماديات أو مترفاً فيها ، بل بالحد الأدنى ، أو بمستوى معتدل منها يمكنك أن تمارس ، وتتمتع بنعمة الذوق والجمال . فعلى سبيل المثال : رب إنسان يمتلك أطقماً من الملابس ، ولكنه لا يجيد استخدامها . وفي المقابل رب آخر يملك قدراً محدوداً من الألبسة غير الجديدة ، ولكنه يحسن استخدامها ، وارتداؤها بشكل فني ومرتب . ومن هنا نستنتج أن مهارة

التذوق الفني — في حد ذاتها — فن يمكن الإنسان أن يتعلمه ويتقنه ، وهو فن بسيط ، لأن معطياته موجودة في الإنسان ، وقد زوده الله بها ، وعلى رأس تلك المعطيات العقل ، ثم بعد ذلك القلب ، والحواس الخمس ، الباصرة ، السامعة ، والشامة ، والذائقة ، واللامسة .

وقد تسأل :

ما هو الداعي لاستعمال الذوق الفني ! وأليس هو من باب الترف ، ومضيعة الوقت ؟

وتكون الإجابة كالتالي :

في الحياة لا يمكن إنكار حقيقة أن الفن أمر مرغوب ، ومشروع ، إذا لم يحل حراماً ولم يحرم حلالاً ، وهو أداة ووسيلة للمجذب والتأثير ، فأني شيء تضيفي عليه حالة فنية معينة ، هذه الحالة تؤثر في الإنسان وتجذبه . وبناء على هذا ، من الطبيعي أن تنشدد ، وتنجذب إلى معرض أو متجر عُرضت فيه المبيعات بشكل فني مرتب ، خاصة إذا كنت ذا ذوق فني ، ومطبوعاً على الذوق . كذلك من الطبيعي أن تقبل بشهية أكبر على طعام حُضّر على المائدة بطريقة فنية جميلة .

أما عن القول بأن الذوق الفني ترف ، ومضيعة للوقت ، فيمكن القول : أن الفن ، والجمال ، والترتيب ، والنظام حقائق موجودة في الحياة لا يمكن إنكارها ، وهي تؤثر في الإنسان ، كما أن الإنسان يؤثر فيها أيضاً ، والمطاطوب أن يستخدم الإنسان قدرته على التذوق الفني بطريقة مقصودة ، معتدلة غير مبالغ فيها لكي لا تتحول إلى إفراط ، وترف ، ومضيعة للوقت .

واستعمال الذوق الفني لا ينحصر في زمان ، ومكان معينين ، بل متى تكون ، وأينما تكون ، في الليل ، في النهار ، في العمل ، في المأكل ، في الملبس ، في المسكن ، في المكتب ، في المصنع ، في السفر ، ... يمكنك أن تستعمله .

وقد تسأل :

إذا كنت لا أمتلك ذوقاً فنياً ، فكيف أمتلكه ؟

والإجابة ببساطة :

— رغبة جيدة في التذوق الفني للأشياء .

- وإثارة لهذه المهارة فيك .
- واستخدام عقلك ، وحواسك جيداً .
- واستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال .

— النظافة .. من الذوق الفني

ليس عبثاً أن اعتبر الإسلام النظامية جزء من الإيمان ، إذ قال : « النظافة من الإيمان » ، و « من لا نظافة له لا إيمان له » . وذلك لأن النظافة بالإضافة إلى أنها أداة ووسيلة للطهارة ، وإزالة الأقدار ، والأوساخ ، فهي أيضاً أداة لإضفاء الجانب الذوقي الفني والجمالي على الإنسان .

إن الله — سبحانه وتعالى — أراد للإنسان أن يكون نظيفاً لكي يقابله وهو على طهارة ونظافة وجمال من جهة ، ولكي يقابل عباد الله بشكل يجعلهم ينجذبون إليه من جهة أخرى ، ولكي يكون مقبولاً من عقله ونفسه ، ولا يكون عرضة للأمراض والاسقام من جهة ثالثة .

ويمكن القول أن النظافة باعتبارها من الذوق الفني فهي أداة جذب وتأثير ، وهكذا أراد الله للمؤمن أن يكون نظيفاً ، باعتبار أن النظافة هي الخلق الطبيعي الذي يجب أن يتخلق الإنسان به ، من جهة ، ومن جهة أخرى لكي يكون مؤثراً ، وجذاباً ، فينجذب إليه الآخرون ، ويؤثر فيهم .

وإنه لمن المخلّ بسمعة الإسلام ، والإيمان أن تجد بعض المؤمنين ، وبعض رجال الدين ، لا يعيرون اهتماماً بنظافة أجسامهم ، وملابسهم ، وهندامهم ، وحينما يراهم الناس على هذه الحالة قد ينظرون إليهم نظرة عادية ، وربما نظرة سخرية ، مهما أوتوا من التقوى والعلم ، وربما يكوّنون فكرة سيئة عن الإسلام والمسلمين فيقولون : انظر إلى المؤمنين ، وعلماء الدين ، لا يهتمون بنظافتهم . وبناء على هذا فإن المؤمنين يجب أن يكونوا التماذج والأمثلة في النظافة ، وغيرها .

وللعلم أنه لا يوجد دين ، ولا عقيدة تهتم بالنظافة وقواعدها كما تهتم بها الإسلام ، وإنك لتجد كمّاً هائلاً من المستحبات في مجال النظافة وغيرها ، لا تجده في أي ديانة ، أو عقيدة أخرى .

ومن هنا يمكن القول :

كما أن الإسلام هو دين الحق ، والعدل ، والحرية ، والأخلاق ، ومواجهة الظلم والطغيان والفساد ، والكفر ، هو أيضاً دين الجمال ، والذوق ، والفن ، والنظافة ، والترتيب ، والنظم .
اقرأ شعر أئمة أهل البيت (ع) ، وشعر شعرائهم .

الشعر عند أهل البيت (ع) ليس ترفاً أدبياً ، بل هو أدب وحكمة ، وفن التزام ، ووسيلة هداية ، وواسطة تربية ، وأداة تبليغ

وكمال على ذلك ، يقول الإمام علي (ع) في القصيدة المنسوبة إليه ، والمشهورة بالزينية :

والدهر فيه تصرم وتقلب
سوداً ورأسك كالنعامة^(٢) أشيب
كانت تحنّ إلى لقاك وترهب
آل بياقعة وبرق خلّـب
وازهـد فعمرك منه ولّى الأطيب
وأتى المشيب فأين منه المهرب ؟
فترى له أسفاً ودمعاً يسكب
واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
لا بد يحصى ما جنيت ويكتب
بل اثبتاه وأنت لاهٍ تلعب
ستردها بالرغم منك وتسلب
دار حقيقتها متاع يذهب
أنفاسنا فيها تعدّ وتحسب
حقاً يقيناً بعد موتك ينهب
ومشيدها عما قليل يخرب

ضمرت حباً لك بعد وصلك زينب
نشرت ذوائبها^(١) التي تزهو بها
واستغفرت لما رأتك وطالما
وكذاك وصل الغانيات فأنه
فدع الصبا فلقد عداك زمانه
ذهب الشباب فما له من عودة
ضيف ألمّ إليك لم تحفل به
دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
واخش مناقشة الحساب فإنه
لم ينسه الملكان حين نسيته
والروح فيك وديعة أودعتها
وغرور دنياك التي تسعى لها
والليل فاعلم والنهار كلاهما
وجميع ما حصّلته وجمعتـه
تباً لدار لا يدوم نعيمها

(١) الذوائب : جدائل الشعر المضفور .

(٢) وقيل كالشغامة أي شجرة زهرها وثمرها أبيض .

واسمع هديت نصائحاً أولاً
صحب الزمان وأهله مستبصراً
أهدى النصيحة فاتعظ بمقاله
لاتأمن الدهر الصروف فأنه
وكذلك الأيام في غدواتها
فعليك تقوى الله فالزمها تفرز
واعمل اطاعته تنل منه الرضا
فاقنع فقي بعض القناعة راحة
وإذا طمعت كسيت ثوب مذلة
وتوق من غدر النساء خيانة
لاتأمن الأنثى حياتك إنها
لاتأمن الأنثى زمانك كله
تغري بطيب حديثها وكلامها
وألقى عدوك بالتحية لاتكن
واحذره يوماً إن أتى لك باسماء
إن الحقوق وإن تقادم عهده
وإذا الصديق رأيتَه متملقاً
لاخير في ود امرئ متملق
يلقاك يحلف أنه بك واثق
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
واختر قرينك واصطفيه تفاخراً
إن الغني من الرجال مكرم
وبش بالترحيب عند قدومه
والفقر شين للرجال فأنه
واخفض جناحك للأقارب كلهم
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً

برّ لبيب عاقل متأدب
ورأى الأمور بما تؤوب وتعقب
فهو التقى اللوذعي الأذرب
لازال قدماً للرجال يهذب
مرت يذل لها الأعز الأنجب
إن التقى هو البهي الأهيـب
إن المطيع لربه لمقرب
واليأس مما فات فهو المطلب
فالقد كسي ثوب المذلة أشعب
فجميعهن مكائد لك تنصب
كالأفعوان يراع منه الأنيب
يوماً ولو حلفت يميناً تكذب
وإذا سطت فهي الثقيل الأشطب
منه زمانك خائفاً تترقب
فالليث يبدو نابه إذ يغضب
فالحقد باق في الصدور مغيب
فهو العدو وحقه يتجنب
حلو اللسان وقلبه يتلهب
وإذا توارى عنك فهو العقرب
ويروغ منك كما يروغ الثعلب
إن القرين إلى المقارن ينسب
وتراه يرجى مالهديه ويرهب
ويقام عند سلامه ويقرب
يزري به الشهم الأديب الأنسب
بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا
إن الكذوب لبئس خلا يصحب

وذر الحسود ولو صفا لك مرة
 وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
 واحفظ لسانك واحترز من لفظه
 والسر فاكتمه ولا تنطق به
 واحرص على حفظ القلوب من الأذى
 إن القلوب إذا تنافر ودها
 وكذلك سر المرء إن لم يطوه
 لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
 ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً
 كم عاجز في الناس يؤتى رزقه
 اذ الأمانة والخيانة فاجتنب
 وإذا بايت بنكبة فاصبر لها
 وإذا أصابك في زمانك شدة
 فادعوا لربك انه أدنى لمن
 كن ما استطعت عن الأنام بمعزل
 واجعل جليتك سيداً تحظى به
 واحذر من المظلوم سهماً صائباً
 وإذا رأيت الرزق ضاق ببِلدة
 فارحل فأرض الله واسعة الفضأ
 فاقصد نصحتك إن قبلت نصيحتي
 خذها إليك قصيدة منظومة
 حكم وآداب وجل مواعظ
 فاصغ لوعظ قصيدة أولاكها
 اعني علياً وابن عم محمد
 يارب صل على النبي وآله

(٣) ديوان الإمام علي (ع).

ابعده عن رؤياك لا يستجلب
 ثرثارة في كل ناد تخطب
 فالمرء يسلم باللسان ويعطب
 فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
 فرجوعها بعد التنافر يصعب
 شبه الزجاجة كسرهما لا يشعب
 نشرته ألسنة تزيد وتكذب
 في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
 والرزق ليس بحيلة يستجلب
 رغداً ويحرم كيّس ويخيّب
 واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
 من ذا رأيت مسلماً لا ينكب
 وأصابك الخطب الكريه الأصب
 يدعوه من حبل الوريد وأقرب
 إن الكثير من الوري لا يصحب
 حبر لبيب عاقل متأدب
 واعلم بأن دعاءه لا يحجب
 وخشيت فيها أن يضيق المكسب
 طولاً وعرضاً شرقها والمغرب
 فالنصح أغلى ما يباع ويوهب
 جاءت كنظم الدر بل هي أعجب
 أمثالها لذوي البصائر تكتب
 طود العلوم الشامخات الأهيب
 من ناله الشرف الرفيع الأنسب
 عدد الخلائق حصرها لا يحسب^(٣)

وهكذا الحال بالنسبة لشعر شعراء أهل البيت (ع)، من أمثال الفرزدق، والكميت، ودعبل الخزاعي، والسيد جعفر الحلي، والسيد حيدر الحلي، والشيخ حسن الدمستاني، و...

إن قصائدهم فريدة من نوعها، فهي :

- ١ — حكم ومواعظ، ووسائل رشاد.
- ٢ — تعلم الإنسان كيف يكون موالياً لأهل البيت (ع)، وسائراً على درهم، وصاحب رسالة وقضية في هذه الحياة، ومتحملاً لمسؤولية دينه ورسالته، ومضحياً في هذا السبيل.
- ٣ — توجه الإنسان إلى السير في خطى الإمام الحسين (ع) وسيرته، ورفض ومقاومة كل أشكال الظلم، والفساد، والانحراف.
- ٤ — تجعل منه إنساناً، دينياً، رسالياً، أخلاقياً، ملتزماً.
- ٥ — وبالإضافة إلى ذلك تقوي فيه الجانب الأدبي، وتجعله يتذوق حلاوة فنونه الملتزمة.

وفي الحقيقة إن هذا الشعر هو الجدير بالطرح في مناهج الأدب في المدارس، بدلاً من الشعر الجاهلي وما شابهه، لأن هذه الأخيرة لا تحمّل الإنسان مسؤولية رسالة، ولا تخلق فيه التزاماً دينياً، وإن كانت فيها فوائد أدبية، وبلاغية، وحكم حياتية.

وكمفارقة بسيطة لنقارن بين هذين البيتين الشعريين، الأول المشيخ حسن الدمستاني (ر ح)، وفيه يوجه إلى الاقتداء بالإمام الحسين (ع)، والموت في سبيل الدين والحق، والثاني لامرئ القيس، وهو يتذكر معشوقته.

يقول الشيخ الدمستاني :

أو موة بين الصفوف أحبها هي دين معشري الذين تقدموا



ويقول امرئ القيس :

قفأ نبكى من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومن المؤلم حقاً أن مناهج الأدب في مدارس بلادنا (المدارس الرسمية) توجه لإنسان إلى الغزل، والحب السلبي، والميوعة بدل أن توجهه إلى الالتزام، والتدين، ومواجهة الظلم والطغيان. وبذلك يمكن القول أن مناهج الأدب في بلادنا أعطت الأدب منحى آخر، يتناقض ومنحاه الأصلي، الذي أعطاه الإسلام له.

— إذا كنت أديباً ، أو شاعراً —

إذا كنت شاعراً فاكتب دينك، ورسالتك، وأخلاقك، وقيمك، ومبادئك. وبعبارة أخرى: اكتب شعراً يبعث في الناس، روح التدين، والالتزام، والأخلاق، ومواجهة الانحراف والفساد.

ومن مظاهر الانحراف والإضلال المنظم، عن هذا النهج أنك تجد المجلات الرسمية، والتغريبية، والإفسادية، تنشر شعر وأدب الغزل والمراقة، والميوعة، والمجون، وتشجع على ذلك.

وإذا كنت أديباً، أو كاتباً فاكتب دينك أيضاً، وفي خدمتك التي هي خدمة المجتمع. ولا تكن كالأدباء والصحفيين المأجورين — وما أكثرهم في عالمنا! — الذين باعوا أقلامهم ودينهم في مقابل الدراهم والدنانير الزهيدة، وإن كثرت! أنها ستتحول عليهم ذلاً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

— عليك بطرائف الحكمة —

يقول الإمام علي (ع):

«إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم»^(٤).



(٤) نهج البلاغة — حكّم الإمام علي (ع).

كان جحاً ماشياً في بادية، وكان جائعاً فرأى أعرابياً ومعه طعام، فتقدم إليه، وكان طعاماً في أن يدعوهُ للأكل، ولكن الأعرابي قال له:

— من أين أقبلت يا ابن العم؟

— من الثانية.

— هل أتيتنا منها بخير؟

— سل عما بدا لك.

— كيف علمك بحبيبي؟

— أحسن العلم.

— هل لك علم بكلي «نقاع»؟

— حارس الحبي، لا يستطيع أحد أن يقربه من قوته وشدته.

— فكيف علمك بأُم عثمان؟

— بخ بخ! ومن مثل أم عثمان؟ لا تدخل من الباب إلا متبخرة بالثياب المعصفرات مثل الطاووس.

— وكيف ابني عثمان؟

— وأبيك! إنه شبل الأسد، ويلعب بالكرة مع الصبيان.

— وكيف جعلنا السقاء؟

— إن سنامه ليخرج من الغبيط.

— وكيف دارنا الآن؟

— وأبيك! إنها الخصيبة الجنان، عامرة الفناء، كأنها دار النعمان.

فقام عنده، وقعد ناحية يأكل، مطمئناً بما سمعه، ولا يدعوهُ للأكل معه، فمرّ كلب فصاح به الأعرابي، وقال:

— يا ابن العم! أين هذا الكلب من نقاع.

— يا أسفي على نقاع! مات، وقد كثر السارق في الحبي بعد موته.

— وما سبب موته؟!

— أكل من لحم الجمل السقاء فاغتص بعضهم منه فمات.

— إنا لله ، أوقد مات الجمل ؟ فما أماته ؟ !

— عثر بقبر أم عثمان فانكسرت رجله .

— ويل أمك ! أمات أم عثمان ؟ !

— أي والله ! أماتها الأسف على عثمان .

— ويلك ! أمات عثمان ؟ !

— أي وعهد الله ! سقطت الدار عليه .

— وهل هدمت الدار ؟ !

— نعم ، ونهبوا جميع ما فيها حتى الطوب والخشب .

فرمى الأعرابي بطعامه ، ونثوه ، وأقبل ينتف لحيته ، ويقول :

— إلى أين أذهب ؟

فرد جحا :

— إلى النار .

ثم أقبل جمحا يانتقط الطعام ، ويأكله ويهزأ به ويضحك ، ويقول :

— لا أرغم الله إلا أنف اللئام .



طرائف الحكم هي غرائبها ، وتشمل الأقوال الحكيمة المعزوجة بالغرابة والإبداع الأدبي ، والأمثلة التي تضرب في الحوادث ، والنوادر ، والنكات . ومن الشعر ما هو حكم طريفة . والحاجة إلى استعمال طرائف الحكم تنبع من الأسباب التالية :

١ — ان قلب الإنسان كما بدنه ، ليس على وتيرة واحدة من الإقبال ، والنشاط بل هو عرضة للكلل ، والملل ، وطرائف الحكمة هي بمثابة المقبل ، والمنشط للقلوب ، تزيل الكدر ، والملل عنها ، وتجعلها متسلية منسجمة .

٢ — إن طرائف الحكم في الوقت التي هي موضوعات للتذوق الفني ، والترفيه عن النفس ، هي أيضاً دروس ، وعبر ، ومواعظ ، وحكم للإنسان ، ومن هنا فإنها لا تمل .

يقول الإمام علي (ع):
« كل شيء يُمَلَّ إلا طرائف الحكمة »^(٥).

وطرائف الحكمة وسيلة جيدة لجذب الناس، والتأثير فيهم، ولذلك نجد أن الشخص الذي يؤنس الآخرين، ويرفه عنهم بطرائفه ونوادره، هو الذي يحقق نسبة أكبر من الجذب لهم، والتأثير فيهم. كما أن استعمال الإنسان لطرائف الحكمة عن طريق إلقائها على الآخرين، أو قراءتها، أو سماعها من الآخرين يجعله رطباً، لاجافاً، ودمت المعاملة مع الآخرين لاصعباً.

وطرائف الحكمة لها مواقع كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: إذا كنت مدرساً، أو موجهاً، فاستخدامك للطرائف والفكاهة أثناء التدريس، أو التوجيه يجعلك محبوباً بين طلابك، أو من توجههم، كما أنها تسهل عليهم فهم المادة العلمية مهما كانت صعبة أو جافة، كما يسهلها الرسم التمثيلي، والقصص.

ومن الأمور الجيدة، فيما يرتبط بطرائف الحكمة، اقتناء كتب الفكاهة، والطرائف، والنوادر، للترفيه عن النفس، والآخرين، والاستفادة والإفادة منها في التحدث، والتدريس، والتوجيه، والجذب، والتأثير، وعموم التعامل مع الناس.



خطر لجحا في شهر رمضان أن يشتري جرة، وأن يضع كل يوم يمضي من هذا الشهر، حصاة في الجرة، كي لا يغلط بحساب الأيام، ولا يتكل في أيام صومه على حساب الناس. فلم تمض بضعة أيام حتى لاحظت ابنته الصغيرة ما يفعله والدها، فدفعها حب التقليد أن تخفف عن والدها هذا العمل، فأنت من الحصى بما يملأ يدها، وألقت بها في الجرة. فجاء يوم اختلف فيه بعض زائريه على عدد الأيام الماضية من الشهر المبارك، فقال: — انتظروا إني سوف آتيكم بالقول الفصل.

(٥) شرح الغرر والدرر — ج ٧.

ثم قصد جحا داره، وأفرغ ما في الجرة، فبلغت الحصى مائة وعشرين، فاستعظم العدد وقال:

— لو صدقتهم عن العدد لحسبوني أبلهاً، و لكنني أقسم العدد إلى قسمين.

ثم خرج، وقال لهم:

— هذا هو اليوم الستون من الشهر.

فضحكوا، وقالوا:

— ومتى كان الشهر يزيد على الثلاثين؟!



إذن من الجيد أن تبتغي لنفسك طرائف الحكمة، واعلم أن التاريخ الإسلامي، وتاريخ الشعوب — عموماً — مليء بها.

في الدقة

— حاول أن تكون طبيب نفسك —

ماذا يقصد بأن تكون طبيب نفسك؟

من البديهي أنه لا يقصد من ذلك أن تكون متخصصاً في مجال الطب، لأنه ليس باستطاعة كل إنسان — إذا لم يكن متخصصاً في الطب — أن يكون متخصصاً فيه. وهذا أمر مسلم به لأن طاقة الإنسان لا تمكنه من التخصص في جميع المجالات.

والمقصود من محاولة أن تكون طبيب نفسك:

- ١ — أن تمتلك وعياً طبياً صحيحاً بدرجة جيدة، وعلى أقل التقادير بأن تقرأ كتاباً حسناً في الوعي الصحي، وأن تستفيد ممن لهم خبرة أو تجربة في هذا المجال.
- ٢ — أن تكون لديك فكرة عامة — على أقل التقادير — عن أجهزة جسمك، والأمراض الشائعة، والأدوية سواء كانت شعبية أو مصنعة، والإسعافات الأولية.

٣ — أن تعالج نفسك من الأمراض البسيطة التي قد تصيبك .

إن من مصلحة الإنسان أن يحافظ على صحته لأنها تاج لا يقدر بثمن ، لا يدرك أهميته إلا حينما يفقده ، كما تقول الحكمة الشهيرة : الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى . وكون الإنسان يحاول أن يكون طبيب نفسه يعني ذلك أنه يعمل بجهد للمحافظة على صحته . وانه لمن غير اللائق به أن يعيش وهو لا يعي شيئاً عن الصحة ، وكل ما يعيه : أن يأكل ويشرب .

— كيف تعالج نفسك ؟

إذا حدث — لاسمح الله — أن أصبت بعرض ، أو مرض ما ، فلا تكن مهملاً ، خاصة إذا كان العرض ، أو المرض غير طبيعى ، واسأل نفسك :

ما هو السبب في ذلك ؟

ومعرفة السبب أمر هام في علاج الأمراض الجسمية ، بل وفي علاج جميع أنواع الأمراض على الإطلاق . وأهمية معرفة سبب المرض تكمن في أن العلاج يجب أن يتوجه إليه ، مع عدم إهمال الأعراض الخطيرة . فعلى سبيل المثال : قد يصاب شخص ما بمرض التيفوئيد ، الذي من أحد أعراضه الحمى ، فإن العلاج يجب أن يتركز على إبادة الميكروب المسبب لهذا المرض بتناول الدواء المضاد له ، ولكن مع عدم إهمال الحرارة المرتفعة ، وذلك بإعطاء مخفض الحرارة . الأمر الآخر أن معالجة عرض المرض دون سببه قد تقود إلى تفاقم المرض ، أو إيجاد مرض أسوأ من المرض الأصلي .

ومتى ما عرفت سبب المرض ، أو اسمه ، انتقل إلى مرحلة العلاج ، فقد يكون علاجه سهلاً ، ولا داعي لزيارة الطبيب . وهناك الكثير من الأمراض التي يمكن علاجها في البيت عن طريق استخدام نظام غذائي مناسب للحالة ، واستخدام الأعشاب الطبيعية (الأدوية العشبية) ، أو استخدام الدواء المناسب في حالة امتلاك الوعي الطبي الجيد .

وفيما يرتبط بالعلاج هنا نقطة هامة لا بد من ذكرها . وهي أن الله — سبحانه وتعالى — زود جسم الإنسان بأجهزة مناعة ودفاع طبيعية . وعليه فإذا أصبت بمرض ما ،

فالتعط فرصة للأجهزة الدفاعية في جسمك أن تفعل فعلها في مقاومة مسببات المرض ، فإذا أفلحت في مقاومة المرض والتغلب عليه ، آتخذ لاداعي للعلاج ، وإذا لم تفلح يتوجب . ولا يعني ذلك أن تهمل المرض ، لأن الأمراض إذا أهملت ، تتطور ، وتزداد شدتها ، وقد تشمل أجزاء أخرى من الجسم .

وهذه القاعدة الصحية الطبية مستنتجة من قول الرسول الأعظم (ص) :
« تجنب الدواء ما احتمل بدئك الداء ، فإذا لم يحتمل الداء ، فالدواء »^(١) .
كذلك يجب مراجعة الطبيب ، واستشارته في الحالات الغامضة والصعبة .

— تحمل مرضك

أن تتحمل مرضك يعني أن تصبر عليه ، وأن لا تتعقد منه وتندمر ، مع عدم إهمال علاجه . وخاصة فيما يرتبط بالأمراض المزمنة ، فالمطلوب من الإنسان أن يتحملها ، ويعتبرها أمراً واقعاً ، مع عدم إهمال محاولات علاجها .

وتحمل المرض يجعل الإنسان يمارس أعماله المختلفة بشكل طبيعي ، ويجعله يتلافى التذمر من المرض ، وانعكاساته ، وآثاره النفسية عليه .

يقول الإمام علي (ع) :
« امش بدائك ما مشى بك »^(٢) .

— اهتم بصحتك الجسمية ، والنفسية

تقدم ان بين الجسم ، والنفس علاقة متبادلة ، وإن كلاهما يؤثر في الآخر ، فإذا مرض الجسم تأثرت النفس بهذا المرض ، وإذا مرضت النفس تأثر الجسم بمرضها .

والأمثلة كثيرة للتدليل على صحة هذه العلاقة ، ومنها : أنك إذا أصبت بألم في رأسك ، تشعر بانقباض ، أو بنوع من الهبوط النفسي . وكذلك إذا تناولت طعاماً وأنت

(١) مكالم الأخلاق ص ٣٦٢ .

(٢) شرح الفرر والدرر — ج ٧ .

مهموم، أو مغضب، أو قلق، فإنك تصاب بمغص في بطنك، أو بعسر هضم في الغذاء الذي تناولته .

وعليه فالصحة الحقيقية للإنسان هي صحة هذين التوأمين : الجسم والنفس . ولا تتحقق للإنسان السعادة الحقيقية إلا بصحةهما معاً .

والصحة الجسمية، يمكن تعريفها على أنها وقاية الجسم من الأمراض، والأوبئة، والحوادث، والاهتمام بمعالجته حينما يصاب بها .

كما يمكن تعريف الصحة النفسية على أنها : وقاية النفس من شر الأمراض النفسية، بحيث تعيش حالة استواء، واستقرار، واطمئنان، والتخلص من الأمراض النفسية بمعالجتها باهتمام حينما تصاب النفس بها .

والأمراض النفسية منها ما يكون تأثيره واقعاً على الفرد بنسبة أكبر كمرض انفصام الشخصية والماليخوليا، ومنها ما يكون تأثيره واقعاً على المجتمع بنسبة أكبر كالنفاق، وحب ممارسة الجريمة . إلا أنه يمكن القول أن قسماً من الأمراض النفسية الفردية يقود إلى أمراض اجتماعية، كما أن هذه الأخيرة تقود أيضاً إلى أمراض نفسية فردية، باعتبار أن الفرد يؤثر في المجتمع، ويتأثر به .

ومن أهم القواعد المشتركة في علاج الأمراض النفسية ما يلي :

- ١ — علاج أسباب المرض، سواء كانت فيزيولوجية، أو فردية، أو اجتماعية، أو ...
- ٢ — الاعتماد على العقل، لا على الانفعالات والإيحاءات النفسية .
- ٣ — الاهتمام بالجانب الروحي والعقدي، والتوكل على الله، والإيمان به، والخوف منه .
- ٤ — امتلاك الإرادة الذاتية في التخلص من المرض .

وبما أن الأمراض النفسية كثيرة ومتعددة، وذات أسباب مختلفة، فأن لكل نوع منها علاجاً خاصاً به . كما أن قسماً من الأمراض النفسية يمكن للإنسان علاجها بنفسه، وقسم آخر تتم معالجته بمساعدة الآخرين، كالأطباء النفسيين، والمربين الخبراء .

— اهتم بغذائك

يقول الرسول الأعظم (ص):

«المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء»^(٣).

للتغذية الصحية دور كبير في المحافظة على الجسم من الأمراض، ووقايته منها. بل إن قسماً من الأمراض — إن لم يكن أغلبها — سببها الغذاء نفسه، كسوءه، أو عدم تنظيمه، أو الإسراف فيه. ومن هنا تقول الحكمة الشهيرة: الغذاء لا الدواء، وتقول الحكمة الشهيرة الأخرى: «ليكن غذاؤك دواؤك». بل إن غالبية الأمراض، تسهم الحمية الغذائية في علاجها.

وأن تهتم بغذائك يعني:

- ١ — أن تصنع الوعي الغذائي، والحد الأدنى منه: أن تأخذ فكرة عن المواد الغذائية، وأنوعها (البروتينات، والكربوهيدرات، والدهون، والأملاح المعدنية، والفيتامينات)، ووظائفها في الجسم، والمقدار الذي تعطيه من الطاقة، وأضرار زيادتها، أو نقصها، أو فقدانها على الجسم. ويمكن للمرء هنا أن يقرأ كتاباً جيداً في التغذية، وكتاباً آخر في الطب الإسلامي، كطب النبي (ع)، أو طب أئمة أهل البيت (ع)، ولا بأس بقراءة الموضوعات الجيدة التي تنشرها المجلات الطبية حول الغذاء.
- ٢ — جعل الغذاء يحتوي على المقادير اللازمة من المواد المذكورة سابقاً.
- ٣ — تنظيم الوجبات زمنياً، وجهد الإمكان تلافي الأكل بين وجبتين.
- ٤ — الاعتدال في الطعام، وتحاشي الإسراف فيه (الحمية).
- ٥ — تناول الأطعمة التي توافق، جسمك والامتناع عن الأطعمة التي لا توافقك. «كل من الطعام ما يوافقك»^(٤).
- ٦ — المحافظة على نظافة الغذاء، والاهتمام بها جيداً.
- ٧ — الاعتدال في تناول الدهنيات، والنشويات، والسكريات.
- ٨ — تناول الكمية الكافية من الخضراوات، والفواكه.

(٣) رمز الصحة في طب النبي والأئمة.

(٤) رمز الصحة في طب النبي والأئمة.

— استعمال الأعشاب —

تقول الحكمة الشعبية :

« قد يكون الدواء في خسيس الشجر » .

الأعشاب ، هي كل تلك النباتات التي تستخدم في العلاج ، والتطبيب ، وعددها كبير جداً ، وأغابها يؤكل ، وقليل منها لا يؤكل ، بل للاستخدام الخارجي فقط .

وتعتبر الأعشاب كنوز دوائية ، بل إن نسبة كبيرة من الأدوية ، والعقاقير المصنعة ، مستخرجة منها وبشكل مركز .

ومن مميزات التداوي بالأعشاب ، انعدام الأعراض الجانبية ، أو ضآلتها ، على عكس غالبية الأدوية المصنعة ، التي تعالج الجزء المريض من الجسم ، وتسبب في إيجاد متاعب ، وربما أمراض جديدة في أماكن أخرى . فعلى سبيل المثال : المضادات الحيوية المصنعة ، فهي تعالج الالتهابات ، والتعفنات وتوقف نمو البكتيريا الضارة ، والجراثيم ، والميكروبات ، ولكنها — من ناحية أخرى — قد تؤدي إلى قتل البكتيريا النافعة للجسم ، كذلك البكتيريا النافعة الموجودة في الجهاز الهضمي ، الأمر الذي قد يؤدي بالإنسان لأن يصاب بعسر الهضم .

وتختلف الأدوية المصنعة عن العشبية ، أنها سريعة التأثير ، لأنها مركزة ، أو لأنها تحوي مواد سريعة التأثير ، بينما العشبية تحتاج إلى وقت طويل نسبياً لكي تؤثر . وسرعة تأثير الدواء العشبي تعتمد على نوع المرض ، وشدة ، فهناك أمراض بسيطة لا يستغرق علاجها بالأعشاب سوى دقائق ، وهناك أمراض أخرى لا يؤثر فيها الدواء العشبي إلا بعد أسبوعين أو ثلاثة من الاستمرار على استعماله .

ولا يقصد من استعمال الأعشاب عدم الاستفادة من الطب الحديث ، فالطب الحديث لا ينكر مستوى التقدم — في العلاج — الذي وصل إليه .

وثمة نقطة لا بد من الاعتراف بها ، هي أن الطب الحديث متقدم على الطب الشعبي ، أو العشبي في التشخيص ، ولا ينكر دور الأجهزة الحديثة المشخصة للأمراض ، كالأشعة السينية ، وكاميرات التصوير الطبي ، والأمواج الصوتية ، وأجهزة التخطيط ، كما لا ينكر دور التحاليل الطبية في التشخيص ، وأشعة الليزر في العلاج .

إلا أنه من الجيد للإنسان أن لا يستغني عن الأعشاب في التداوي، وهناك توجه في كثير من بلدان العالم إلى الاستفادة من الأعشاب في علاج الأمراض، وفتح أقسام في كليات الطب تعنى بهذا الجانب.

فإذا أردت أن تطلع على الأعشاب، وتستفيد منها في العلاج، وأمكنك ذلك، فاقراً كتاباً جيداً في طب الأعشاب.

— لتكن لك ثقافة دوائية —

يقول الرسول الأكرم (ص):

«ما خلق الله كل داء إلا وخلق له دواء إلا السام (أي الموت)»^(٥).

الحد الأدنى من الثقافة الدوائية، أن تكون معرفة عامة بالأدوية لكي لا تتعامل معها بعموض، وإيهام. ويمكن للمرء أن يحفظ، أو يدون أسماء الأدوية التي تمرّ عليه، ووظيفتها، ومجالات استعمالها. ومن الأمور التي تساعدك على تكوين هذه الثقافة، الاطلاع على النسخ المرفقة — عادة — بالأدوية، والاحتفاظ بها، وتدوين اسم أي دواء تتعرف عليه، وعلى مجال استخدامه، والاستفادة من المجالات الطبية في هذا المجال. كذلك من الثقافة الدوائية أن تطلع — بشكل عام — على الأعشاب، وفوائد كل منها في العلاج، إذا أمكنك ذلك.

وهنا ملاحظة هامة، خليك ذكرها، وترتبط بالثقافة الدوائية وهي: أن الدواء ليس غذاءً، والمقصود من ذلك أن لا يتحول إلى ما يشبه الوجبة الغذائية بالنسبة للإنسان، فللعلم أن أغلب الأدوية — وخاصة العقاقير الحديثة — قد تتسبب في مضاعفات مرضية خطيرة للإنسان إذا استعملها لمدة طويلة. بل إن بعضها قد يسبب للإنسان، الإدمان بحيث لا يشعر نفسه مستقراً إلا باستعمالها، كما في حالة المسكنات، والمهدئات، كالاسبرينات، ومشتقات الفاليوم. والأمر بالنسبة للأدوية العشبية يختلف، إذ إنها وكما يقول الوصف الشعبي لها: إن لم تنفع فهي لن تضر. وعلى أية حال، فالدواء سواء كان كيميائياً، أو عشبياً لا يجوز الإفراط في استعماله، أو الإدمان عليه، بل المطلوب أن يستخدم بجرعات محددة، ولمدة معينة.

(٥) رمز الصحة في طب النبي والأئمة.

— دَوِّن ملاحظاتك الصحية إن استطعت

بتدوينك لملاحظاتك الطبية عن نفسك، وبشكل عام، تستطيع أن تتعامل مع جسمك، ونفسك، بشكل حكيم، ولكي لا تبدأ من الصفر في معالجة أي حالة تصيبك، بل تبدأ دائماً من حيث ما انتهت إليه ملاحظاتك، وتجاربك، وتجارب الآخرين. ولكي لا تضيع وقتك، اجعل هذه الملاحظات — مختصرة جهد الإمكان — ومعبرة، يمكنك أن ترجع إليها وقت الحاجة بسهولة.

— جَرِّب فكرة الملف الطبي، إذا أردت

الملف الطبي باختصار، تجميع لبعض المعلومات عن صحتك، والنسخ الطبية، والفحوصات — وخاصة تلك التي تشعر بأهميتها — في ملف، والاحتفاظ به. والملف الطبي مجموعة مزايا منها:

- ١ — الاحتفاظ بالأوراق الطبية الهامة، لمراجعتها وقت الحاجة.
- ٢ — تكوين فكرة ومعرفة بالمسيرة الصحية للجسم والنفس.
- ٣ — التعرف على الحالة المرضية على أنها متكررة، أو جديدة.
- ٤ — معرفة العلاج في حال كون الحالة متكررة.
- ٥ — معرفة التسلسل الزمني للزيارات الطبية، والرجوع إلى أي منها وقت الحاجة.
- ٦ — التعرف على الأدوية (يمكن الاحتفاظ بنسخ الأدوية في الملف).
- ٧ — الاحتفاظ بعناوين الأطباء، والمستشفيات، وإفادة الآخرين بها.

ويمكن دمج الملاحظات الطبية الصحية بهذا الملف، وذلك إما بتخصيص مجموعة أوراق لها فيه، أو بتدوينها حسب ما يناسبها فيه، ويمكن عمل ملف واحد لكل أفراد العائلة، أو تخصيص ملف لكل فرد من أفرادها.

— اجعل لك طبيباً خاصاً

أن تجعل لك طبيباً خاصاً يعني: أن تحدد لك دكتوراً عمومياً ترجع إليه وتستشير

حين الإصابة بأية حالة من الحالات المرضية. وإذا كنت ذا عائلة يمكن أن يكون هذا الطبيب طبيب العائلة بالنسبة لك، فيما يرتبط بالأمراض العامة.

وبما أن الطب قد أصبح متخصصاً، فيأزم لك أن تحدد لك — ولعائلتك إذا كنت متزوجاً — طبيباً، أو مستشفى، في كل قسم من أقسام الأمراض.

ومن فوائد هذه الطريقة ما يلي:

- ١ — تسهل على نفسك — وعلى العائلة — أمر مراجعة الطبيب، بدل أن تفكر في كل مرة في أي طبيب، أو أي مستشفى تراجع. وهذا الأمر يحصل لكثيرين فعند ما يضربون بحالة مرضية معينة يتجهون، ولا يدرون إلى أين يتجهون، ولو أنهم زعموا لأنفسهم خطة بسيطة لمراجعة الأطباء، أو المستشفيات، لوفروا على أنفسهم جهداً ووقتاً.
- ٢ — تجعل الطبيب على تجربة وخبرة، ودراية، ومعرفة بمسيرتك الصحية، نظراً لزياراتك المتكررة له، وصدافتك معه، وتكون ملف صحي لك عنده، على عكس الطبيب الجديد الذي تزوره لأول مرة.

— معرفة عامة بالإسعافات الأولية !

يقصد بالإسعافات الأولية، هي تلك المساعدات التي تقدم للإنسان المصاب، أو المريض قبل نقله إلى المستشفى. وتفيد الإحصاءات أن كثيراً من المصابين يموتون إما قبل وصول سيارة الإسعاف، أو في الطريق إلى المستشفى، أو بعد إيصالهم له بقليل، مع العلم بأن بقاءهم على قيد الحياة ممكن، ولا يكلف الكثير، فكم من مرة تم إنقاذ حياة إنسان من حضن الموت بمساعدة إنسان عادي، لاهو طبيب، ولا هو ممرض.

والإسعافات الأولية تشمل مجالات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر: التأكد من الموت، الجروح، الحروق، والحروق بالمواد الكيميائية، الكسور، النزوف، الغرق، قرص الحشرات، وعض الحيوانات، ولدغ الأفعى والعقرب، ضربة الشمس، الإصابة بالتيار الكهربائي، الإغماء، التسمم الغذائي، الإنعاش (التنفس الاصطناعي — تدليك القلب)، ارتجاج الدماغ، ارتفاع الحرارة، الصدمة العامة، الآلام الحادة في البطن، الصراع، السكتة الدماغية، النوبة التاجية القلبية، الحالة الربوية، صيدلية الإسعاف الأولي في كل مكان.

وهناك من الكتب المختصرة النافعة في هذا المجال ، ويمكنك قراءة أحدها ، بالإضافة إلى التدريب ، وإلى الممارسة العملية وقت الإصابات .

— راع قواعد السلامة العامة

بالإضافة إلى وقاية الجسم من الأمراض الناتجة من سوء النظافة ، ودخول الجراثيم ، والميكروبات ، والفيروسات ، والديدان ، والحفاظ على نظام تغذية حسن ، و ... بالإضافة إلى ذلك وغيره ، هناك قواعد عامة للسلامة ، وربما يحتاج الإنسان مهما كان نوع عمله ، وأينما كان .

ومع تقدم الحياة في مجال الطاقة والتكنولوجيا ، والعمران ، والمدنية ، وغير ذلك أضحت الحاجة إلى قواعد السلامة كبيرة ، ومتفرعة كثيراً .

فعلى سبيل المثال لم يكن عند الأقدمين بترولاً أو أي صنف من أصناف الطاقة الحديثة كالكهرباء ، ولم تكن عندهم سيارات ، ومكائن ، وأجهزة ، ... كما هي موجودة في عالمنا اليوم . ومع ذلك فإن قواعد السلامة ضرورية لكل زمن ، أما اليوم فتجد أن قواعد السلامة أمر أساسي ، ويحتاجها الإنسان في كل مكان ، في المنزل ، في المدرسة ، في الجامعة ، في الشارع ، في المعمل ، في المصنع ، ... والخب .

وفي الحقيقة ان كثيراً من الحوادث والإصابات تنشأ بسبب عدم مراعاة قواعد السلامة العامة ، وأبسط مثال على ذلك : أن يضع الإنسان ساعداً غير مرتكز بشكل جيد لكي يصعد عليه ، فيسقط به السلم فيصاب . أو أن يشتغل في إصلاح دوائر كهربائية فلا يراعي قواعد السلامة فيها فيصاب بتماس كهربائي ، وهكذا .

ولاشك أن الأعمال تختلف من حيث الخطورة ، فهناك أعمال غير خطيرة ، وهناك أعمال متفاوتة من حيث نسبة الخطورة . وكما ازدادت الحاجة إلى قواعد السلامة العامة لتلافي خطورتها . وطبيعة كل عمل تحدد نوعية قواعد السلامة المطلوبة له .

— مارس الرياضة البدنية

يقول الإمام علي (ع):

«علموا أولادكم السباحة، والرماية، وركوب الخيل»^(٦).

اهتم الإسلام بالرياضة البدنية، لآلائها هدف في ذاتها، وإنما لكونها:

١ — وسيلة لإعداد الجسم، وتقويته للاستفادة منه في مقاومة أعداء الدين والإنسانية.

يقول القرآن الحكيم: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾.

وبلا ترديد أن من القوى التي يجب أن تعد علاوة على قوة المادة، والقوة المعنوية، والقوى الأخرى، هي قوة الجسم. ولكن دوائر الاستكبار والظلم حرفت أهداف الرياضة، وجعلتها هدفاً في حد ذاتها، وأسرفت كل الإسراف، في إنشاء الأجهزة الرياضية، وابتكار ألوان كثيرة من الألعاب الرياضية من أجل تخدير الشعوب، وصرفها عن قضاياها المصيرية، وإشغالها بقضايا هامشية إلهائية. ومن واجب المؤمن — بل كل إنسان — أن يعي هذه الحقيقة، ويبلغها للآخرين، وأن تتحول الرياضة إلى ساحة تنمية للمكفاءة والقدرة والنشاط.

٢ — المحافظة على صحة الجسم، وتنشيطه، وتنميته، والمحافظة على صحة النفس. والطب الحديث يركز ويؤكد على ممارسة الرياضة البدنية، لما لها من الفوائد العظيمة، ومنها أنها:

— تنشط الدورة الدموية.

— وتقوي القلب.

— وتحافظ على الوزن الملائم، وتخفف الوزن إذا كان زائداً عن طريق حرق كميات الدهون المختزنة.

— وتخلص الإنسان من الزيادة في مادة الكوليسترول في الدم، هذه المادة التي تؤدي زيادتها إلى انسداد الشرايين، وبالتالي تؤدي إلى الجلطة الدموية.

— وتقوي عضلات الجسم.

(٦) ميزان الحكمة.

٣ — وتحقق الإنسان قدرة جيدة في التفكير ، بسبب لما تركه من آثار إيجابية على الجسم والنفس .

تقول الحكمة الشهيرة : العقل السليم في الجسم السليم .

٤ — وإطالة شباب الإنسان ، فالطب يؤكد على أن الرياضيين يتمتعون بصحة جيدة ، حتى مع تقدمهم في السن .

ومن الرياضات الجيدة : المشي ، والهرولة ، والسباحة ، وركوب الخيل ، والرماية ، وتمارين أجزاء الجسم المعروفة بالرياضة السويدية . كما أن من الرياضات الحديثة الجميلة ، رياضة الكاراتيه ، وهي تجمع بين الفاعلية في الدفاع عن النفس ، وبين الفن والتسلية .

ولكي تحصل على لياقة بدنية جيدة ، ويعتاد جسمك على الرياضة دون انشداد ، أو تقلص في العضلات ، عليك بمراعاة الآتي :

١ — التدرج في التمرين من الخفة إلى الشدة .

٢ — العلامية في التمرين .

وكقاعدة :

لا تترك الرياضة — مهما كنت مشغولاً — وحاول أن تمارسها ولو لمدة ثلاثين دقيقة ، في ثلاثة أيام من الأسبوع ، واعلم أن الرياضة تفعل فيك شيئاً نافعاً أكبر من أن يوصف !

— رقه عن نفسك !

الترفيه هو : التنفيس والتخفيف والتوسيع لإزالة الضيق والتعب ، وهو الاستراحة والتنعم .

من طبيعة الإنسان ، الحاجة إلى الراحة بعد التعب من العمل ، ومنها أيضاً إقبال نفسه وإدبارها ، أو ما يطاق عليه ، إقبال القلوب ومالمها . ولأن الله — سبحانه وتعالى — خالق الإنسان بهذه السليقة ، فقد هيا له ما يناسبها . ومن ذلك أنه جعل له النهار معاشاً لكي يرمّ معاشه فيه ، والليل سباتاً لكي يرتاح فيه . وقسم اليوم إلى ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يرمّ فيها معاشه ، وساعة يخلي بينه وبين شهوته . وكل هذه الساعات — بالطبع —

تكون ضمن إطار إطاعة الله ، ومبادئه ، وليست خارجة عنه . ومن هنا فحاجة الإنسان إلى الترفيه نابعة من طبيعته .

والترفيه علاوة على ما فيه من إراحة للإنسان ، فهو يساهم في تحقيق مجموعة أمور منها :

— تجديد طاقات الإنسان .

— التوجه إلى العمل بروح جديدة نشطة .

— القضاء على الروتين ، أو التخفيف منه إن وجد .

— انشراح النفس ، والإحساس بالسرور ، والسعادة .

— تحقيق أهداف أخرى ، اجتماعية ، أو غيرها .

وطرق الترفيه كثيرة ، ومتعددة منها :

١ — زيارة الحدائق ، والبساتين ، والمنتزهات .

٢ — زيارة الأماكن والمواقع المقدسة .

٣ — زيارة المعارض ، والمتاحف .

٤ — استكشاف المكتبات .

٥ — المثني في الأجواء النقية الهادئة .

٦ — الرحلات البرية ، والبحرية .

٧ — السفر ، والسياحة .

٨ — الجلوس في منطقة مشجرة .

٩ — ممارسة الرياضة البدنية .

١٠ — الأحاديث الأخوية الهادئة .

١١ — المجالس الشعبية النافعة .

١٢ — زيارة الأصدقاء ، والخروج معهم .

١٣ — مشاهدة البرامج التلفزيونية الملتزمة النافعة .

١٤ — مشاهدة الأفلام السينمائية الملتزمة النافعة .

١٥ — الاستماع إلى برامج الإذاعة المفيدة .

١٦ — الاستماع إلى أناشيد الإسلامية .

١٧ — قراءة القصص المسلية المفيدة .

١٨ — قراءة الطرائف والنوادر .

١٩ — قراءة الصحف ، والمجلات .

٢٠ — ممارسة المسابقات الثقافية المفيدة .

٢١ — صعود الجبال .

٢٢ — زيارة الأرياف الخضراء .

وللترفيه دور في المحافظة على صحة الإنسان ، لا سيما إذا أدركنا العلاقة المتبادلة — في التأثير — بين الجسم ، والنفس ، كما أن للترفيه دوراً بارزاً في علاج كثير من الحالات النفسية المرضية .

وبكلمة : كما هو مطلوب منك أن تعمل لمعاشك ، ورسالتك ، وتمارس الصالحات بحمد ، ونشاط ، وإخلاص ، وفعالية ، وكدح ، لا بأس بإعطاء جسمك ، ونفسك حقها في الترفيه ، وفرقه عن نفسك .

— أفد من وعيك الصحي

من طبيعة الإسلام أنه يرني على تبليغ علمه ، ومعلوماته إلى الآخرين ، في أي حقل من الحقول ، لا على جمعها ، والاستئثار بها ، وخزنها ، وذلك لأن العلم يؤثر إذا نُشر وبُشِّغ ، لا إذا حبس في العقول ، والصدور . ومن هنا نجد الإسلام يركز على إفادة العالم من علمه ، للناس ، والمجتمع .

ووعيك الصحي هو جزء من علمك ومعلوماتك ، فإذا كنت تمتلكه ، فلا تبخل على الآخرين به ، واستفد من أي فرصة تمكنك من تبين معلومة صحية تفيد بها أخاً لك محتاجاً لها ، وحاجات الناس إليك هي من نعم الله عليك .

متفقات

— تخصص ، واعمل على أن تكون متعدد الأبعاد

بلا ترديد في أن الله — سبحانه وتعالى — أعطاك أيها الإنسان ! طاقة عقلية فكرية هائلة . ولكن لمحدودية عمرك الزمني فإنك لا تستطيع أن تتخصص في كل التخصصات . وعاليه فأنت لا تستطيع أن تصنع من نفسك فقيهاً ، وطبيباً ، ومهندساً ، ومؤرخاً ، وجيولوجياً ، وفلكياً ، وإحصائياً ، وميكانيكياً ، وبناءاً ، ومؤلفاً ، و ... الخ ، وإن كان بإمكان الإنسان جمع أكثر من علم .

إضافة إلى ذلك ، أن تركيز الإنسان في مجموعة هائلة من التخصصات أمر يبعث على التشقت ، وهو صعب جداً قد يصل إلى درجة الاستحالة ، ومن هنا نبعت الحاجة إلى التخصص ، والتركيز .

إذن : فيما يرتبط بالعمل في المجالات العلمية ، والفنية — في الحياة هناك :

١ — التخصص .

٢ — التعددية في الأبعاد .

والتخصص : يعني البحث ، والتعمق ، والتركيز ، والممارسة في جانب علمي ، أو فني — أو أكثر مع التحديد — للوصول إلى مستوى عالٍ مركز في هذا المجال . ومن الأمثلة على ذلك :

— التخصص في الفقه ، حيث يبحث المرء ويركز ، ويتعمق في الفقه ، والعلوم المرتبطة به حتى يصل إلى درجة الاجتهاد .

— والتخصص في طب القلب والشرابين ، حيث يبحث المرء ويركز ويتعمق في هذا الجانب حتى يجعل من نفسه دكتوراً أو أستاذاً فيه . وهكذا الحال بالنسبة للتخصصات الأخرى .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه مع تقدم الحياة ، وتطورها ظهرت مجموعات كبيرة من التخصصات ، وبذلك أصبح التخصص حاجة ملحة . بل إن التخصص — في حد ذاته — سرّ ، ونوع من التطور والتقدم في جميع مجالات الحياة ، وما نشهده اليوم من تطور وتقدم في غزو الفضاء ، والالكترونيات ، وصناعة السلاح ، وغير ذلك ، هو بفضل التخصص والتركيز .

ومن آثار التخصص والتركيز على المتخصص أنه قد يجعله مقصراً في جوانب أخرى . وتتواجد هذه المسألة أكثر في مجال متطلبات الحياة اليومية ، والتغيير الاجتماعي ، فمثلاً : قد تجد نجاراً متخصصاً في النجارة ، ولا يفقه شيئاً في جوانب الحياة الأخرى ، فمثلاً : لا يمكنه إصلاح آلة بسيطة ، أو خلل كهربائي سهل . أو قد تجد إنساناً مؤمناً متمكناً في جانب معين كالخطابة مثلاً ، أو في جانبين أو ثلاثة لا أكثر ، ولكنه لا يمتلك كفاءات متعددة في مجالات أخرى ، ككتابة الشعر ، وكتابة المقال ، والقدرة على الكسب والتأثير و .. وقد لا يعمل على أن يخاق في نفسه كفاءات جديدة . بينما هناك قسم من الأفراد يمتلكون القدرة على الإبداع ، أو العطاء الجيد في مجالات متعددة ، وربما كثيرة ، وهذه الصفة ، أو المهارة فيهم يمكن أن نطلق عليها التعددية في الأبعاد ، أو في المجالات .

والتعددية في الأبعاد تعني : إضافة على التخصص ، الإلمام بتخصصات ، أو مهارات أخرى ، أو القدرة على العمل ، والعطاء الجيد في مجالات متعددة ، ويمكن أن تدعى بالتخصص في أكثر من مجال ، تجاوزاً .

والتعددية في الأبعاد، والتخصص ليسا محصورين في المجالات العلمية، والتكنولوجيا، بل ويرتبطان بمتطلبات الحياة العادية، فعلى سبيل المثال: لو كان هناك رجل متخصص في الخياطة، ولا يحاول أن يكتسب فنوناً، وخبرات، وكفاءات جديدة، فهذا الشخص قد يلاقي متاعب وصعوبات في حياته حتى مع التسليم بأن لكل شخص تخصصه، ويمكن الاستفادة من كل شخص حسب تخصصه، ومع التسليم أيضاً بأن الحياة يكمل بعضها البعض الآخر. وعلى العكس من هذا ذلك الشخص المتخصص في الخياطة، وإضافة على ذلك له خبرة وكفاءة — ولو بالحد الأدنى — في مجالات أخرى، كالكهرباء، والميكانيكا، والبناء، والنجارة، والكتابة على الآلة الطابعة، والخطابة، وكتابة المقال، و.. فأن هذا الشخص يمكنه أن يعطي في أكثر من مجال في الحياة، خاصة في التجمعات التي تعاني من نقص في كمية الكفاءات البشرية.

فلكي تصل إلى مستوى عال في مجال معين، ولكي تجعل إنتاجك فيه مركزاً، اعمل بهذه القاعدة الهامة:

تخصص، واعمَل على أن تكون متعدد الأبعاد بحيث لا تضر التعددية بتخصصك.

— دَوْن أعمالك

من مواصفات الإداري الحكيم الناجح تدوين ما يريد القيام به من أعمال، وبذلك يحقق ما يلي:

١ — إلقاء نظرة على مجموع الأعمال المطاوعة منه، والبدء بالأهم فالهم، أو البدء بما يجب البدء به، وبالنتيجة ضبط الأعمال والسيطرة عليها، والتحكم فيها.

٢ — ضمان استذكار الأعمال، لكي لا تصبح في طي النسيان.

٣ — تلافي حدوث الازدحام الذهني، أو التششت الفكري، الذي قد يحدث بسبب حفظ الأعمال الكثيرة، أو عدم القدرة على استذكارها بشكل جيد.

وتكون الحاجة إلى تدوين الأعمال ملحة أكثر في حال كون الأعمال كثيرة، ومتعددة، ويصعب حفظها، أو ترتيبها — حسب الأهمية — في الذهن.

فلنكني تستذكر أعمالك بغية تنفيذها بشكل منظم فمن المقترح أن تسجلها في مفكرة على هيئة نقاط، وقدر المستطاع، ليكن لك في كل يوم قائمة أعمال مدونة .

— اقتراح .. ليس إلا

يعتبر التقويم الجيبي مرجعاً لتاريخ الأحداث العامة، والأحداث التي تخصك، ومفتاحاً لعلاقاتك الاجتماعية، ومصدراً لبعض المعلومات الأخرى التي تحتاجها في حياتك . ومهما يكن حجم التقويم الجيبي صغيراً، فإن له فوائد عظيمة، وعلى رأس الفوائد، الاجتماعية منها . والقيمة الاجتماعية للتقويم الجيبي لا تتمثل في تدوين عناوين، وأرقام الهاتف للأصدقاء والمعارف وتجميدها، وإنما في استثمار هذه العناوين، والأرقام، وبالتالي استثمار العلاقات الاجتماعية . فمن المقترح أن تصطحب معك تقويماناً جيبيّاً صغيراً، إذا لم يكن هناك مانع من ذلك .

— تعلم كيف تقرأ جيداً

القراءة في الوقت التي هي أمر متيسر لكل فرد متعلم، فهي في حد ذاتها فن، وليس كل من يقرأ قادر على إتقان هذا الفن، وتحقيق الأهداف منه . فهناك من يقرأ ولا يركز، وهناك من يقرأ ولكن ببطء، وهناك من يقرأ وينسى سريعاً .

فإذا أردت أن تقرأ كتاباً يحتاج إلى تركيز، وأردت أن ترسخ المعلومات في ذهنك، فاختر — أولاً — الوقت الملائم لقراءة هذا الكتاب، ومن الفترات الخصبة للقراءة، والتركيز، الفترة الواقعة من بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس، حيث الصفاء الذهني . وإضافة إلى اختيار الوقت الملائم، استخدام التحشية على الكتاب، ووضع الخطوط تحت الفقرات، والجمل الرئيسية .

والقراءة على أنواع بالنظر إلى التحصيل منها :

- ١ — قراءة التركيز، أو التخصص . وذلك بأن تقسم السنة إلى أقسام، كثلاثة أقسام أو أقل أو أكثر، وفي كل قسم يعم التركيز على مجال معين .
- ٢ — القراءة المناسبة . وهو نوع مفيد جداً، إذ يتيح للإنسان العلم، والتعرف على

المناسبة، وأحداثها، وشخصياتها، في ظرف زمني مشحون بالروح المتوقدة التي تخلفها المناسبة نفسها. ومثال ذلك: أن تقرأ عن الإمام الحسين (ع) في شهر محرم الحرام، وأن تقرأ عن الإمام المهدي (ع) في يوم ذكرى ولادته.

٣ — القراءة حسب الميل النفسي. وفي هذا النوع يلجأ الإنسان إلى قراءة ما تميل إليه نفسه من مادة قراءة. ويفرق هذا النوع عن الأول، حيث في هذا النوع تتغير ميول النفس الإنسانية في القراءة، وبالتالي يغيب التركيز.

٤ — القراءة حسب المادة الموجودة. وفي هذا النوع تفرض المادة المقروءة نفسها على القارئ، ويستسلم أمامها فيقرأ ما هو موجود، دون أن يستخدم قدرته على التخصص، والتركيز، والانتخاب.

والسرعة في القراءة مع الاستيعاب أمر مطلوب، وخاصة في العصر الحديث، حيث الحاجة إلى عنصر السرعة. ولتحقيق السرعة في القراءة هناك طرق يمكن للمرء مراجعتها في مصادرها إذا دعت الحاجة لذلك.

كما أن من الأمور الجيدة في القراءة، إلقاء نظرة على فهرس، أو محتويات مادة القراءة كالكتاب، والمجلة، لتكوين صورة عامة، أو لاختيار أهم الموضوعات، أو تلك التي بحاجة إليها.

— لا تكثر من النظر إلى حجم الأوراق المتبقية

إذا كنت تقرأ في كتاب، فلا تكثر من النظر في حجم الأوراق التي بقيت عليك منه إلا بشكل محدد، أو إذا لزم الأمر، لأن تكرار النظر إلى حجم الأوراق من شأنه أن يسبب لك قلقاً، وعدم ارتياح وتشوق للقراءة، وقد تترك الكتاب.

— اطلع على منجزات العلم الحديث

العلم في كل يوم يأتي بشيء جديد، وفي مختلف المجالات. ومن الثقافة العصرية أن يطلع الإنسان على منجزات العلم بقدر ما يستطيع، وفي أي مجال. وبالأولى المجال الذي تخصص فيه.

— لا تجعل جوابك مزدحماً —

- إذا أردت أن تجيب على سؤال وجه إليك، فاجعل الجواب :
— منظماً ، ومعبراً .
— وغير سريع .
— وغير مزدحم لكي لا يصعب على من تجيبه .
— وصائباً .

يقول الإمام علي (ع) :

- « من أسرع في الجواب لم يدرك الصواب »^(١) .
« ومن برهان الفضل صايب الجواب »^(٢) .
« إذا ازدحم الجواب نفى الصواب »^(٣) .

— حسن خطك —

ليس الخط في حد ذاته هدفاً ، إلا أنه من الجوانب الفنية في الإنسان حسن خطه الكتابي . وحسن الخط بالإضافة إلى أنه يبعث على الارتياح ، فهو سريع ، الفهم .

قال الإمام علي (ع) لكااتبه عبد الله بن أبي رافع :

« ألق دواتك »^(٤) ، وأطل جلفه »^(٥) قلمك ، وفرّج بين السطور ، وقرمط^(٦) بين الحروف ، فإن ذلك أجدر بصباحة الخط »^(٧) .

(١) شرح الغرر والدرر — ج ٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نهج البلاغة .

(٤) القى دواتك : ضع الليفة فيها ، أي أصلح المداد والحرير .

(٥) جلفه القلم — بكسر الجيم — : ما بين مبراه وسنّه .

(٦) القرمطة بين الحروف : المقاربة بينها وتضييق فواصلها .

(٧) نهج البلاغة — ص ٥٣٠ .

— استفد من الحكم أنسى كانت

الحكمة قد تجدها عند الأصدقاء، وقد تجدها عند الأعداء، وقد تجدها عند المنافقين، وربما عند المجانين. وقد تجدها مباشرة على لسان شخص، أو قد تجدها مكتوبة في جريدة أو مجلة، أو في إشارة أو رمز، أو غير ذلك.

وهناك من المجلات والكتب تنشر حكماً لمفكرين وحكماء من مختلف أنحاء العالم، وذوي معتقدات مختلفة، وهذه الحكم هي نتاج تجربة، ومعايشة لأحداث الحياة، ويمكن للمرء أن يستفيد منها، مع مراعاة ترك ما لا يقره الدين منها.

— اجعل ساوكك حسناً

في كل ما يرتبط بسيرتك وجزئياتها، وفي جميع المجالات، احرص على أن تكون مُجيداً، ومحسناً، ولتكن وسائلك لذلك، الدين، والعقل، والأخلاق، فهي أسمى الأسس والقواعد لتنظيم السلوك الإنساني.

من مصادر الكتاب

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - نهج البلاغة للإمام علي
- ٣ - ميزان الحكمة
- ٤ - بحار الأنوار
- ٥ - تحف العقول عن آل الرسول
- ٦ - مكارم الأخلاق
- ٧ - شرح الغرر والدرر (فهرس موضوعي)
- ٨ - وسائل الشيعة
- ٩ - الدليل على موضوعات نهج البلاغة
- ١٠ - المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة
- ١١ - فقه الإمام الصادق
- ١٢ - تحرير الوسيلة
- ١٣ - المسائل الإسلامية
- ١٤ - مفاتيح الجنان المعرب
- ١٥ - مقتل الإمام الحسين
- ١٦ - المجتمع الإسلامي
- ١٧ - الإدارة بالأهداف
- ١٨ - آراء ونظرات في الإدارة
- ١٩ - رز الصحة في طب النبي والأئمة
- ٢٠ - ديوان الإمام علي
- ٢١ - الإصحافات الأولية
- ٢٢ - نواذر جحا
- تنظيم د. صبحي الصالح
- الشيخ المحمدي الرشدي
- العلامة المجلسي
- الشيخ الحرّاني
- الشيخ الطبرسي
- تنظيم د. سيد جلال الدين محدث
- الشيخ الحرّ العاملي
- تنظيم علي أنصاريان
- تنظيم محمد دشتي — كاظم محمدي
- الشيخ محمد جواد مغنّية
- الإمام الخميني
- السيد محمد الشيرازي
- الشيخ عباس القمي
- عبد الرزاق الموسوي المقيم
- السيد محمد نقي المدرسي
- د. محمد علي عبد الوهاب
- أحمد عبد السلام دبّاس
- السيد محمود الدهسرخي الأصفهاني
- جمع وترتيب عبد العزيز الكرم
- د. محمد الحاج علي
- د. فاروق سعد .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
في التفكير والتفكير	٩
في الروحانيات	١٥
في الاخلاق	٣١
في الثقافة	٦٣
في التربية الذاتية	٧١
في الاجتماع	٩٥
في الإدارة والتنظيم	١٣١
في التاريخ	١٥١
في الاقتصاد	١٥٩
في التصرف والتدبير	١٧٣
في الذوق الفني والأدب	١٧٩
في الصحة	١٩٣
متفرقات	٢٠٧



الرويس - خلف سنتر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨٢٣٥٢٦/٧/٨ - ٨٢٣٠٨٩ ص ب ٩٧/٢٥ و ٥٧٨٩/١١٣ بيروت لبنان

للطباعة والنشر والتوزيع
مكتبة - منشورات